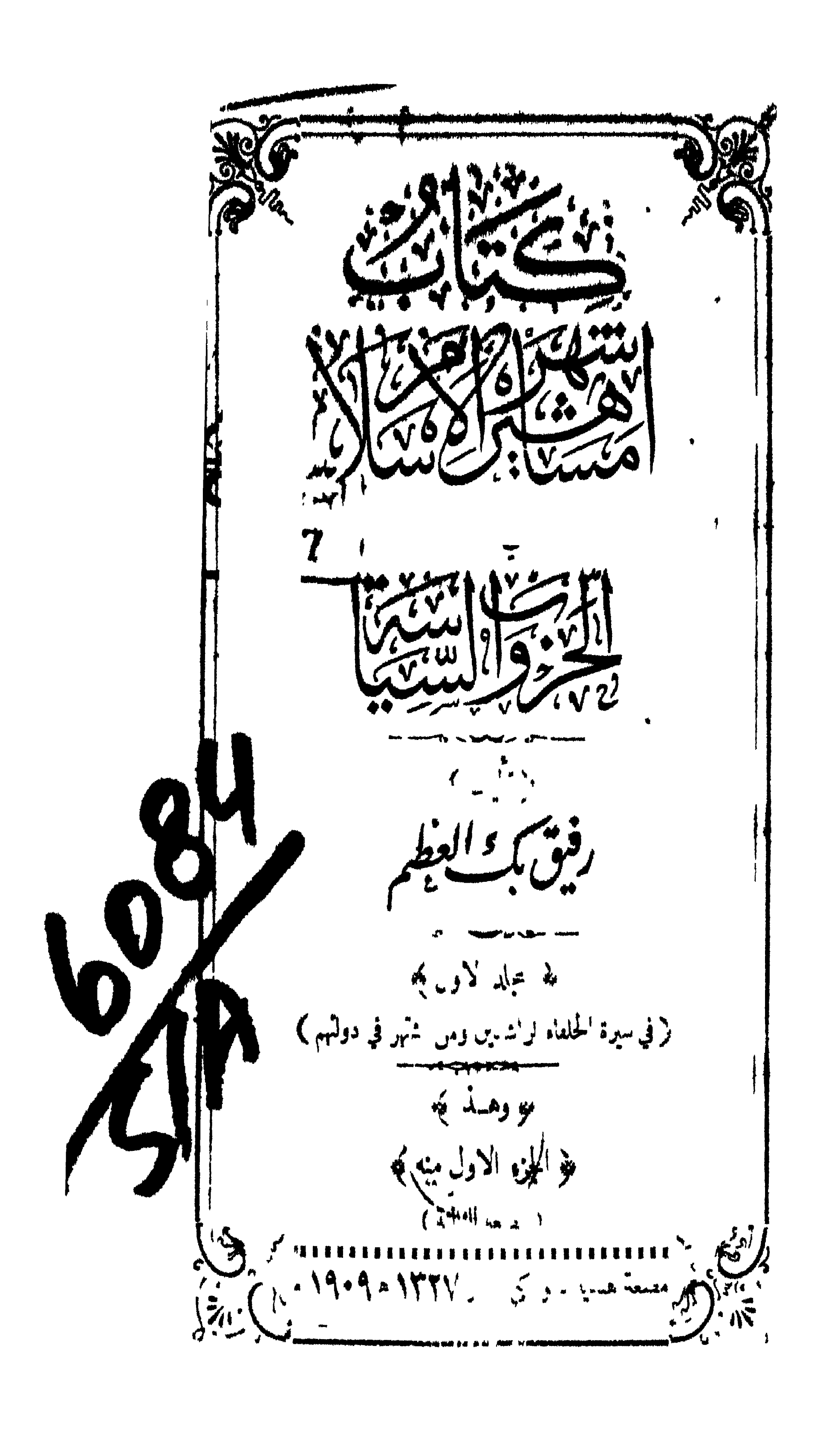


كتاب أشهر مشاهير الإسلام

في الحرب والسياسة

تأليف

رفيق بك العظم

﴿ المجلد الأول ﴾

(في سيرة الخلفاء الراشدين ومن اشتهر في دولتهم)

﴿ وهذا ﴾

﴿ الجزء الأول منه ﴾

مطبعة هندية بالموسكي ١٣٢٧ هـ ١٩٠٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي افاض على الانسان من نور العقل ما شرف به على سائر المخلوقات . وجعل التفاضل بالعلم مرقاة للبشر آيتها العظمى (ورفع بعضكم فوق بعض درجات) فانتشروا في اكناف الارض يبتغون الى ذلك الوسيلة . ويتذرعون الى السبق في مضمار الحياة بالاعمال الجليلة . فشيدوا صروح المدنية فشادوا الممالك . فمنها الموجود ومنها الهالك . وصلى الله على سيدنا محمد اعظم البشر بلا مراء . ومؤسس الشريعة الاسلامية على دعائم الحرية والعدالة والاخاء . الذي دانت لدينه الامم . وتضاءلت دون جليل عمله شوامخ القمم . وعلى آله واصحابه الذين انتصروا للحق فنصروا شريعته الغراء . وخلفائه الذين اهتدوا بسنته فخضعت لهم الشعوب لا رهبة ولا رياء ﴿ اما بعد ﴾ فان الله سبحانه وتعالى منذ دحا الارض جعلها مضماراً تتسابق فيه الاحياء . وتتبارى فيه الاكفاء . والانسان ابن بجدتها . والسابق في حومتها . كل فريق منه يباري فريقاً . وكل امريء ينتهج الى المجد طريقاً . فمن استمسك بعروة الجد استعلى . ومن استمهل عزيمة النفس ونى واسترخى . فكانت يده في هذه الوجود هي الدنيا . ويد السابق هي العليا . وبعيد الهمة يأبى الادنى . والفضاضة لا يرضاها الا ضعيف الحجى . ومن ثم كانت مراتب الناس في هذا الوجود بنسبة الاعمال . وخلائقهم سبب تفاوت الرجال . فرب شخص بعيد السمعة عظيم كبير . وآخر لا في العير ولا في النفير

ولم ارَ امثال الرجال تفاوتاً الى الفضل حتى عدّ الف بواحد

بل رب شخص تقوم به الدولة وتسعد الامة وآخر تهلك به الدولة ويشقى

الناس وانما قامت الدول واتصلت بالشعوب اسباب السعادة بافذاذ من كل امة معدودين . وافراد من الرجال مشهورين . كبرت نفوسهم عن ان تخلد الى الدنايا وترضى بالحقير من الشهوات فطمحت بهم الى معالي الامور وانصرفت بهممهم الى غايات الكمال فنالوا بهذا حياة لا تفنى . وغادروا في الوجود آثاراً لن تزول

لم يخل من هؤلاء الرجال عصر من العصور ولا دولة من الدول لانهم اقطاب العالم الذين تقوم بهم اركانه . ودعامة الوجود الاجتماعي التي يشاد عليها بنيانه . وبالخاصة منهم رجال السياسة والحرب الذين رفعوا منار الدول ودوخوا ممالك الارض فانهم على قلة عددهم من كل قبيل . وندرتهم في كل جيل . لم يخل تاريخ كل امة من ذكرهم . ولم تمح عن صفحات الوجود آيات فخرهم . وللامم في تخليد ذكر ابطالها هؤلاء مذاهب من العناية تختلف باختلاف الازمنة والاقوام وقد بلغ بالاقدمين منهم كاليونان مثلاً ان أنزلوهم منزلة الالهة ورفعوا لهم في هياكل العبادة الانصاب واما اهل العصور المتمدنة فقد افردوا لافرادهم التواريخ تشهد لهم بجميل الذكر . وشيدوا باسمهم الآثار ليبقى مذكوراً بالتعظيم أبد الدهر

لو نقبنا عن هؤلاء الرجال في تاريخ كل أمة لوجدنا أعظمهم عملاً . وأعلاهم كعباً . وأبعدهم همة رجال الاسلام الذين نبتت اصولهم في منابت الشيح والقيصوم . وأظلت فروعهم فارس والترك والصين والمغرب واوربا والروم . فدانت لهم اعظم دول الارض لذلك العهد واستخضعوا لسلطان حكمهم أشد الامم صولة وأرقاهن قوة ومدنية كالفرس والرومان والغوط وغيرهم

ان ممن اشتهر في التاريخ ذكره وعظم في عهده أثره هنبال بطل قرطاجنة الشهير الذي ناصب الرومان العداوة على ضخامة سلطانهم ومناعة بنيانهم فاجتاز

اليهم جبال البرنيه بجيوش جراره وجند كثيف لينازلهم في صميم بلادهم ويستنزل اقيالهم عن منصات مجدهم ومع هذا فاين هو من موسى بن نصير ومولاه طارق اللذين جاءآ من أقصى العربية الى أقصى المغرب فدوخا ممالك هنبال القديمة في افريقيا الشمالية وقطعا بجندهما القليل البالغ اثني عشر الف مقاتل مضيق سبتة الى القارة الاوربيه ففتحا مملكة الاندلس وقضيا على دولة الغوط بالدمار . بل اين هو من عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي الذي اقتحم ما وراء البرنيه على عهد الخليفة هشام الاموي وانساح بجيشه القيل في احشاء المملكة الفرنساوية حتى بلغ بواتو و بورغونيا على مسافة الف ميل من جبل طارق فذعرت منه سكان الممالك الاوربية واستجاشت لقتاله وصدته الجنود الفرنساوية والكوكسون والغوط والجرمان حتى تمكنوا من ارجاع جيشه على ادراجه واوقفوا تياره الذي كاد يكتسح الممالك الاوربية بقوة عجاجة

اين نابليون الذي طبقت شهرته [illegible] وقذف رعده الاوربيون من أشهر القواد في العالم لحروب طويله اصلاهم نارها . واذاقهم شده اوارها . لم تأت لدولته بفتح جديد . او خبر عتيد . من قتيبة بن مسلم فاتح السند وتركستان أو عبد الملك بن مروان الذي تولى منصب الخلافة وقد تنازعتها اطماع الطامعين . واشرأبت الى التحزب [illegible] اعناق المسلمين . فبادر الى تلافي الخطب مبادرة الحكيم واستدرك [illegible] برأي فذ للصعاب الامور وارغم من خالفه من [illegible] ان استصفى لنفسه الخلافة وأجرى امور الملك مجرى السداد والطمأنينة اطلق للجيوش الاسلامية عنان الفتح والغاره فجاست خلال الممالك وجابت شطوط المحيطين مرفوعة اعلام الظفر واثقة من نصر الله لها وحفوف عنايته بها

ومع ان هؤلاء الرجال واضرابهم كثير عددهم في الاسلام فان العناية باستقصاء اخبارهم وتتبع تواريخ حياتهم وافرادها بكتب خاصة تخليداً لذكرهم وتقديراً لقدر كل فرد منهم غير متوفرة عند المسلمين • ولا ملتفت اليها عند المؤرخين • اللهم الا ما اوردوه من اخبارهم مبعثراً في بطون التواريخ متفرقاً في كتب التراجم التي تكاد الاستفاضة فيها بذكر الرجال تقصر على ارباب القلم دون ارباب السيف

نعم قد عني بعض المؤرخين بافراد كتب خاصة بتاريخ افراد من رجال الاسلام كسيرة السلطان محمود الغزنوي وسيرة صلاح الدين وسيره تيمورلنك الا ان الاحرى ببعض هذه السير ان تسمى كتب ادب لا كتب سير وتاريخ كسيرة السلطان محمود الغزنوي المشهورة بتاريخ العتبي وسيرة تيمور المسماة عجائب المقدور [illegible] النفوس المخل باصول التاريخ وفضلا عن هذا فان في المسلمين من رجال السياسة والحرب عدداً غير قليل لو افردت لكل واحد منهم سيرة خاصة او افردوا بتاريخ خاص لكان ذلك ادعى لذكرهم • [illegible] تتناول أخبارهم التي تكون داعية الاقتداء بهم • والاعتبار بجليل اعمالهم • فان لبعض النفوس ميلاً غريزياً الى حب الشهرة وسلوك مسالك الظهور فاذا عرف أربابها كيف ساد اسلافهم واشتهر عظماء قومهم ورأوا التنويه بشأنهم خاصة والاشارة الى انفرادهم بالشهرة واتصافهم بالفضائل [illegible] يدعوهم ذلك [illegible] كانوا من زعماء الامة وقادة [illegible] أعمالهم وتدقيق [illegible] من أعمالهم والاخذ بما يصلح منها لزمانهم ، ومكانهم

عرف هذا الغربيون فلم يكتفوا بافرادهم التواريخ لرجالهم والعناية بالتنويه بشأنهم بل صنعوا لهم التماثيل تقام على قوارع الطرق وساحات المدن وشيدوا باسمائهم الآثار العظيمة كالمدارس والملاجيء ليكون ذلك ادعى لتوجيه الانظار اليهم. وأبقى بين الخاصة والعامة لجميل ذكرهم. كما انهم اجتنبوا في تراجم رجالهم استعمال التخيلات الشعرية وايراد الاستعارات والمجاز في الوصف ورص الالقاب الكثيرة رصاً تضيع معه صفات المترجم الفطرية. وتغمض على الناقد اوصافه الحقيقية. ليكون في بساطة الترجمة وقصرها على ايراد الحقائق في منشأ المترجم ومآثره في حال ظهوره وأبان نشأته تصوير لسيرة المترجم يمثله للمطالع في قالب الوجود حتى كانما هو يراه

ولعمري ان رجال الامم العظام لخليقون بمثل هذه العناية جديرون باعظام الشأن . وتخليد ذكرهم على صفحات الزمان . ولما كان الاسلام قد أنجب كثيراً من امثال هؤلاء الرجال الذين ورد ذكرهم مشتتاً في بطون التواريخ متفرقاً في ثنايا الكتب والسير فقد نهضت بي عزيمة النفس واستفزني الولع برجال الاسلام الى ان استقصي اخبارهم واتتبع آثارهم وأفرد لمشاهيرهم في الحرب والسياسة تاريخاً خاصاً آتي به على اخبارهم وفتوحاتهم وسياستهم وأخلاقهم وكل ما يتعلق بتاريخ حياة كل فرد منهم على اسلوب مبتكر بديع الترتيب سهل على المتناول جامع للاوصاف التي تمثل حقيقة المترجم تمثيلاً لا يدع حاجة في النفس الى المزيد ولا يحوج المطالع الى الامعان في جمع مزيج الاخبار الى مقر الذاكرة من دماغه والعقل من فؤاده للوقوف على أغراضها. والتفريق بين جواهرها وأعراضها

وقد أخذت على نفسي ان أطلق لها في كل مجال عنان القول وأرمي

بسهام الفكر الى كل غرض يبدو للنظر عساني ان ألم بشيء من الادواء الاجتماعية التي طرأت على المسلمين . واستطيع من اسداء النصح ما اخدم به في هذا العصر قومي الذين ما اخالهم يردون نصيحة الناصحين . سيما اذا كانت مؤيدة بسيرة الصحابة معضدة بالتاريخ مستندة الى الدين

ولما وطنت النفس على مباشرة هذا العمل رأيت ان أقصر الاستقصاء والبسط في الكلام على اشهر مشاهير الاسلام خاصة واورد في ختامه ملخصاً تاريخياً لمشاهير رجال الاسلام عامة يكون كفهرس تعلم منه ذواتهم ويرجع فيه الى ملخص تاريخهم

واني وان كنت عزمت على اجتناب الخوض في الفتن التي ثار ثائرها بين المسلمين في عهد الخلفاء عثمان وعلي ومعاوية رضي الله تعالى عنهم اجمعين ولم أر بداً من ايراد ذكرهم مع الخليفتين السابقين أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما لانهم جميعاً من دعائم الاسلام التي قامت عليها صروحه . واعضاد الدين الذين بان بهم صريحه . فقد اكتفيت من سيرة هؤلاء الثلاثة بما لا يعلق بذكره من هذه الفتن أثر في النفس الا ما كان فيه حجة بالغة يجري بها القلم او حكمة زاجرة يحتاج اليها العاقل . ويتعظ بها الجاهل . لهذا لا يؤخذ علي ما يُرى من الاختصار في تراجمهم والاقتصار على ذكر بعض سيرتهم

وقد جعلت الكتاب اقساماً على ترتيب الدول الكبيرة ومن عاصرها مقدماً في الذكر الاقدم من الخلفاء والسلاطين ومن يليه وهكذا الى آخر الكتاب واتبع كل خليفة او سلطان بذكر من قام في دولته . واشتهر من بين زمرته . من امراء الحرب والسياسة الذين اشتهر ذكرهم . وعظم في الاسلام أثرهم . والله المسئول ان يعصمنا من الخطأ ويفيض علينا روح النطق بالحق والصواب انه مجيب السؤال

﴿ القسم الاول ﴾

﴿ دولة الخلفاء الراشدين ﴾

هذه الدولة التي أسست مجد الاسلام ورفعت منار الدين الحنيف وبلغت خيلها شطوط المحيطين ونشأت على الخشونة في العيش والاعراض عن أعراض الدنيا والتعفف عما بايدي الناس هي الدولة الاولى التي كان بها فخر الاسلام والى خلفائها الاربعة تنتهي الشهرة في المجد الذي ليس فوقه مجد وأنما قامت الدولة الاسلامية على أساس هم واضعوه . وأنجبت دول الاسلام من الرجال العظام من أنجبت بفضل هم السابقون به وفتح هم فاتحوه . وقد قام في عصرهم الذي هو افضل العصور كثير من رجال الحرب والسياسة الذين أدهشت اعمالهم [illegible] في تاريخ الامم . وقضوا بعزائمهم الماضية على دول [illegible] مشاهيرهم الذين يشار اليهم بالبنان . ويعدون من افراد ذلك الزمن [illegible] الحرب والسياسة خالد بن الوليد فاتح العراق العربي [illegible] عبيدة بن الجراح فاتح الشام . وعمرو بن العاص فاتح مصر . [illegible] فاتح العراق العجمي وهادم عرش الاكاسرة . والاحنف بن [illegible] والمغيرة بن شعبة داهية السياسة . وقد [illegible] كل رجل منهم مع خليفته [illegible] هذه الدولة او نهايتها وسنأتي على ذكرهما [illegible] رضي الله تعالى عنهم اجمعين

أبو بكر الصدّيق

(باب)

« حاله في الجاهلية »

(نسبه واصله)

اسم أبي بكر رضي الله عنه عبد الله وأسم أبي قحافة ابيه عثمان وكان اسم أبي بكر في الجاهلية عبد الكعبة فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ولقبه عتيقاً لجمال وجهه و يقال لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له انت عتيق من النار كما ورد في حديث رواه الترمذي وسمي صديقاً لانه بادر الى تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم • فهو عبدالله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة وينسب أبو بكر الى تيم قريش فيقال التيمي وهو في التعدد مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه يلتقي هو ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند مرة بن كعب و بين كل واحد منهما و بين مرة ستة آباء • وأم أبي بكر سلمى ابنة صخر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم وهي بنت عم أبي قحافة وتكنى أم الخير • وكان مولد أبي بكر لسنتين وأشهر من مولد الرسول صلى الله عليه وسلم

(شرفه)

انتهى الشرف من قريش الى عشرة رهط من عشرة أبطن منهم أبو بكر الصديق وكانت اليه في الجاهلية الاشناق وهي الديات والمغرم ولما كان هؤلاء

لرهط الذين اليهم انتهت مكارم قريش في الجاهلية واتصلت بالاسلام منهم من صار من مشاهير الاسلام وستأتي ترجمتهم بعد فقد رأيت ان آتي هنا على بيان هذه المكارم وعامة من انتهت اليهم اكتفاء بها عن التكرار عند ذكر من يترجم منهم في هذا الكتاب فاقول

قال في العقد قال ابن المنذر هشام بن محمد السائب الكلبي تسمية من انتهى اليه الشرف من قريش في الجاهلية فوصله بالاسلام عشرة رهط من عشرة أبطن

وهم هاشم . وأمية . ونوفل . وعبد الدار . وأسد . وتيم . ومخزوم . وعدي . وجمح . وسهم . فكان من هاشم العباس بن عبد المطلب يسقي الحجيج في الجاهلية وبقي له ذلك في الاسلام . ومن بني أمية أبو سفيان بن حرب كانت عنده العقاب راية قريش واذا كانت عند رجل اخرجها اذا حميت الحرب فاذا اجتمعت قريش على احد اعطوه العقاب وان لم يجتمعوا على احد رأسوا صاحبها فقدموه . ومن بني نوفل الحرث بن عامر وكانت اليه الرفادة وهي ما كانت تخرجه من اموالها وترفد به منقطع الحاج . ومن بني عبدالدار عثمان بن طلحة كان اليه اللواء والسدانة مع الحجابة ويقال والندوة ايضاً في بني عبد الدار . ومن بني اسد يزيد بن زمعة بن الاسود وكانت اليه المشورة وذلك ان رؤساء قريش لم يكونوا مجتمعين على امر حتى يعرضوه عليه فان وافقه ولاهم عليه والا تخير وكان له اعواناً واستشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطائف . ومن بني تيم ابو بكر الصديق وكانت اليه الاشناق وهي الديات والمغرم فكان اذا احتمل شيئاً فسأل فيه قريشاً صدقوه وامضوا حمالة من نهض معه وان احتملها غيره خذلوه . ومن بني مخزوم خالد

ابن الوليد كانت اليه القبة والاعنة فاما القبة فانهم كانوا يضربونها ثم يجمعون اليها ما يجهزون به الجيش واما الاعنة فانه كان على خيل قريش في الحرب . ومن بني عدي عمر بن الخطاب وكانت اليه السفارة في الجاهلية وذلك انهم كانوا اذا وقعت بينهم وبين غيرهم حرب بعثوه سفيراً وان نافرهم حي لمفاخرة جعلوه منافراً ورضوا به . ومن بني جمح صفوان بن امية وكانت اليه الايسار وهي الازلام فكان لا يسبق بامر عام حتى يكون هو الذى تسييره على يديه . ومن بني سهم الحرث بن قيس وكانت اليه الحكومة والاموال المحجرة التي سموها لآلهتهم . فهذه مكارم قريش التي كانت في الجاهلية يتوارثونها كابراً عن كابر وكان كل شرف من شرف الجاهلية ادركه الاسلام وصله لهم وقد رأيت مكانة أبي بكر من الشرف في قريش هذا فضلاً عن مكانته الخاصة عندهم واحترامهم له لكرمه وتفضله

﴿ صناعته ﴾

كانت قريش مع ما تمتُّ به من النسب وتحوزه من شرف المكانة عند العرب لما انها حامية البيت وصريح ولد اسماعيل لا يستنكف اشرافها من الاحتراف أو المتاجرة والاعتماد في الاسترزاق على عمل اليد ترفعاً عن الاتكال على فضلات العجز والاعتماد على تراث الآباء فكانت لكل رجل منهم صنعة يحترف بها . ونحن ذاكرون لك هنا حرف الصحابة الذين ستأتي ترجمتهم في هذا الكتاب فقط . فمنهم عمر بن الخطاب كان تاجراً ومنهم سعد بن أبي وقاص وكان يبري النبل . ومنهم عثمان بن عفان وكان بزازاً . ومنهم عمرو بن العاص وكان جزاراً وأما أبو بكر فكان بزازاً وله رأس مال كبير للتجارة قيل انه يبلغ أربعين الف درهم أنفق منها خمسة وثلاثين الفاً معونة للنبي صلى الله عليه وسلم

على مصالح المسلمين والذي بقي عنده ما زال يتجر به حتى مات رضي الله تعالى عنه وارضاه

﴿ مكانته عند قومه وسيرته فيهم ﴾

كان ذا مكانة محترمة من قومه ومروءة واحسان وتفضل فيهم ولهذا قال له ابن الدغنة يوماً انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الدهر وتقري الضيف . وكان عالماً بالانساب واخبار العرب رغاباً عن الدنايا عفيف النفس حرّم على نفسه شرب الخمر في الجاهلية . قال السيوطي اخرج أبو نعيم بسند جيد عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت لقد حرّم ابو بكر الخمر على نفسه في الجاهلية

اللهم ان امرأ ينشأ بين الاوثان حيث لا دين زاجر . ولا شرع للنفوس قاهر . وهذا مكانه من الفضيلة واستمساكه بعرى العفة والمروءة لجدير بان يتلقى الاسلام بملء الفؤاد . و يكون اول مؤمن بهادي العباد . مبادر باسلامه لارغام انوف اهل المكابرة والعناد . ممهد لهم سبيل الاهتداء بدين الله القويم الذي يجتث اصول الرذائل من نفوس المهتدين بهديه المستمسكين بمتين سببه « الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا » واولهم ابو بكر

﴿ باب ﴾

(اسلامه وصحبته)

(اسلامه)

اختلف الرواة فيمن كان اول الناس اسلاماً فقال بعضهم انه عليّ وقال

بعضهم انه ابو بكر وقال بعضهم خديجة وقد اخرج ابن عساكر من طريق الحارث عن علي رضي الله عنه قال (اول من أسلم أبو بكر الصديق) ومما يؤيد انه اول الناس أسلاماً قول حسان بن ثابت رضي الله عنه

اذا تذكرت شجواً من أخي ثقة فاذكر اخاك ابا بكر بما فعلا
خير البرية اتقاها وأعدلها الا النبي وأوفاها بما حملا
والثاني التالي المحمود مشهده واول الناس منهم صدق الرسلا

وقال السيوطي وجمع بين الاقوال بان ابا بكر اول من اسلم من الرجال وعلي اول من اسلم من الصبيان وخديجة اول من اسلمت من النساء واول من ذكر هذا الجمع الامام ابو حنيفة رضي الله عنه (وهو الصواب)

تجسم أبو بكر رضي الله عنه من الفضيلة وخلص جوهره من الدغل وانفطر على سلامة النفس من شوائب العناد وطهارتها من عمى البصيرة عن درك الصواب والمماراة في الحق فقامت لديه الحجة على الشرك وظهرت له محجة الرشد لاول وهلة من دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام الذي تفرس فيه الاستعداد الكامل للايمان فبادره بالدعوة فلم يتردد . وعاهده على المظاهرة فقام بما تعهد . لهذا قال عليه الصلاة والسلام (ما دعوت احداً الى الاسلام الا كانت له كبوة غير أبي بكر)

سبق ابو بكر بالايمان فكان له الفضل على السابقين بمتابعتهم له وسبقهم ببركة اسلامه الى نيل السعادة بالاسلام لهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام (ما طلعت الشمس ولا غربت على احد افضل من ابي الا ان يكون نبي) اخرجه عبد الرحمن بن حميد في مسنده وابو نعيم وغيرهما من طرق عن أبي الدرداء . ولما كان ابو بكر محبباً سهلاً وكانت رجالات قريش تألفه فقد أسلم

منهم على يديه من بني أمية عثمان بن عفان . ومن بني عمرو بن كعب طلحة بن عبيد الله ومن بني زهرة سعد بن أبي وقاص . وغيرهم كثيرون

﴿ صحبته ﴾

صحب ابو بكر النبي صلى الله عليه وسلم من حين اسلم الى حين توفي خير صحبة وكان احب رفيق اليه واعز صاحب لديه حمل من اجل الرسول من قريش ما تنوء به العصبة اولو القوة ووقف امامه موقف المدافع عن الحق الداعي الى الخير. صحبه يوم الهجرة وهو يبكي فرحاً بصحبته واستبشاراً بتخفيف أذى قريش عنه . ورافقه في الغار ثلاثاً وعينه من اجله لا تنام ولم يذق خوفاً عليه لذة الراحة حتى قال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا ليسكن اضطرابه ويأمن على نبيه وانزل فيه قرآن (ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه)

علم ابو بكر ان لله عليه حقاً وان للايمان بكتابه شرطاً وهو الامتثال لما جاء به والعمل بما فيه وان الله سبحانه وتعالى يقول بهذا الكتاب (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم واموالهم بان لهم الجنة) فسمح بماله في سبيل الاسلام وانفقه على النبي عليه الصلاة والسلام وكان يشتري من ماله المعذبين على الاسلام لانقاذهم من الالام . كما كان يشتري على الاسلام ايضاً (١) حتى

---

(١) اخرج ابن جرير عن عامر بن عبدالله بن الزبير قال كان أبو بكر يعتق على الاسلام بمكة فكان يعتق عجائز ونساء اذا اسلمن فقال ابوه أي بني أراك تعتق أناساً ضعافاً فلو انك تعتق رجالاً جلداً يقومون معك ويمنعونك ويدفعون عنك قال أي ابت انا اريد ما عند الله واخرج الطبراني عن عروة ان أبا بكر الصديق رضي الله عنه اعتق سبعة كلهم يعذب في الله اهـ

اثنى عليه الرحمن ونوه به القرآن ومنه قوله تعالى (فاما من أعطى واتقى)الآية وقوله تعالى (وسيجنبها الاتقى) وقوله تعالى (وما لأحد عنده من نعمة تجزى) الى آخر السورة كل هذه الآيات وغيرها نزلت في ابي بكر

سمح بنفسه فلم يترك مشهداً من مشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا حضره ولازم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يحميه بنفسه ويقف في وجه الاعداء دونه

اخرج البزار في مسنده عن علي انه قال . اخبروني من اشجع الناس . فقالوا انت . قال اما اني ما بارزت احداً الا انتصفت منه ولكن اخبروني بأشجع الناس . قالوا لا نعلم فمن . قال (ابو بكر) انه لما كان يوم بدر فجعلنا لرسول الله عريشاً فقلنا من يكون مع رسول الله لئلا يهوي اليه احد من المشركين . فوالله ما دنا منا احد الا أبا بكر شاهراً بالسيف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يهوي اليه احد الا هوى اليه فهو اشجع الناس . قال علي رضي الله عنه ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وآخذته قريش فهذا يجبأه وهذا يتلتله وهم يقولون انت الذي جعلت الآلهة الهاً واحداً فوالله ما دنا منا احد الا ابو بكر يضرب هذا ويجبأ هذا ويتلتل هذا وهو يقول . ويلكم أتقتلون رجلاً ان يقول ربي الله ثم رفع علي بردة كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحيته ثم قال انشدكم الله أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر . فسكت القوم فقال الا تجيبوني فوالله لساعة من ابي بكر خير من الف ساعة مثل مؤمن آل فرعون ذاك رجل يكتم ايمانه وهذا رجل أعلن ايمانه

﴿ باب ﴾

(خلافة ابي بكر ﴾

(كلام على الخلافة)

قبل الكلام على خلافة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه نأتي بتمهيد مختصر في الخلافة الاسلامية فيه بيان يحتاج الى النظر فيه كل باحث في تاريخ الاسلام فنقول

ان موازرة القوة للشرائع قاعدة كلية لا تتخلف سواء عن الشرائع الالهية . أو الاوضاع البشرية . وقد ترتب عليها قيام الدول في كل ملة من الملل لضرورة وجود الوازع الذي يزع الناس بالكتاب والميزان ويردهم ولو بالقوة الى حدود الشرع وذلك بدليل قوله تعالى فيمن سبق من الرسل أولي الشرائع (ولقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس) وفيه الاشارة الى ملازمة القوة للدين ارهاباً للناس وكبحاً لجماح النفوس التي لا يقومها مجرد الارشاد واللين وهذه القوة انما تقوم بالوازع وأعوانه ومنهم تتألف الدولة

ومن المقرران وظيفة الرسل هي تبليغ الشرائع وتقريرها بين الناس على وجه يجمع اليها شملهم و يتكفل بسعادتهم و بعد هذا لا يبقى من وظيفة الرسول لمن يخلفه في قومه ألا حماية هذه الشرائع والحكم بينهم بما أنزل الله وسنة الرسول وهذه وظيفة يشترط فيها عندنا معاشر المسلمين الحرية

والعقل والعدالة والعلم ولا يشترط فيها شيء من النبوة بل النبوة رسالة الهية يتعلق بها تبليغ الدين ووضع أصول الدعوة وتقرير الشرائع وتلك رئاسة دنيوية تتعلق بها حماية الشرائع وأقامة اركان الدين ولا تناسب بين الوظيفتين البتة لهذا تضافرت الاحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم على وجوب السمع والطاعة لكل من يتولى شيئاً من امور المسلمين من اى قبيل كان بلا تخصيص بآل بيته الكرام عليهم السلام وأيد هذا سنته العملية فقد فارق هذه الدنيا الى الملأ الأعلى وليس لاحد من آل بيته أمر من امور الناس أو ولاية من ولايات الاطراف ولما طلب منه عمه العباس أن يوليه عملا من الاعمال أبى عليه ذلك لئلا يظن بعده انه اراد بقاء الامارة في بني هاشم متصلة بالنبوة مع ان النبوة شيء والامارة شيء آخر

وقد علم هذا الحسن بن علي رضي الله تعالى عنه لما تنازل عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان فقال (أبى الله ان يجمع النبوة والخلافة فينا) وحسب آل البيت شرفاً ان تكون النبوة فيهم

قلنا ان الخلافة رئاسة دنيوية باعتبار أنها شيء والنبوة شيء اخر وانما قالوا انها رئاسة دينية وخلافة نبوية لما يتعلق بها من اقامة أركان الدين كما تقدم وهي بهذه المثابة لم تتجاوز عهد الخلفاء الراشدين وصارت بعد ذلك ملكاً دنيوياً بحتاً اذ ترك الخلفاء أهم اصل من أصول الامارة وهي الصلاة بالناس التي استخلف بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر فكان خليفته على الامة في الدين كما صار أميراً عليها في أمور سياستها في الدنيا ومن هنا اشتق اسم امارة المؤمنين اذ لا بد لكل أمة اجتمعت على دين او أمر آخر من رئيس يضم شملها ويقيم احكام شرائعها ويدبر سياسة ملكها لا سيما وان الاسلام جاء بقسمي السياسة والدين ولم يقتصر

على اصول التوحيد والعبادات لهذا كان وافياً بحاجات الدين والدنيا

ومن ثم كان أول مقصد من مقاصد المسلمين وأهل السابقة من المهاجرين بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم واجتماع المسلمين على كلمة التوحيد متجهاً الى وجوب نصب خليفة يجمع الأمة الاسلامية على كتاب الله وسنة رسوله و يأخذ بالقوة على أيدي ذوي العبث بالنظام. الا انهم اختلفوا فيمن يولونه هذا الامر اختلافاً ليس فيه ما ينافي المصلحة الاسلامية بل غايته تمحيص الفكر ومحض النصيحة فيمن تجمع على تأميره كلمة الجمهور الاعظم من المسلمين ليكون أثبت قدماً في الخلافة وأشد حجة على المخالفين فاختاروا لهذا المنصب الرفيع أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه

علم هذا كله جمهور الصحابة والمسلمين فاختاروا للخلافة رجلاً من غير بيت النبوة ولو علموا خلافه لما عدلوا عن بيت النبوة البتة ولكان اولى الناس بهذا الامر العباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم أو علي بن أبي طالب لسابقته في الاسلام وكونه أقرب الناس من النبي عليه الصلاة والسلام نسباً وصهراً بعد العباس

هكذا كان ايضاً بعض بني هاشم و بعض بنى أمية يتوقعون انه لا يعدل بعلي كرم الله وجهه أحد بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن لخصوصيات ومزايا له ترشحه للخلافة وتحملهم على الاعتقاد بترجيح انتخاب المسلمين له لذلك المنصب الرفيع لا لاعتقادهم بوجوب الخلافة لبني هاشم والا لوصح عندهم شيء من وجوب الخلافة لبني هاشم لكان العباس رضي الله عنه أولى بها من علي لانه عم النبي صلى الله عليه وسلم ولما لم يكن الامر كذلك لم يتخلف علي عن مبايعة أبي بكر سوى ستة اشهر كما يقولون ثم بايعه بعد وهو أعظم الناس اعتقاداً بأهليته وطاعة

له وعونا على امره

هذا اذا صح انه تخلف عن بيعته ولم يصح وانما وجد عليه وعلى عمر بن الخطاب لما حكما بحرمان فاطمة رضي الله تعالى عنها من ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وسلم مما افاء الله عليه بالمدينة وفدك وهي قرية بخيبر لما ثبت عند أبي بكر يومئذ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لا نورث ما تركناه صدقة انما يأكل آل محمد من هذا المال) حتى كان مما قاله يومئذ ابو بكر واني والله لا اغير شيئاً من صدقة رسول الله عن حالها التي كانت في عهده صلى الله عليه وسلم. فوجدت عليه فاطمة وهجرته وهجره علي ايضاً الى أن توفيت فاطمة رضي الله عنها بعد ستة أشهر من بيعة أبي بكر وكان لعلي من الناس وجهة حياة فاطمة فلما توفيت استنكر على وجوه الناس فالتمس مصالحة أبي بكر فصالحه وربما وهم الرواة من هذا الامر انه لما صالحه بعد ستة اشهر بايعه أيضاً وسترى من الروايات الآتية ما يدل على ان علياً لم يتخلف عن البيعة الا قليلاً والله أعلم

ولكن ما الحيلة وقد رزىء هذا الدين بشراذم من المنافقين انما دخلوا في هذا الدين للتشويش على أهله لكن وقوف الرسول صلى الله عليه وسلم على أحوالهم وهيبة الاسلام التي ملأت قلوبهم لم يمكناهم من بث الفتنة في الدين فبثوها وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم من طريق السياسة حتى نشأ عنها من الخلاف على الخلافة أمور ورأى بعد منافقو الاعاجم ومجوسهم الذين ابتز الاسلام ملكهم وثل عروش ملوكهم فهالهم امره وساءتهم غلبة شأنه أن يتخذوها وسيلة لادخال الوهن على الاسلام وتعطيل حدوده وشعائره فخلطوا السياسة بالدين وضربوا بسلاحهما في وجوه المسلمين فزعموا ان منصب الخلافة فرع من النبوة لا يتخلف عن أصله . ولا يصح وضعه في غير محله . واشترطوا فيه ما يشترط في

النبوة من العصمة وهي لا تكون على زعمهم الا في علي وأهل بيته والا فلا أمام يؤتم ولا جمعة تصح ولا حكم ينفذ . وهو عين التعطيل الذي رموا اليه يومئذ بسهم نفذ في كبد المسلمين.وفرق وحدة المؤمنين ولا يزال يتابعهم عليه الى الان فريق الشيعة الذين اعماهم التقليد على غير علم بمن يقلدون . ولا فهم لحقيقة ما هم فيه من تعطيل اركان الدين مسترسلون . انتظاراً لامام موهوم ويوم معلوم

وامصيبتاه من هذه العقول التي لم تدرك الى الان مرامى غرض السالفين ومهاوي ضلال الزنادقة الكاذبين الذين جعلوا مسئلة الامام المعصوم عقبة دون اقامة شعائر الدين . لن تزول من وجه الاسلام الى يوم الدين . ما دامت مدعمة باحاديث المهدى الموضوعة.واخبار الامامة المصنوعة. التي يدل على انها مكذوبة على الرسول مفتراة على أهل بيته الطاهرين ما اصاب المسلمين من جرائها من التفريق وما أصيب به الاسلام من الوهن وهذا شيء لا يرضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته كما لا يرضاه الله سبحانه وتعالى لدينه ولو صح شيء منه لما ترك الله عباده الى الان يتخبطون في ظلمات الفوضى بلا امام معصوم والعصمة انما هي لله وللانبياء والمرسلين الذين أرسلهم الله رحمة للعالمين ولن يرسل للبشر الائمة والسلاطين المعصومين كما يريد فريق المتخرصين من الشيعة . وهذا العالم البشرى على اختلاف الامم والشعوب ما زال ولن يزال قائماً بمن يتولى شؤون الناس من الرؤساء والسلاطين وفيهم وثنيون وهم أعدل من ساس الممالك كملك اليابان الان أو كسرى في قديم الزمان . فاللهم نسألك هداية هذه العقول الزائغة وتأليف تلك القلوب المتفرقة انك مجيب السؤال

ولنرجع الى الكلام على خلافة أبي بكر رضي الله تعالى عنه ونبدأ من ذلك بذكر بيعته فنقول

﴿ بيعة أبي بكر ﴾

لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أبو بكر غائباً في أهله بالسنح فلما أتاه منعاه أقبل على الناس فوجدهم في اختباط عظيم لوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهم المصدق ومنهم المكذب فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشف عن وجهه وقبله وقال بابي انت وأمي قد ذقت الموتة التي كتب الله عليك ولن يصيبك بعدها موتة ابداً. ثم خرج الى الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال ايها الناس من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت . ثم تلا (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل) الآية فكأن الناس لم يعلموا ان هذه الآية في المنزل لما اصابهم من الدهشة بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال عمر فما هو الا ان سمعت ابا بكر يتلوها فوقعت الى الارض ما تحملني رجلاي . فاللهم ارزقنا قلوباً كهذه القلوب ملئت بالايمان وأشربت بحب الرسول حتى ما تصدق انه قد مات لدهشة أخذتها وحزن اصابها وأسى اراعها وبلاء فاجأها ولما لم تطق حمل هذا كله زهات لحظة كما يشرب الطير ثم ثابت الى نفسها . وعاد اليها وعيها . بآية تلاها ابو بكر كأنما المسلمون كانوا في ذهول عنها وما هو الا زهول الحزن ووقع اليم المصاب

وبينما كان الناس مشتغلين بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم وتجهيزه ودفنه جاء مخبر فاخبرهم باجتماع الانصار في سقيفة بني ساعدة بقصد المفاوضة في شأن الخلافة فاسرع اليهم ابو بكر وعمر وجماعة من المهاجرين ليتداركوا هذا الامر قبل افتراق الكلمة فأتوا الانصار وقد اجتمعوا بالسقيفة يبايعون سعد ابن عبادة فأعجلهم المهاجرون عن امرهم وغلبوهم عليه وتكلم يومئذ ابو بكر فادلى بالحجة وكان مما قاله

يامعشر الانصار انكم لا تذكرون فضلاً الا وانتم له اهل . وان العرب لا تعرف هذا لامر الا لقريش . هم أوسط العرب داراً ونسباً قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين وأخذ بيدي عمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح فكثر حينئذ اللغط بين الانصار وقال قائلهم منا أمير ومنكم أمير . ثم ان عمر لما رأى ان بعض الانصار ومنهم بشير بن سعد يرون رأي المهاجرين بجعل الخلافة في قريش وان الامر اذا أجل النظر فيه ربما صعب حله قام الى أبي بكر وقال ابسط يدك أبايعك فبسط يده فسبقه بشير فبايعه وبايعه عمر وسائر الناس

وتخلف عن بيعته علي وطلحة والزبير وبنو هاشم لما كانوا يتوقعونه من مصير الخلافة اليهم وعدم صرفها عنهم حتى كان مما قال يومئذ عقبة بن أبي لهب

ما كنت أحسب ان الامر منصرف عن هاشم ثم منهم عن أبي الحسن

ولما رأى بنو هاشم انحياز الناس الى البيعة لأبي بكر واتفاقهم على الرضا بخلافته لما ثبت عندهم من ان الخلافة غير النبوة وان أبا بكر احق الناس بها بعد ان انابه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة بالمسلمين في حال مرضه اقبلوا على بيعته وبايعه علي رضي الله تعالى عنه بعد ايام على الارجح لا بعد ستة أشهر وقد سبق الكلام على هذا في اول الفصل ويؤيده ما رواه الرواة عن ابي سعيد الخدري انه قال في حديث طويل ان ابا بكر صعد المنبر عقب البيعة فنظر في وجوه القوم فلم يرَ الزبير فدعا بالزبير فجاء فقال قلت ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه اردت ان تشق عصا المسلمين فقال لا تثريب ياخليفة رسول الله فقام فبايعه

ثم نظر في وجوه القوم فلم يرَ علياً فدعا به فجاء فقال. قلت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه على ابنته اردت ان تشق عصا المسلمين فقال لا تثريب ياخليفة رسول الله فقام فبايعه

واخرج ابن عساكر عن علي انه قال . لقد امر النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر ان يصلي بالناس [1] واني شاهد وما انا بغائب وما بي مرض فرضينا لدنيانا ما رضي به النبي صلى الله عليه وسلم لديننا . واخرج الدارقطني في الافراد والخطيب وابن عساكر عن علي رضي الله تعالى عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت الله ان يقدمك ثلاثاً فأبى عليّ الا تقديم ابي بكر

هذا كله يدل على ان علياً رضي الله عنه لم يتردد عن بيعة أبي بكر الا قليلا و يعضده ايضاً ان جماعة من بني أمية منهم أبوسفيان بن حرب وخالد ابن سعيد أرادوه على الخلافة يومئذ فزجرهم زجراً وقرعهم تقريعاً

هذا ولما استقرت الخلافة لأبي بكر وذلك سنة احدى عشرة صعد على المنبر ثم تكلم فحمد الله واثنى عليه ثم قال

أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم فان احسنت فاعينوني وان اسأت فقوموني . الصدق أمانة والكذب خيانة . والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ منه الحق . والضعيف فيكم قويّ عندي حتى آخذ له الحق

---

(١) أخرج الشيخان عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال مرض النبي صلى الله عليه وسلم فاشتد مرضه فقال مروا أبا بكر فليصل بالناس قالت عائشة انه رجل رقيق القلب اذا قام مقامك لم يستطع ان يصلي بالناس فقال مري أبا بكر فليصل بالناس فعادت فقال مري أبا بكر فليصل بالناس فانكن صواحب يوسف

ان شاء الله تعالى . لا يدع احد منكم الجهاد فانه لا يدعه قوم الا ضربهم الله بالذل . أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم قوموا الى صلاتكم رحمكم الله

كلام يمثل معنى الرئاسة العامة في الاسلام تمثيلا تستكن امامه القلوب التي أشربت حب العدل وتقصر عن التطاول الى نتائجه اعناق زعماء الحرية في كل أمة وجيل

كلام صدر عن اول خليفة في الاسلام يبشر الامم بنزع اغلال الذل والاستعباد من اعناقهم وانتزاع قيود السيطرة الجائرة من أيديهم وأرجلهم

بل كلام يقرر صاحبه اول قاعدة للحكومة في الاسلام ويسجل الشقاء على من تسامح بها من المسلمين . فانا لله وانا اليه راجعون . على ما كان بعد ذلك في المسلمين وما سيكون

﴿ انفاذه جيش أسامة بن زيد ﴾

لم يكن أمر البيعة اول عقبة قطعها المسلمون بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فانه لم يكد ينتشر نعيه في الافاق . حتى ظهر النفاق واشرأبت من الأمم المجاورة الاعناق . ومنع العرب الزكاة والمسلمون يومئذ في ارتباك عظيم لفقد نبيهم وقلتهم وكثرة عدوهم

كان النبي عليه الصلاة والسلام اعد قبل وفاته جيشاً وعليه مولاه اسامة بن زيد لبعثه الى الشام فتأخر ذلك الجيش عن السفر بسبب مرضه ووفاته عليه الصلاة والسلام ولما استقرت الخلافة لابي بكر قال له الناس ان هؤلاء (يعنون جيش اسامة) جند المسلمين والعرب على ما ترى فقد انتقضت بك فلا ينبغي ان تفرق جماعة المسلمين عنك فقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه والذي

نفسي بيده لو ظننت ان السباع تخطفني لانفذت جيش اسامة كما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهو ثبات امام الاخطار واستصغار للخطب ومضاء عزيمة نافذ في مثل ذلك الموقف الحرج الذي وقف به المسلمون لا تصدر الا عن مثل أبي بكر رضي الله تعالى عنه . ثم امر بالتجهز وان يخرج كل من هو من جيش اسامة الى معسكره بالجرف ، فخرجوا كما امرهم وحبس ابو بكر من بقي من تلك القبائل التي كانت لهم الهجرة في ديارهم فصاروا مسالح حول قبائلهم وهم قليل

لما خرج الجيش الى معسكرهم وتكاملوا ارسل اسامة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان معه في جيشه الى ابي بكر يستأذنه ان يرجع بالناس وقال ان معي وجوه الناس وجلتهم ولا آمن على خليفة رسول الله والمسلمين ان يتخطفهم المشركون

وقال من مع أسامة من الانصار لعمر بن الخطاب ان ابا بكر خليفة رسول الله الا فامضي فابلغه عنا ان يولي امرنا اقدم سناً من اسامة فخرج عمر بامر اسامة الى ابي بكر فأخبره بما قال اسامة فاصر على ثبات رأيه واستمر في مضاء عزيمته على انفاذ جيش اسامة وقال لعمر لو خطفتني الكلاب والذئاب لانفذته كما امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو لم يبق في القرى غيري لانفذته

قال عمر فان الانصار تطلب رجلا اقدم سناً من اسامة . فادرك ابو بكر من هذا ما يخالج ضمائر القوم من تأمير اسامة عليهم لما لم يزل في نفوسهم من آثار الفخر الجاهلية والاستمساك بعرى التفاضل بالانساب فرأى ان يمحو من نفوسهم كل اثر من آثار الكبرياء والتفاضل الا بالتقوى والاعمال وان يبدأهم

من ذلك بنفسه فماذا صنع ؟

خرج أبو بكر حتى اتاهم وأشخصهم وأشيعهم وهو ماش وأسامة راكب فقال له أسامة ياخليفة رسول الله لتركبن أو لأنزلن فقال والله لا نزلتَ ولا أركب وما علي ان اغبر قدميَّ ساعة في سبيل الله . فلم يسع الانصار لما رأوا خليفة رسول الله ماشياً في ركاب أسامة الا السكوت ولم يبدر من احد منهم بادرة قط بل صاروا صحبة أسامة وابدوا ما عرفوا به من الاخلاص في الجهاد والذب عن حياض الاسلام والاستماتة في قتال الاعداء فرضي الله تعالى عنهم اجمعين

ولما اراد أبو بكر ان يرجع قال لأسامة ان رأيت ان تعينني بعمر فافعل فأذن له

امام أمره نافذ في جيوشه وسلطته مبسوطة على قواده احب استبقاء عمر بن الخطاب عنده ليستعين برأيه فلم يشاء أخذه من الجيش الا باذن قائده أسامة بن زيد تنبيهاً لمن فيه الى وجوب الطاعة لامره وعدم الحيد عن اشارته ما دام فيهم اميراً ولهم قائداً وقد كان في استطاعته ان يشافه الجيش بمثل هذا التنبيه لو لم يرَ ان يبدأهم بنفسه و يؤدب نفوسهم بأدبه وهيهات هيهات ان تلد الولاّدات مثل أبي بكر وعمر

هذا وقد أوصاهم أبو بكر قبل رجوعه عنهم بوصية قصارى ما يقال فيها ان الدول المتمدنة الآن مع حرصها على تخفيف بلاء الحروب ودعواها العريضة في خدمة الانسانية والانسان ، ومراعاة حقوق العمران ، لم تستطع واحدة منهن ن تقيد جيوشها بمثل مضمونها او يرتبطن جميعاً بقاعدة من قواعدها وها هي بنصها

لا تخونوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ولا تعقروا نخلا وتحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً الا للاكل . وسوف تمرون باقوام قد فرغوا انفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له . وسوف تقدمون على قوم لحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فاخفقوهم بالسيف خفقاً

ثم قال اندفعوا باسم الله وأوصى أسامة ان يفعل ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فسار وأوقع بقبائل من قضاعة وأغار على أبنى موضع بناحية البلقاء [1] وغنم وعاد بعد اربعين يوماً وقيل بعد سبعين يوماً

﴿ باب ﴾

(الكلام على الردة)

« بحث في الردة »

ربما يتوهم متوهم من ايراد الكلام على أهل الردة على علاته ان الردة انما هي ارتداد العرب عن الاسلام الى الشرك كما توهم بعضهم في مناظرة جرت بيني وبينه من بضع سنين في مجلة الهلال التي تطبع في مصر والحال ان ردة العرب يومئذ لم تكن بهذه المثابة وانما اعتبرهم أبو بكر مرتدين لتركهم ركناً من اركان الدين وهو الزكاة . وللعلماء والمؤرخين مباحث بهذا الشأن أحببت ان ألخصها في هذا الكتاب ليظهر بها معنى الردة يومئذ على وجهه الصحيح فاقول

(١) في الجنوب الغربي من الشام

رأى العرب ضعف المسلمين واضطرابهم بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام لا سيما لما بلغهم استفحال امر مسيلمة الكذاب وطليحة الأسدي فأخذوا يتناجون في الامتناع عن دفع الزكاة التي ثقلت عليهم وعدوها كالاتاوة التي لا تطيب نفس العرب بدفعها ولم تلبث ان فشت هذه القالة بينهم حتى أظهروا الامتناع وطردوا عمال الزكاة ولما انتهى الخبر الى أبي بكر رضي الله تعالى عنه جمع الصحابة للشوري فاختلفوا في هل يقاتل العرب على تركهم شيئاً من الدين كما لو قوتلوا عليه كله

(قال الشهرستاني في الملل والنحل) فقال قوم لا نقاتلهم قتال الكفرة وقال قوم بل نقاتلهم حتى قال أبو بكر لو منعونى عقالا [1] مما أعطوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه ومضى بنفسه الى قتالهم ووافقه الصحابة بأسرهم وقد ادى اجتهاد عمر في ايام خلافته الى رد السبايا والاموال اليهم وأطلاق المحبوسين منهم

وفي سياق حكاية اقرار الصحابة على قتال اهل الردة بيان كاف في حقيقة تلك الردة التي قوتلوا عليها فقد نقل ابن شاكر في عيون التواريخ أن أبا بكر لما جمع الصحابة للشورى في قتال العرب يومئذ أشار عمر بعدم قتالهم فقال أبو بكر والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) في مشكاة المصابيح نقلاً عن النهاية ــ اراد بالعقال الحبل الذي يعقل به البعير الذي كان يؤخذ في الصدقة لان على صاحبها التسليم وانما يقع القبض بالرباط وقيل أراد ما يساوي عقالاً من حقوق الصدقة اذا أخذ المصدّق اعيان الابل قيل أخذ عقالا واذا أخذ أثمانها قيل أخذ نقداً اه وقال المبرد في الكامل ان المصدق اذا اخذ من الصدقة ما فيها ولم يأخذ ثمنها قيل أخذ عقالاً واذا اخذ الثمن قيل أخذ نقداً

لقاتلهم على منعها . فقال عمر كيف نقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله [١] وان محمدا رسول الله فمن قالها عصم مني ماله ودمه الا بحقها وحسابهم على الله)

فقال أبو بكر . والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال وقد قال الا بحقها . قال عمر رضي الله عنه فوالله ما هو الا أن رأيت الله شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت انه الحق اهـ

وذكر العلامة أبو الحسين عروة الحنبلي في رسالة البدع في الجزء العشرين من كتاب الكواكب [٢] أن قتال الصديق رضي الله تعالى عنه لاهل الردة انما كان لمنعهم الزكاة فقط وأفاض في هذا البحث مبيناً أن من ترك شيئاً من الدين يقاتل عليه كما لو قوتل عليه كله والزكاة من الدين فاجتهاد أبي بكر أداه لقتال العرب عليها اهـ

وفي حديث ابن مسعود الذي يقول فيه (وسيأتي بتمامه) فوالله مارضي منهم الا بالخطة المخزية أو الحرب المجلية . فاما الخطة المخزية فان يقروا بان من قتل منهم في النار . دليل على ان الردة لم تكن ردة عن الاسلام الى الشرك والا فما معنى اقرارهم على ان من قتل منهم في النار ولو كانوا على الشرك فهم في النار بالطبع انكروا او أقروا

وانما حمل العرب على منع الزكاة استثقالهم لها وعدها كالا تاوة بدليل

(١) هكذا في الاصل ولم ترد في هذه الرواية وانما وردت في رواية حتى يشهدوا ان لا الخ (٢) هذا الكتاب موجود في مكتبة دمشق الشام في جامع الملك الظاهر وهناك اطلعت عليه وهي المكتبة التي عنى بجمعها من بقايا الكتب الموجودة في المدارس القديمة المرحوم مدحت باشا لما اسندت اليه ولاية سورية سنة ١٢٩٥ واحسن مافيها هذا الكتاب والتاريخ الكبير للحافظ ابن عساكر في نيف وأربعين مجلداً

ما رواه المؤرخون من انّ عمرو بن العاص مر عند منصرفه من جيفر على بلاد بني عامر فنزل بقرة بن هبيرة وقرة يقدم قدماً ويؤخر اخرى ومعه عسكر من بني عامر فذبح له واكرم مثواه فلما أراد الرحلة خلا به قرة وقال ياهذا ان العرب لا تطيب لكم نفسا بالاتاوة فان اعفيتموها من أخذ أموالها فستسمع لكم وتطيع وان أبيتم فلا تجتمع عليكم . وكان عمرو من صناديد قريش ودهاتها فلم يعبأ بقوله بل أظهر لديه من الشهامة والشمم فوق ما ينتظر منه حيث قال له . أكفرت ياقرة وتخوفنا بالعرب فوالله لاوطئن عليك الخيل في حفش امك واحفاش بيت ينفرد فيه النفساء ثم قام وذهب

هذه حقيقة الردة فيمن لم يرتد حقيقة كمن شايع مسيلمة الكذاب وطليحة الاسدي قد بسطناها ليكون القارئ منها على علم وهي وأن تكن بتلك المثابة الا انها كانت تدل على شر عظيم يلحق بالمسلمين لو استفحل امرها واستهين بشأنها ولكن نهض لها ابو بكر رضي الله تعالى عنه بعزيمته الماضية . وحكمته السامية . فجزاه الله عن الاسلام خير الجزاء

﴿ قتال اهل الردة ﴾

اعلم انه كما كان للمهاجرين والانصار فضل وسابقة في نصرة الاسلام ومظاهرة النبي عليه الصلاة والسلام حتى طأ من بهم من إشراف من ناواه . واستخذى من عاداه . فلامامة قريش ايضا مثل هذا الفضل بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام فان قريشا استقبلت بصدورها حوادث الردة المريعة ونيرانها المتأججة وأخذت على عاتقها استخضاع العرب وقد ارتدت قبائلها عامة او خاصة الا ثقيفاً وقريشاً فاقتحمت رجالات قريش بالمهاجرين والانصار وثقيف وبعض الاحلاف ذلك الفجاج الذي يرتج باهل الردة ارتجاجا .

وخاضت بخيلها من حروب القوم بحراً عجاجا . وممن عقد له يومئذ من رجالات قريش خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل وعمرو بن العاص وخالد ابن سعيد والمهاجر بن أبي أمية ولم يلبث ان أطفأ أبو بكر نيران الردة بامثال هؤلاء الرجال حتى رمي برجال قريش أيضا جيوش القياصرة وجنود الأكاسرة وتابعه على ذلك عمر بن الخطاب فكان من قوادها في استخضاع تلك الجيوش الجرارة وتدويخ تلك الممالك العظيمة الشاسعة التي شيدت فيها صروح الاسلام وذكر على منابرها اسم محمد عليه الصلاة والسلام . خالد بن الوليد وخالد بن سعيد وعمرو بن العاص وأبو عبيدة بن الجراح ويزيد بن أبي سفيان ومعاوية ابن أبي سفيان وعياض بن غنم وحبيب بن مسلمة الفهرى وسعد بن أبي وقاص واضرابهم من صناديد قريش ورؤسائها الذين ذللوا من الصعاب وقطعوا من العقاب ولاقوا من الاهوال ما لا يحلم بذكره الانسان ، ولا يدانيهم فيه من مشاهير العالم مدان ، كما سترى بعدُ الا انه يؤخذ على بعضهم تساهلهم في أمور الفتن العظمى حتى استشرى شرها ، وعظم على الامة ضررها ، وهى شؤون وان كانت تحدث في كل قوم ، وتصاب بها الدول في كل عصر ، الا أن قريشاً كانت أولى في مثل عصرها الذي نزل فيه القرآن باطراح أسباب التخاذل والمزاحمة . والاخذ باسباب الحزم والتضافر . بعد اذ انتهت اليهم السيادة في الاسلام كما انتهت في الجاهلية ومع هذا فلا يسعنا نكران فضلهم على المسلمين بخدمتهم للاسلام في أيام الفتوح العظيمة واما ماعدا هذا فلهم فيه شؤون ربما فاتهم فيها الحزم أو قام لهم في مقامهم ذلك عذر وليست العصمة الا لله وللرسول ولله في خلقه شؤون

نعود الى ذكر قتال اهل الردة وذلك الموقف الحرج الذي وقف فيه

المسلمون بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فنقول

قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه لقد قمنا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما كدنا نهلك فيه لولا ان الله من علينا بأبي بكر . اجمعنا على أن لانقاتل على ابنة مخاض وابنة لبون وان نأكل قرى عربية ونعبد الله حتى تأتينا اليقين فعزم الله لابي بكر على قتالهم فوالله مارضي منهم الا بالخطة المخزية أو الحرب المجلية فاما الخطة المخزية فان يقروا بأن من قتل منهم في النار ومن قتل منا في الجنة وان يدوا قتلانا وتغنم ما أخذنا منهم وان ما أخذوا منا مردود علينا وأما الحرب المجلية فان يخرجوا من ديارهم

بلغ بعزيمة أبي بكر وعظيم رأيه بعد اذ رأى ما أصاب المسلمين من الغم ان آلى على نفسه ان لايدع العرب يقرلهم قرار الا والسيف اخذ برقابهم والاسلام ضارب بينهم بجرانه وبينما هو يطاول في الامر انتظاراً لرجوع اسامة بجيش المسلمين اعجلته عبس وغطفان واسد وطيء وكان بعضهم نازلا بذي القصة وبعضهم بالابرق فارسلوا اليه وفداً يبذلون الصلاة ويمنعون الزكاة فردهم خائبين فرجعوا واخبروا القوم بقلة المسلمين وضعفهم وقد غرتهم كثرتهم وأعماهم الجهل عن أنّ مع المسلمين قوة الايمان واليقين وفيهم من الصيد الصناديد وليوث الحرب الشجعان مثل عمر وعليّ وطلحة والزبير الذين لا يفل لهم حد ولا يدرك لهم جد

فخشي ابو بكر بعد مسير الوفد من البيات فجعل على انصار المدينة عليا وطلحة والزبير وابن مسعود وأمرهم بملازمة المسجد خوف الغارة من العدو فما لبثوا ثلاثاً حتى طرق العدو المدينة غارةً مع الليل وخلفوا بعضهم بذي حسي ليكونوا لهم ردأً فوافوا ليلا الانقاب وعليها المقاتلة فمنعوهم وارسلوا الى أبي

بكر فخرج بالمسلمين على النواضح فردوا العدو واتبعوهم حتى بلغوا ذا حسى[1] فخرج عليهم الردء بانحاء قد نفخوها وفيها الحبال ثم دهدهوها[2] على الارض فنفرت ابل المسلمين وهم عليها ورجعت بهم الى المدينة ولم يصرع أحد منهم

ثم خرج ابو بكر ليلا على تعبية فما طلع الفجر الا وهم والعدوّ على صعيد واحد فما شعروا بالمسلمين حتى وضعوا فيهم السيوف فولوا الادبار وأتبعهم أبو بكر حتى نزل بذى القصة وكان أول الفتح ووضع بها النعمان بن مقرّن في عدد ورجع الى المدينة فطرقت المدينة صدقات نفر كانوا على صدفة الناس وقدم في اثناء ذلك أسامة بن زيد بجيش المسلمين فاستخلفه ابو بكر على المدينة وجنده معه ليستريحوا ويريحوا ظهرهم ثم خرج فيمن كان معه فقام اليه عليّ والمسلمون وناشدوه الله ليقيم فأبى وقال والله لأواسينكم بنفسي وسار الى ذى حسى وذى القصة حتى نزل بالابرق فقاتل من به فهزمهم وغلب على بني ذبيان وبلادهم وحماها لدواب المسلمين ثم رجع الى المدينة فلما استراح اسامة وجنده وكان قد جاءهم صدقات كثيرة تفضل عليهم بادر أبو بكر الى تسيير الجيوش الى أهل الردة

﴿ تسيير الجيوش الى أهل الردة ﴾

عقد أبو بكر لقتال اهل الردة احد عشر لواء

الاول عقده لخالد بن الوليد وأمره بطليحة بن خويلد فاذا فرغ سار الى مالك بن نويرة بالبطاح ان أقام له

---

(١) ذوالقصة وذو حسى « او ذوخشب على رواية البعض » اماكن قرب المدينة لجهة نجد وهي منازل القوم

(٢) أي نفخوها والانحاء هى القرب

(٢) لعكرمة بن ابي جهل القرشي وسيّره الى مسيلمة

(٣) المهاجر بن ابي امية المخزومي القرشي وامره بجنود العنسي في اليمن ومعونة الابناء على قيس بن مكشوح ثم يمضي الى كندة بحضرموت

(٤) خالد بن سعيد بن العاص القرشي وبعثه الى مشارف الشام

(٥) عمرو بن العاص القرشي وارسله الى قضاعة

(٦) حذيفة بن محصن الغلفاني من حمير وأمره باهل دبا

(٧) عرفجة بن هرثمة البارقي من الازد وأمره بمهرة

(٨) شرحبيل بن حسنة حليف بني زهرة وارسله في اثر عكرمة بن ابي جهل واذا فرغ يلحق بقضاعة

(٩) معن بن حاجز السلمي وامره ببني سليم ومن معهم من هوازن

(١٠) سويد بن مقرّن من أوس وأمره بتهامة باليمن

(١١) العلاء بن الحضرمي حليف بني أمية ووجهه الى البحرين

لما سيّر ابو بكر هؤلاء الامراء كتب لهم عهداً ستأتي صورته في باب كتبه وخطبه وكتب لجميع المرتدين ايضاً كتاباً وسيّره مع الرسل وستأتي صورته ايضاً

(باب)

في ترجمة [illegible] المرتدين واخبارهم [illegible]

﴿طليحة الاسدي﴾

هو طليحة بن خويلد الاسدي من بني اسد بن خزيمة وكان قد تنبأ

في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكثر جمعه ومات النبي صلى الله عليه وسلم وهو على ذلك فتبعه كثير من العرب عصبية لهذا كان أكثر أتباعه من أسد وغطفان وطيء ولما قصد مهاجمة المدينة أمد هذه القبائل بأخيه حبال فافترقوا فرقتين فرقة أقامت بالربذة وفرقة سارت الى ذى القصه ثم أوفدوا وفداً الى أبي بكر يبذلون الصلاة ويمنعون الزكاة فأبى عليهم أبو بكر ذلك وجرى من امرهم وامر المسلمين ما [illegible] امراء المسلمين بالجيوش قصد خالد بن الوليد رضي الله عنه طليحة فهزمه وفرق جمعه وأسر منهم عيينة بن حصن الفزارى كما سيأتي تفصيل ذلك في سيرة هذا البطل المغوار ان شاء الله

ولما تفرق هذا الجمع اقبل فلالهم الى امرأة [illegible] ام زمل سلمى بنت مالك بن حذيفة بن [illegible] صلى الله عليه وسلم ووقعت لعائشه فاعتقتها فرجعت الى قومها ولما اجتمع اليها هذا الفل امرتهم بالقتال فجاءها خالد [illegible] جمعها وقتلها

[illegible] وسجاح

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امر على بطون بني تميم ستة امراء وهم الزبرقان بن بدر وقيس بن عاصم وصفوان بن صفوان وسبرة بن عمرو ووكيع بن مالك ومالك بن نويرة فلما وقع اليهم الخبر بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] ابي بكر بصدقات بني عمرو ووافى الزبرقان فاتبع صفوان بصدقات الرباب [illegible] طابخة وعدى وتيم وعكل وثور [illegible] وكلها من بطون تميم ومنها قيس بن عاصم ومالك بن نويرة [illegible] قيس [illegible] ولما [illegible] العلاء بن الحضرمي اخرج

الصدقات فتلقاه بهائم خرج معه واما مالك فتحير وتشاغلت تميم بعضها ببعض فقام من بقي على الاسلام في وجه من ارتد وبيناهم على اختلافهم اذ جاءتهم من الجزيرة سجاح بنت الحرث بن سويد بن عقفان التميمية وكانت ورهطها في اخوالها من بني تغلب في الجزيرة فادعت النبوة وجاءت تريد غزو ابي بكر فطلبت من مالك بن نويرة الموادعة فوادعها وردها عن غزو المدينة وحملها على غزو المسلمين من بني تميم فجاءهم امر أعظم مما هم فيه لاختلافهم ففروا امامها اما هي فسارت تريد المدينة حتى بلغت النباج قرية بالبادية فأغار عليها اوس بن خزيمة الهجيمي في بني عمرو من تميم واسر بعض رجالها ثم تحاجزوا على ان يطلقوا اسراها وتطلق اسراهم وترجع فلا تجتاز عليهم فيئست بذلك من الذهاب الى المدينة وانقلبت تريد اليمامة وجرى لها مع مسيلمة امور لا محل لذكرها هنا ثم رجعت الى الجزيرة ولم تزل في تغلب حتى نقلهم معاوية عام المجاعة وجاءت معهم وحسن اسلامها واسلامهم

﴿ مالك بن نويرة ﴾

ندم بنو تميم كلهم على ماصنعوا وتراجعوا الى الاسلام وادّوا الصدقة الاّ مالك بن نويرة فانه بقي متردداً بين الامرين واجتمع اليه قومه بالبطاح فسار اليه خالد بعد ان انتهى من امر طليحة فلما علم مالك بمسيره اليه امر قومه فتفرقوا في المياه فبث خالد السرايا في اثرهم فأتي بجماعة منهم اسرى وفيهم مالك فأمر بقتلهم فقتلوا وسيأتي تفصيل هذا الخبر في سيرة خالد بن الوليد

﴿ مسيلمة واهل اليمامة ﴾

كان مسيلمة ممن وفد مع قومه بني حنيفة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما رجع ومن معه الى منازلهم باليمامة ادعى مسيلمة النبوّة وانه

أشرك مع محمد بالامر واجتمع عليه بنو حنيفة وكانوا اربعين الف مقاتل ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث ابو بكر البعوث عقد لعكرمة ابن أبي جهل الى اليمامة كما تقدم وامده بشرحبيل بن حسنة فلم يتربص ريثما يصله المدد بل تعجل ليكون له الفضل خاصة وتقدم فواقع القوم فنكب فكتب الى ابي بكر بالخبر فغضب عليه ابو بكر وكتب اليه لا ارينك ولا تراني فتوهن الناس امض الى حذيفة وعرفجة فقاتل اهل عمان ومهرة ثم تسير انت وجندك تستبرؤن الناس حتى تلقى مهاجر بن أبي أمية باليمن وحضرموت

وكتب الى شرحبيل بالمقام الى ان يأتيه المدد مع خالد بن الوليد فاذا فرغوا من مسيلمة تلحق بعمرو بن العاص تعينه على قضاعة . فلما رجع خالد من البطاح الى ابي بكر واعتذر اليه عما صنع بمالك وقومه فقبل عذره ورضي عنه وجهه الى مسيلمة واوعب معه المهاجرين والانصار وعلى الانصار ثابت بن قيس بن شماس . وعلى المهاجرين ابو حذيفة وزيد بن الخطاب. وسار خالد للقاء مسيلمة فأمده ابو بكر بسليط ليكون رداء له لئلا يؤتى من خلفه فلما علم مسيلمة ومن معه بدنو جنود خالد خرجوا فعسكروا في منتهى ريف اليمامة واستنفروا الناس فنفر اليهم عدد كثير

تقدم خالد وعلى مقدمته شرحبيل ولما كان على ليلة من معسكر بني حنيفة التقى بسرية منهم راجعة من بلاد بني تميم وعامر لادراك ثأرلهم وعليهم مجاعة بن مرارة من سادات بني حنيفة فأمر بهم خالد فقتلوا الا مجاعة فانه استبقاه لشرفه ثم سار خالد حتى التقى بجيش المرتدين في مكان يدعى بعقرباء وجرى بينهم قتال شديد بيعت فيه الارواح بيع السماء واصيب

المسلمون بناس من ذوي البصائر والشرف. وانتهى الامر بقتل مسيلمة وانهزام بني حنيفة وسيأتي هذا الحرب مفصلاً في سيرة خالد بن الوليد ان شاء الله تعالى فان هذا الموطن من مواطنه العظيمة في حروب الردة

﴿ ردة اهل البحرين ﴾

كان اهل البحرين وهم قبائل من ربيعة قد وفدوا على النبي صلى الله عليه وسلم في حياته وأسلموا فأمر عليهم المنذر بن ساوي فلما توفي عليه الصلاة والسلام كان المنذر مريضاً فتوفي عقبه فارتد اهل البحرين فأما بكر فتمت على ردتها وأما عبد القيس فراجعت الاسلام بهمة الشهم الجليل الجارود بن المعلى العبدي وكان جاء الى النبي عليه الصلاة والسلام وتفقه في الدين وامتلاء قلبه بنور اليقين وعاد الى قومه عبد القيس فكان فيهم الى حين الردة فجمعهم لما قالوا لو كان محمد نبياً لم يمت وقال لهم: أتعلمون انه كان لله انبياء فيما مضى. قالوا [illegible] فما [illegible] ان محمداً قد مات كما ماتوا وأنا أشهد أن [illegible] رسول الله. فأسلموا وثبتوا على اسلامهم

هكذا تسعد الامم بواحد وتشقى بآخر وليس بين الشقاء والسعادة الا [illegible] النفس المالكون [illegible] فانما [illegible] وانما هي [illegible]

[illegible]

و [illegible] الا [illegible] من [illegible] بنور الهدى فكانوا

للحق انصاراً ، والاسلام اعوانا . وفيمن كان من هؤلاء في اهل الردة فاهتدى
به قومه وسعدت بالتمسك بعرى الاسلام عشيرته فكانت عوناً للمسلمين على
المرتدين هذا الشهمان الجارود بن المعلى العبدي وصفوان بن صفوان التميمي
وعدي بن حاتم الطائي وأمثالهم من اهل البصيرة والرأي الذين اراد الله ان
يضرب بهم وجوه المرتدين ، ويكونوا عوناً للمسلمين ، لعلو كلمة هذا الدين ،
ولو كره المشركون

لما اجتمع الى الجارود قومه من المسلمين واستمروا على الاسلام خرج
اليه الحطم بن ضبيعة من بكر بن وائل ومعه جمع عظيم من المشركين والمرتدين
ليستبيحوا حماه وينتقموا على زعمهم ممن جاراه فنزلوا على القطيف وهجر وحصروا
أصحاب الجارود فارسل ابو بكر كما نقدم العلاء بن الحضرمي لاهل البحرين
فلما كان بحيال اليمامة [illegible] قيس
ابن عاصم المنقري في قومه وأتاه كثير من اهل اليمامة فسلك بهم الدهناء حتى
اذا كان في بحبوحتها نزل وأمر الناس بالنزول في الليل فنفرت الابل باحمالها فما
بقي عندهم بعير ولا زاد ولا [illegible] فلحقهم [illegible]
بعضاً فدعاهم العلاء فاجتمعوا اليه فقال [illegible] الذي [illegible] من الغم فقالوا
كيف نلام ونحن ان بلغنا غداً لم تحم الشمس حتى [illegible]

حقاً انه لموقف يروّع الصابر ، ويستدعي اليأس من الحياة ، إبل نافرة
بالزاد والماء ، وصحراء داوية [illegible] الرمضاء منقطعة عن العمران لا يعرف
فيها الماء ولا يقطعها الا مزود [illegible] المسلمين [illegible] زاد لديهم
ولا ماء يبل صداهم ، فماذا يصنعون ؟

رحماك اللهم فان [illegible] في مثل

هذه الدهناء ما دام في سبيل الله سعيها، والى نصرة الحق قصدها، فقال لهم: لن تراعوا أنتم المسلمون وفي سبيل الله وأنصار الله فابشروا فوالله لن تخذلوا: فلما صلوا الصبح دعا العلاء ودعوا معه فلمع لهم الماء فمشوا اليه وشربوا واغتسلوا فما تعالى النهار حتى اقبلت الابل تجمع من كل وجه فأناخت اليهم فسقوها

فكأن الله سبحانه وتعالى امتحن بهذه النازلة قلوباً لم يتمكن منها اليقين وأسعفهم بعد الشدة برحمته ليوقنوا انه لا يتخلى من عباده المخلصين

ثم ارسل العلاء الى الجارود يأمره ان ينزل بالحطم مما يليه وسار هو فيمن معه حتى نزل عليه مما يلي هجر فاجتمع المشركون الى الحطم الاّ اهل دارين واجتمع المسلمون الى العلاء وخندق كل نفسه وكانوا يتراوحون القتال فاذا أمسوا رجع كل الى خندقه حتى اذا كان ليلة سمع المسلمون ضوضاء من ناحية المشركين فأرسل العلاء من يستعلم الخبر فجاء بأنهم سكارى فبيتهم المسلمون شرّ بيات ووضعوا فيهم السيف كيف شاؤا حتى هربوا وهم بين مقتول ومأسور وقتل زعيمهم الحطم ثم قصد فلّهم جزيرة دارين في الخليج الفارسي وعبروا اليها في السفن فعبر خلفهم المسلمون وقاتلوهم هنالك فظفروا بهم وتم النصر للمؤمنين فكتب العلاء الى أبي بكر بالفتح

﴿ عمان ومهرة ﴾

لما أسلم اهل عمان في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ولى عليهم الاخوين جيفراً وعياداً ابني الجلندي وكان قد نبغ في عمان ذو التاج لقيط بن مالك الازدي وكان يسمى في الجاهلية الجلندي وادعى بمثل ما ادعى من تنبأ وشاب على عمان مرتداً فتبعه كثير من اهلها فخافه ابنا الجلندي فعاذ بالجبال وبعث

جيفر الى ابي بكر فبعث اليه حذيفة بن محصن وعرفجة بن هرثمة كما تقدم الخبر عن هذا وأرسل في أثرهما عكرمة بن أبي جهل بعد هزيمته في اليمامة فلحقهما قبل ان يصلا عمان فلما قاربوها كاتبوا جيفراً فأتاهم وعسكروا بصحار عاصمة عمان أما لقيط فانه جمع جموعه وعسكر بدبا فالتقى الفريقان واقتتلا قتالا شديداً كاد المسلمون ينهزمون فيه لولا ان الله منّ عليهم بمدد عظيم من بني ناجية وعليهم الخريت بن راشد ومن عبد القيس وعليهم سيحان بن صوحان وغيرهم فاستظهروا بهم وهزموا المشركين ثم سبوا الذرية وقسموا الغنيمة وبعثوا الى ابي بكر بالخمس مع عرفجة وأقام حذيفة بعمان يسكن الناس

وأما مهرة فان عكرمة بن أبي جهل سار اليهم لما فرغ من عمان ومعه جمع من ناجية وعبد القيس وراسب وسعد فاقتحم بلادهم فوافق بها جمعين من مهرة مختلفين أحدهما مع سخريت رجل منهم والثاني مع المصبح أحد بني محارب ومعظم الناس معه فالتمس عكرمة الحيلة بأن كاتب سخريتاً فاجابه وأسلم وكاتب المصبح يدعوه فلم يجب فرأى أن يمحو ما لحقه من غضب أبي بكر لانهزام جيشه في حرب مسيلمة فقاتل المرتدين قتالا شديداً فانهزموا وقتل رئيسهم وأصاب المسلمون ما شاؤا من الغنائم فبعث عكرمة بالاخماس الى أبي بكر مع سخريت وأقام هنالك يدبر الامور ويدعو الناس الى الاسلام حتى اجتمع الناس على ما يحب وضرب الاسلام بجرانه

﴿ ردة اليمن ﴾

لما فتحت اليمن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولى عليها باذان الفارسي الذي كان عاملا للاكاسرة على اليمن ثم دان بالاسلام وكان مقره صنعاء فلما مات قسم النبي صلى الله عليه وسلم عمله على ولده شهر ونفر من

الصحابة منهم ابوموسى الاشعري وخالد بن سعيد بن العاص وغيرهم فثار عليهم رجل من عنس اسمه عبهلة ولقبه ذو الخمار وشهرته الاسود فادعى النبوة فاجابه بعض العرب ثم جرت معه امور يطول ذكرها انتهت بقتله وأقام أصحاب الاسود يترددون بين صنعاء وعدن لا يأوون الى احد وتراجع عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أعمالهم و بعثوا الى المدينة بالخبر وقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما شاع خبر الوفاة ارتد قيس بن عبد يغوث وكاتب المنهزمين من جنود الاسود فاجتمعوا اليه وأراد ان يحتال في قتل كبار الابناء (وهم جماعة أصلهم من فارس واستوطنوا اليمن وهم الذين قتلوا الاسود العنسي) فهيأ لهم طعاماً ودعاهم اليه فظفر بواحد منهم وهو داذويه ونجا الباقون وهما اثنان فيروز وخشنش[1] فطلبهما فامتنعا بقبيلة خولان فرجع قيس الى صنعاء فاستأثر بها وعمد الى عيالات الابناء فغرّبهم وأخرجهم فلما علم بذلك فيروز استمد بني عقيل بن ربيعة وعك فساروا واستخلصوا عيالات الابناء التي سيرها قيس وقتلوا من معها من الرجال ثم انصرفوا الى فيروز فقاتل بهم قيساً ورجاله حتى هزمهم وفي غضون ذلك اتاهم المهاجر بن أبي أمية الذي عقد له أبو بكر لواء وسيره لقتال جنود العنسي ومعاونة الابناء وجاء على اثره عكرمة بن أبي جهل بعد ان انتهى من عمان ومهرة فساعدا الابناء على قتال جنود قيس بن عبد يغوث حتى انهزموا واسر قيس وعمرو ابن معد يكرب الزبيدي الذي كان ارتد واتبع الاسود فسيراهما الى أبي بكر

كان ابو بكر رضي الله تعالى عنه يتألف القلوب بالاناة ولا يتعجل بالعقوبة فلما وصل اليه قيس أنبه على ما فعل فأنكر أن يكون قارف من أمر داذويه

(١) وفي تاريخ الطبري جشيش

شيئاً ولم يكن هنالك دليل ظاهر على قتله له لان القتل كان خلسة فتجافى له عن دمه وتجاوز له عن سوء عمله وقال لعمرو بن معد يكرب أما تستحي انك كل يوم مهزوم أو مأسور [1] لو نصرت هذا الدين لرفعك الله . فقال لا جرم لأ قبلن ولا أعود . ورجعا الى عشائرهما مؤمنين وكان لعمرو بن معد يكرب البلاء الحسن في فتوح نهاوند بعد . وفيها استشهد على ما سترى

﴿ كندة وحضرموت ﴾

كان زياد بن لبيد الانصاري عاملا على كندة وحضرموت بالنيابة عن المهاجر بن أبي أمية الذي تولى هذا العمل من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما تأخر بالمدينة بسبب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم استخلف على عمله زياداً وكان قد ولي صدقات بني عمرو بن معاوية من كندة بنفسه فقدم عليهم فوقع بينه وبينهم خلاف على بكرة وقع عليها ميسم الصدقة غلطاً فطلبوا اليه استبدالها بغيرها فأبى وأغلظ على شيطان بن حجر وأخيه العداء فاستغاثا بحارثة بن سراقة بن معد يكرب فأقبل الى زياد وحل عقال الناقة وبعثها وقام دونها فأمر زياد شبابا من حضرموت والسكون فمنعوه وكتفوه وكتفوا اصحابه وأخذوا البكرة وتصايحت كندة وغضبت بنو معاوية لحارثة وأظهروا أمرهم وغضبت حضرموت والسكون لزياد وتوافى عسكران عظيمان من هؤلاء ولم تحدث معاوية شيئاً خوفاً على اسراهم ولم يجد اصحاب زياد سبيلا يتعلقون به عليهم وأمرهم زياد بوضع السلاح فلم يفعلوا ونهد اليهم ليلا فقتل منهم وتفرقوا

---

(١) كان عمرو قد انهزم من خالد بن سعيد بن العاص في اول ردته وأخذ منه خالد سيفه الصمصامة ولم يزل عنده حتى استشهد بالشام فصار الى بني العاص ثم الى بني أمية ثم الى بني العباس الى عهد الواثق حيث أمر بدفعه الى صيقلي ليسقنه فتغير

لما تفرق القوم اطمأن زياد من جهتهم فأطلق حارثة ومن معه ولم يتربص ريثما يصل اليه المهاجر بجيشه ليأمن غدرهم فلما رجع الاسرى الى اصحابهم حرضوهم على زياد ومن معه واجتمع منهم عسكر ونادوا بمنع الصدقة . ومن هذا يعلم ان كندة آخر من منع الصدقة بعد ردتهم الاولى مع الاسود العنسي وانما الجأهم الى ما فعلوا الآن ما وقع بينهم و بين زياد من الخلاف

اجتمع الملوك الاربعة منهم ونزلوا المحاجر وهي احماء حموها ونزلت بنو الحرث بن معاوية محاجرها فنزل الأشعث بن قيس محجراً والسمط بن الاسود محجراً وأطبقت بنو معاوية على منع الصدقة الا الشهم الهمام شرحبيل بن السمط وابنه فانهما قالا لبني معاوية : انه لقبيح بالاحرار التنقل ان الكرام ليلزمون الشبه فيتكرمون ان ينتقلوا الى أوضح منها مخافة العار فكيف الانتقال من الامر الحسن الجميل الى القبيح ومن الحق الى الباطل ألهم انا لا نمالىء قومنا على ذلك

فلله ما أسمى هذه النفوس وأشرف هذه الشيم وأعلا هذه المدارك وانما ساد المسلمون لا بكثرة وغلبوا على من غلبوا من الامم لا بقوة عدد وعديد وانما هو برجال مثل هذين لم تضعف في مواطن الشدة قلوبهم ولم تلفتهم عن الحق رغبة باهل او وطن أو رهبة من عدو ذي شوكة فاللهم ارزق المسلمين الآن امثال اولئك الرجال وغيّر حالهم الذين انتهوا اليه بأحسن حال انك مجيب السؤال

قال شرحبيل وابنه لقومهما ما قالا ثم انتقلا الى المسلمين ومعهما امرؤ القيس بن حابس وكان من حسن رأيهما وعظيم فضلهما و بعد نظرهما ان اشارا

على زياد ببيات القوم وقالا له ان اقواماً من السكاسك والسكون قدانضموا اليهم وكذلك شداد من حضرموت فان لم تفعل خشينا ان تتفرّق الناس عنا اليهم . فاستحسن رأيهما وأجابهما الى تبييت القوم فطرقوهم في محاجرهم وجاؤهم من خمسة أوجه وهم جلوس مكبون على نيرانهم فقتلوا الملوك الاربعة وقد كان لعنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فادركتهم لعنته وفرّ من قومهم من نجا من القتل وعاد زياد بن لبيد بالسبي واجتاز بالاشعث بن قيس فثار في قومه واستنقذهم وجمع الجموع فكتب زياد الى المهاجر بن أبي أمية يستحثه فلقيه الكتاب في الطريق فاستخلف على الجند عكرمة بن أبي جهل وتعجل في سرعان الناس وقدم على زياد وسار الى كندة فالتقوا بمحجر الزبرقان فاقتتلوا فانهزمت كندة وخرجوا هراباً الى ملجأ لهم يسمي النجير وقد رموه وأصلحوه وسار المهاجر فنزل عليهم وتحصنت كندة بالنجير فحصرهم المسلمون وقدم عكرمة فاشتدّ الحصار على كندة وتفرقت السرايا في طلبهم فذلوا وخشعوا وخاف من بالنجير من الامراء على نفوسهم فخرج الاشعث مع تسعة نفر فطلبوا من زياد ان يؤمنهم وأهليهم على أن يفتحوا لهم الباب فاجابهم الى ذلك وقال اكتبوا ماشئتم ثم هلموا الكتاب حتى اختمه ففعلوا ونسي الاشعث نفسه فأخذوا وارسل مع السبي الى أبي بكر

لما قدم الاشعث المدينة أنبه أبو بكر وشدّد عليه النكير فلما خشى القتل قال أو تحتسب فيّ فتطلق إساري وتقيلني عثرتي وتفعل بي مثل مافعلت بامثالى وترد عليّ زوجتي (وقد كان خطب أمه فروة أخت أبي بكر فلماقدم على النبي صلى الله عليه وسلم أخرها ان يقدم الثانية) فان فعلت ذلك تجدني خير أهل بلادي لدين الله فحقن ابو بكر دمه وردّ عليه أهله وأقام بالمدينة حتى فتح العراق

وكان له شأن ربما يمر معنا ذكره

﴿ كلمة في حروب الردة ﴾

انتهت حروب الردة على ما رأيت وثاب العرب الى السكون بعد ان علموا ان الاسلام يعلو ولا يعلى عليه وان المسلمين قوم نصروا الله والحق فنصرهم على أعدائهم ومكن لهم السلطان في الارض

لو علم العرب ما اعد لهم بواسطة الاسلام من سعادة الدنيا والآخرة وكشف لهم الغطاء عن ذلك الملك العظيم الذي سيؤول اليهم والسلطان العميم الذي سيصبح بايديهم لما لعبت الهواء برؤسهم ، واخذت الجاهلية الاولى بمجامع نفوسهم ، ولكن هو الدين دابه ان يلقى من الناس عناداً ، ومن العقول القاصرة اعراضاً . حتى يتبين لها انه الحق فترضاه ، وانه سبيل الهدى والسعادة فتقصد اليه وتتوخاه ،

تبين معنا من أخبار الردة امور جديرة بالاعتبار حرية بامعان النظر لا نحب ان يفوتنا النظر اليها و بيان ما يستنتج منها وهي

(١) ان المرتدين منهم من توقف عن أداء الزكاة فقط وهم عامة العرب ومنهم من أرتد فعلا وهم بعض القبائل التي قام فيها المتنبئون الاربعة

(٢) ظهور دعوى النبوّة بين العرب حتى ادعاها اربعة رجال وامرأة من عهد الرسالة الى نهاية أيام الردة وهم الاسود العنسي في اليمن وطليحة في أسد وغطفان ومسيلمة في بني حنيفة وسجاح في اخوالها من بني بكر ورهطها من بني تميم ولقيط بن زرارة في عمان

(٣) انقسام معظم العرب في حروب الردة فبعضهم للاسلام وبعضهم عليه

(٤) سرعة التوفيق في انهاء حروب الردة

(٥) مصاحبة النصر للمسلمين في كل وقائعهم

فاما الامر الاول فهو يؤيد ما تقدم معنا في مقدمة الكلام على الردة من انها ليست على اطلاقها وانما هو اجتهاد من ابي بكر رضي الله تعالى عنه خالفه فيه كثير من الصحابة ثم لما رأوا ان المصلحة تؤيد وقتئذ ما ذهب اليه أبو بكر وافقوه على ما ارتآه ومع هذا فلما كانت خلافة عمر بن الخطاب ورأى ان هذه المصلحة زالت بزوال أسبابها وان بقاء من أسر من المرتدين في حالة الرق مع انهم لم يكونوا ممن يجوز عليهم الرق عار على العرب محظور في الاسلام قال : انه لقبيح بالعرب ان يملك بعضهم بعضاً وقد وسع الله وفتح الاعاجم فاستشار الصحابة فى فداء سبايا العرب ثم وضع الفداء ورد السبايا

واما الامر الثاني وهو فشو دعوى النبوّة بين العرب فهو عندى معجزة من معجزات النبوة وقد حملها بعضهم على ترقي افكار العرب قبيل ظهور الاسلام ولا دليل لهم على ذلك وانما هو الغرض يثير بالنفوس ثائرة البغضاء ويستل من بين الجوانح روح الحق فيعمى البصائر ويكشف ما تكنه من ذلك السرائر والا فأي باحث في التاريخ طلاب للحقيقة يقول ان فشو دعوى النبوة يومئذ منشأوه ترقي افكار العرب مع ان هذه الدعوى انما فشت بعد ظهور الاسلام وبعثة محمد عليه الصلاة والسلام لا قبل ظهوره واذا أدعاها واحد أو اثنان قبل البعثة فلأن بعض الحكماء منهم كانوا يعلمون ببعثة نبي في العرب بشرت به الكتب السابقة فكانوا يترقبونها لأنفسهم واما عامة العرب فقد كانوا كالصم البكم مستغرقين في عبادة الاوثان لا يعرفون معنى الرسالة ولا يسمعون باسم النبوة الا اهل الكتاب منهم كطيئ مثلا وهم اول من خذل مسيلمة وكان للاسلام نصيرا وللموحدين ظهيراً

والحقيقة التي يشهد بها التاريخ ويؤيدها العقل ان دعوى النبوة انما ظهرت في العرب بعد الاسلام حسداً للرسول عليه الصلاة والسلام وطلباً للرياسة وظنا من القائمين بهذه الدعوى ان مجرد الاعتصام بالقوة وجمع الجموع يكفي لتأييد دعوى النبوة ثم التذرع بها للقبض على زمام السيادة مجاراة للرسول على زعمهم وحسب العاقل ان يفرق بين النبوة وبين التنبيء بما اقترن بهاتين من الحوادث يومئذ ومنها ان النبي محمدا عليه الصلاة والسلام ظل عشرين سنة يدعو الى الاسلام ومات ولم يجتمع لديه من المقاتلة ما اجتمع في بضعة اشهر لمسيلمة الذي كان جيشه الذي قاتل به خالد بن الوليد أربعين الفا باتفاق المؤرخين ومع هذا فقد سحق هو ودعواه وجيشه بصدمة واحدة من صدمات الاسلام كما سحق غيره من المتنبئين الذين حشدوا الجيوش واعدوا العدة لمكافحة الاسلام فصدمهم بقوة رجاله القليلين وأرداهم . ومحاهم من الوجود في أقل من سنة ودعواهم .

وأما الرسول صلى الله عليه وسلم فقد ظلت العرب تناصبه العداوة وتنازله ومن تبعه في ساحة القتال مدة رسالته كلها ومع هذا فقد كانت كلمته هى العليا والمسلمون على قلتهم هم الظافرون . فلم هذا ؟

لانه صلى الله عليه وسلم كان مؤيداً بمدد النبوّة الصحيحة والفيض الالهي العظيم الذي لاتغني عنه الجيوش الكثيفة ولا يقوم مقامه ترقي الافكار ولو انصف اولئك الناس وانعموا النظر في كثرة المتنبئين في عهد الرسالة وكثرة ماحشدوا وجندّوا لتأييد دعواهم ثم انطفاء نارهم وانسحاق جندهم وانمحاق دعوتهم في تلك المدة القليلة واستمرار قوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم نامية مهيبة ودعوته قائمة منتشرة واتباعه في ازدياد حتى بلغوا الى هذا العهد

سدس البشر وضرب الاسلام بجرانه في معظم انحاء الارض لعدوا هذا كله معجزة من معجزات النبوة أراد الله بيانها للناس ليؤيد بها رسالة نبيه محمد عليه الصلاة والسلام ويظهر الباطل في جانب الحق ليميز بين الاثنين . ويعلم المعاند أن محمداً نبي الله حقاً بلامين . ولكن ما الحيلة (فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)

وأما الامر الثالث وهو انقسام العرب في حروب الردة بين منتصر للاسلام وقائم عليه فهو من لطف الله تعالى الذي أراد به تأييد جانب المسلمين . وتعجيل الفتح المبين . وفيه دليل على ان الناس انما يصلحون بالرؤساء ويفسدون كذلك لانهم لرؤسائهم تبع ولزعماء السيطرة عليهم مقلدون . فان كلمة من عدي بن حاتم الطائي مثلا كفت لانحياز انجاد طيء وفرسانها لجانب المسلمين وقتالهم في صفوف الموحدين فان عدياً لما كان شبيها بأبي النقيصة وقد سبق منه الايمان بدين الله القويم . وتوكيد العهد على مظاهرة المسلمين . بادر الى قومه لما انحازوا الى طليحة الأسدي ونصحهم على الوفاد بالعهد . وعدم الخروج عن الايمان فسمعوا له واطاعوا . ولما اشار به انصاعوا . حتى قيل يومئذ (كان عدي خير مولود في طيء واعظمه بركة عليهم) وذلك لتخلقهم بكريم اخلاقه . وتمسكهم بالاسلام اقتداء به . واتباعا لنصيحته

وكذلك ما كان من صفوان بن صفوان والزبرقان بن بدر في قومهما من تميم حتى اقتدوا بهما وأطاعوا اشارتهما فقاموا في وجه من ارتد من احياء تميم . وانحازوا مع ذينك الشهمين الى المسلمين .

وأما الامر الرابع . وهو سرعة التوفيق بانهاء حروب الردة . والامر الخامس وهو مصاحبة النصر للمسلمين . فانهما ولا ريب من نتائج حسن

اليقين عند المجاهدين وتجردهم لنصرة الاسلام تجرد من لا يرى الحياة الا بالموت ويرجو من ثواب الشهادة في اعلاء كلمة المسلمين ، أكثر مما يرجو من متاع الدنيا ومكافأة المكافئين ، وحق لرجال باعوا نفوسهم في سبيل الدين واعزاز جانب اخوانهم الموحدين ان تدك امامهم شوامخ الجبال ، لا صفوف الرجال ويستخذى لهم الملوك الكبار ، لا سكان القفار

ولا ينكر ما لأبي بكر رضي الله تعالى عنه من حسن الاختيار بمن ولاهم حروب الردة من القواد العظام الذين أمعنوا بجيوش المسلمين القليلة في أحشاء بلاد العرب وجابوا انحاءها القاصية حتى بلغوا مشارف الشام والجزيرة شمالا وشطوط البحر الهندي جنوباً والعراق العربي وخليج فارس شرقا وشطوط البحر الاحمر ومضيق باب المندب غربا ولم تكن غيبتهم الا كما يغيب المرتاد للمناجع ثم انقلبوا ظافرين وقد عمموا في جزيرة العرب دعوة القرآن ، وجمعوا سكانها على كلمة الايمان ،

وقد نتج عن هذا كله ان وقعت هيبة الاسلام في قلوب العرب وايقنوا انه الدين الحق الذي لا يفلح مناوئه ، ولا ينجح شانئه ، فاقبلوا بأجمعهم اليه ، وجمعوا كلمتهم المتفرقة عليه ،

باب

فتوحات أبي بكر

(تمهيد للفتح الاسلامي)

رأى أبو بكر رضي الله تعالى عنه أن لا يدع لبعض المنافقين الذين لا

يروق لهم سمو شأن الاسلام وقتاً لدس سموم الفتنة في جسم تلك الأمة العظيمة التي جمعتها كلمة الاسلام وان يشغلهم مع الجيوش الاسلامية بالفتح تعميما للدعوة الاسلامية وبثا لروح العدل والحرية بين الأمم فما هو الآن ولج بالعرب هذا الباب حتى انكفأوا على الأمم التي مزقت احشاءها سيوف الاهواء والاوهام ، وقضي على مجدها القديم ظلم ارباب السيطرة على النفوس والاجسام، فلم يلبث أن وافاها المسلمون يحملون لفريق أهل الكتاب منها (قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألاّ نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً) ولفريق الصابئة ومن على نحلتهم من المشركين (الاسلام أو الجزية أو السيف)[1] حتى اشرأبت لعدل سلطانهم اعناق الناس . ودانت لدينهم الشعوب. وخضعت لسطوتهم الأمم فعمروا المسالك، وشادوا الممالك ، ومصروا الامصار وكانوا خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون القسطاس ويأخذون من أنفسهم للمظلوم حتى يرضى ، كما يأخذون على يد الظالم

---

(١) قاعدة الجهاد وبث الدعوة في الاسلام هى ان لايقبل من مشركى العرب الا الاسلام واما اهل الكتاب فالاسلام وان أبوا فالجزية وهى مايستعان به على اصلاح شان الامة وان ابوا فالسيف أي الحرب وهي منتهى درجات الدعوة وانما كانت الحرب مصاحبة للدعوة لحمايتها كما يفعل الآن وقبل الآن دول الافرنج في حماية المبشرين بالاساطيل والجند والعدة والعديد

وقد اختلف في المشركين من غير العرب أي المجوس هل يحاربون على الاسلام أو الجزية أم على الاسلام فقط والمشهور ان النبي صلى الله عليه وسلم قبل من المجوس من اهل هجر الجزية وأما العرب فلن يقبل منهم الا الاسلام وبهم نزل كثير من آيات الجهاد ومن ثم تعلم خطأ القائلين بقيام الاسلام بين الامم بالاكراه وهو لم يقم الا بالدعوة كما فصلنا ذلك في رسالتنا المسماة كيفية انتشار الاديان تفصيلا شافياً

حتى يحذى ،

اما والله لن تبلغ امة بالظلم والقوة ،وكثرة العديد والعدة ،ما بلغه المسلمون في ربع قرن من استخضاع الأمم بالعدل والايغال في احشاء الممالك بدعوة القرآن فليمسك المتخرصون ، ولينصف الغربيون ، فان سلطان الظلم اذا اسرع بسيفه الى الرقاب، فلا سلطة له على النفوس، وانما تملك النفوس، بالعدل، وتلتف الناس على القائم بالقسطاس ،السائس بالرحمة،الباسط بساط الحرية والامن ،ومن لهذا غير اولئك الفاتحين الاخيار، وأنى يجاريهم ساسة الممالك في هذا المضمار، فجزاهم الله خير جزاء على ماتركوا من حسن الاثر للمسلمين ، وبئس من غلبتهم الشهوات بعدهُ فغيروا وبدلوا فكانوا من الخاسرين ، وقذفوا بالامة من حالق مجدها الى وهدة الذل المهين .

أجل ان أكثر مافتح اولئك الفاتحون البواسل بالعدل لا بالسيف ، وبنصفة المغلوبين لهم لابالحيف . ولما سقلت على الأمم القديمة وطأة الاستعباد، واستحكمت نفوس ساستهم شكيمة الظلم والاستبداد ، تلقوا المسلمين في الظاهر بالحرب ، وفي الباطن بالمسرة والحب ، ولا يسع المغلوب على أمره من مستبد قاهر الا ان يساق بعصاه كما سيق المحاربون لاهل الاسلام وهم مكروهون ، ولأ دالة دولتهم من العرب متمنون،وأيّ شاهد على هذا أعدل من التاريخ الذي ينطق عليهم بالحق ولا يقول الا الصدق

روى البلاذري في فتوح البلدان انه لما جمع هرقل للمسلمين الجموع وبلغ المسلمين اقبالهم اليهم لوقعة اليرموك ردوا على اهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من الخراج وقالوا قد شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم فانتم على أمركم فقال أهل حمص لولايتكم وعدلكم أحبّ الينا مما كنا فيه من الظلم والغشم

ولندفعن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم . ونهض اليهود وقالوا والتوراة لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص الا ان نغلب ونجهد فاغلقوا الابواب وحرسوها . وكذلك فعل اهل المدن التي صولحت من النصارى واليهود وقالوا ان ظهر الروم واتباعهم على المسلمين صرنا الى ما كنا عليه والا فانا على أمرنا ما بقي للمسلمين عدد

واحزناه على ذلك العدل . قوم نشأوا في مهد دولتهم ونشأت في أحضانهم . ودانوا بدينها ودانت بدينهم . يغلقون في وجهها الابواب . و يظاهرون عليها العدوّ ويقسمون على الوفاء للمسلمين مابقي منهم عدد يقاوم دولتهم . و ينكس أعلام سلطانهم . وهم ليسوا على دينهم . ولا من جنسهم . ولا من أهل لغتهم . هل مرقوا من الدين . وخانوا الدولة . و باعوا الوطن . وماتت فيهم طواطف العزّة .

كلاّ وانما هو العدل العدل . العدل الذى جمع بين الامير والمأمور والخادم والمخدوم والكبير والصغير فصيرهم في شرعة الحق سواء وضمهم تحت راية الحرية والاخاء

شيء شاهده أولئك القوم من العرب وشهدوه وذاقوا طعمه بعد ان لم يذوقوه . فحبّب اليهم دولة المسلمين بعد اذ أصبحوا من حقيقتها على علم . وقالوا لهم لولايتكم وعدلكم أحب الينا مما كنا فيه من الظلم والغشم

اللهم انك اذا حبّبت بسلطان الارض قوما فقد أذنت له ولهم بالسعادة ، وأنزلت عليهم من سماء رحمتك روح السكينة ، وأفرغت عليهم لباس الامن ، وأردت له سعة السلطان . ومكنت له في الارض كما مكنت لانصار دينك يومئذ سلطانهم ، وجعلت أعداءهم أعوانهم ، ومن استمسك بعروة كتابك الوثقى فان رحمتك قريب منه ، وأنى يشتبه بأولئك غيرهم وأولئك قوم رضى الله عنهم

ورضوا عنه ،

من يصدق ان تلك القبائل البدوية التي نشأت على حب العصبية والتهالك على قتال بعضها بعضا والبعد عن معنى سياسة الأمم وحكم الشعوب ، والنفرة من مظاهر الحضارة ودواعي المدنية ، تنتهى اليها فى بضع سنين سياسة فارس والروم ورياسة آسيا وأفريقيا لولم ينزل اليها القرآن وتستنير بشريعة سيد ولد عدنان ،

لله ما أعظم فضل القرآن وما أسمى مقاصد الاسلام . بالامس كانت هذه القبائل مشهرة سيوفها على المسلمين والسمط بن الاسود الكندي والاشعث بن قيس فى محاجرهما بقومهما من كندة يضربون بالسيوف فى وجوه المسلمين واليوم أحدهما الاشعث في العراق يخوض بقومه غمرات الموت و يقتحم صفوت الفرس ، و ينادى يا للاسلام ، والثاني في حمص يقسم منازلها على المسلمين ، وأهلها من ورائه يغلقون في وجه دولتهم الابواب ، ويدفعون عنه جند الروم انّ هذا لمن العجب العجاب ،

أصبح العرب بعد تلك الهمجية المعروفة من قادة السياسة والحرب وأفضل من ساس الأمم فبات المغلوبون لهم ، الخاضعون لسلطانهم من الروم أحرص الناس على حكمهم ، وأرغبهم في شرعهم ، أفليس في هذا كله ما يكفّ عن الاسلام ألسنة المخرّصين ؟ و يشهد بان الفتح الاسلامى كان خيرا وبركة على الناس أجمعين

لو قدر المسلمون قدر هذه النعمة وحافظوا على سنن السلف من الصحابة ولم يحد أمراؤهم عن صراط القرآن ، ويشاق بعضهم بعضاً بسيف الخذلان، خدمةً للاهواء وانقياداً لغلبة الشهوات لما ازداد المسلمون الاّ مجداً ورقياً والاسلام الا انتشاراً وتعميما ولكن هى الاخلاق اذا فسد جوهرها والاهواء اذا

انفجرت ينابيعها صارت طوفانا اذا اندفع على البشر ، لا يبقي ولا يذر ، والنعم لا تدوم الاّ بالشكر ، ولا تزول الاّ بالكفران ، وحسبنا من هذا قوله تعالى في القرآن (ان الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)

﴿ فتح العراق ﴾

اول من حرك في نفس أبي بكر رضي الله تعالى عنه أمر العراق هو البطل الجليل المثني بن حارثة بن ضمضم الشيباني من بكر بن وائل وهو ممن لم يتابع بكراً على ردتها و بقي وقومه على الاسـلام وكان يغير على سواد العراق على رجال من قومه فبلغ أبو بكر الصديق خبره فسأل عنه فقال له قيس بن عاصم بن سنان المنقري. هذا رجل غير خامل الذكر ولا مجهول النسب ولا ذليل العماد هذا المثني بن حارثة الشيباني

والظاهر ان المثني بمجاورته لبلاد فارس وتوالي غارته على اطراف ملكهم من جهة العراق خـبر حالهم ووقف على أمورهم وعلم اضطراب حبل دولتهم فقدم على أبي بكر ورغب اليه ان يستعمله على من أسلم من قومه ليغزو بهم اطراف فارس وسهل لديه أمرهم ورغبـه بغزوهم فكتب له أبو بكر في ذلك عهداً وسار الى بلاده ثم أن أبا بكر رأى ان المثني وحـده لا يقوم بالمهمة التي خالجت فؤاد أبي بكر وهي نشر راية الاسلام على ارجاء العراق ثم فارس فاستدعى اليه خالد بن الوليد المخزومي من اليمامة في المحرم من سنة اثنتى عشرة للهجرة وأمره بالمسير الى العراق وان يبدأه من أسفله وكتب الى عياض بن غنم الفاتح الشهير الذي كان على يده فتح الجزيرة وقسم من ارمينيا بعدُ وأمره ان يأتي العراق من أعلاه ويسير حتى يلقى خالداً وأوصى أبو بكر خالداً وعياضا أن لا يضرا بفلاحي العراق وأهل السواد حرصاً منه رضي الله تعالى عنه على

منابع الثروة وعلماً بان العمران أمر لاتقوم بدونه الدولة . والفلاحة كما لايخفى مصدر حياة الناس وتقدمها أساس عمران الممالك وانما هي قائمة بالفلاح فهو اولى الناس برعاية السلطان وحراسته من أذى الجند فما أبعد هذه الهمة وما أسمى هذا النظر . يبعث بالجند ليثلوا عرش الملوك ويستخضعوا جبابرة الاقوام ويدكوا صروح أولى السيطرة الظالمين ثم يبث فيهم روح الرأفة بالفلاحين ، والمحافظة على المستضعفين ، ليذرع في نفوسهم احترام حقوق اهل الفلح الذين هم مصدر قوى الدولة ويرشدهم الى مبلغ عناية أرباب السلطان بالطبقة العاملة منهم ليحفظوا عليهم مصدر قوتهم ومنبت قوتهم وليعلموا ان اولى الناس برعاية الامير عامل يعمل بارضه ويشتغل لقومه ولنفسه فيكونوا من العاملين

وأوصاهما أيضاً ان لايغزون معهما أحد ممن ارتد وذلك لضعف ثقته رضي الله عنه بأهل الردة بعد ما ظهر منهم ما ظهر من حرب المسلمين ولعله خشى من أن يكون في قلوب بعضهم ضغن على المسلمين فيبثون فيهم روح الفتنة ويفسدون عليهم امر الفتح وهو احتياط وحذر لا يجب من صدورهما من مثل ابي بكر لبعد نظره في العواقب وتأنيه في الامور ومع هذا فان عمر رضي الله تعالى عنه لما رأى حاجة المسلمين الى الجند ايام خلافته استنفر العرب للجهاد واذن لعامتهم بالانضمام الى جيوش الفتح وكان لزعماء الردة منهم كطلحة الاسدي وعمرو بن معد يكرب والسمط بن الاسود الكندى والاشعث بن قيس وامثالهم البلاء الحسن في فتوح الشام والعراق والاخلاص العظيم في اعلاء كلمة الاسلام ومعظمهم استشهد في ايام الفتوح وانما قويت ثقة عمر رضي الله عنه بالعرب لاتساع الفتوح وامتداد سلطان الاسلام ولانفي

توالى الجهاد شاغلا لاهل الفتنة عن الفتنة . ولعلّ ما أصاب المسلمين من بلاء التشيّع والتحزب والانقسام في خلافة عثمان رضي الله عنه وما بعده لما استقر أمر المسلمين في فارس والروم وأخلدوا الى الراحة من عناء الفتح كان لا يخلو من أصابع كثير من أولئك الذين حذرهم أبو بكر والله بالحقيقة عليم

لما سار خالد الى العراق كان معه من الجند عشرة آلاف واستقبله المثنى ابن حارثة بثمانية آلاف وبعد مسيره أمدّه أبو بكر بالقعقاع بن عمرو بطل المسلمين المغوار . فقيل له أتمدّه برجل واحد . فقال لا يهزم جيش فيهم مثل هذا . وكذلك أمدّ عياض بن غنم بعبد يغوث الحميري وكتب الى المثنيّ بن حارثة يأمره بالسمع والطاعة لخالد وكان مذعور بن عديّ العجليّ قد كتب الى أبي بكر يعلمه حاله وحال قومه من الاسلام والطاعة وحب الجهاد ويستأذنه بقتال الفرس فأمره ان ينضم الى خالد . وكذلك كان سويد بن قطبة الذهلي من بكر بن وائل يتربص في البصرة مجيء خالد ليكون وقومه معه على قتال الفرس . فحيّا الله هؤلاء الرجال الكرام . ورضي عن تلك النفوس الطاهرة . التي بيعت في سبيل الاسلام وأخلصت النية لهذا الدين الذي هيأ الله لاهله أسباب النصر لما نصروه . وأعزّهم لما أعزوه .

وقد اختلف المؤرخون فى اول بلد قصده خالد فقال بعضهم انه سار الى الأُبلّه [1] وقال الدينوري فى الاخبار الطوال انه سار الى الحيرة وان فتح الأبلة كان في عهد عمر بن الخطاب على يد عتبة بن غزوان . ولعلّها انتقضت فارسل

---

(١) قال الدينوري في الاخبار الطوال «الموجود منه نسخة في المكتبة الخديوية طبع ليدن» لم يكن موضع البصرة يومئذ الا الخريبة وكانت الابلة مرقى سفن البحر من عمان والبحرين وفارس والهند والصين اهـ

عمر عتبة لاخضاع أهلها اذ المشهور ان خالداً بلغ الحفير والكواظم عند مصب الفرات ودجلة فى خليج العجم ثم عاد الى الأُبلّة ففتحها عنوة وخلف عليها سويد ابن قطبة وقال له .قد عركنا هذه الاعاجم بناحيتك عركة اذلتهم لك . ثم أتى الخريبة وكانت مكان البصرة الآن وهي منازل خربة بها مسالح لكسرى تمنع العرب من العيث فطردهم منها واستخلف فيها عامر بن نين من بني سعد بن بكر من بني هوزان ثم تتبع شط الفرات فجاء بانقيا وبار وسماو آليس فصالحه أهلها على مال معلوم وعلى ان يكون أهل آليس عيونا له ثم سار الى الحيرة فناوش أهلها الحرب فخرج اليه أياس بن قبيصة الطائي من اشراف الحيرة وكانوا من اهلّ الكتاب فدعاهم (الى الاسلام او الجزية او الحرب) فقال له اياس ما لنا بحربك من حاجة بل نقيم على ديننا ونعطي الجزية فصالحهم على الجزية واختلفوا فى مقدارها فقال بعضهم انها كانت تسعين الفا وقال بعضهم مائة الف وروى البلاذري ان اهل الحيرة كانوا ستة آلاف رجل فالزم كل رجل منهم اربعة عشر درهما وزن خمسة فبلغ ذلك اربعة وثمانين الفا تكون ستين وزن سبعة . وروى الطبرى انها كانت مائة وتسعين الفا ويؤيده ماجاء فى كتاب عهد خالد لاهل الحيرة على ماسترى

واهدى اهل الحيرة هدايا الى خالد على عادتهم مع الفرس فبعث بها مع خبر الفتح وما اجتمع لديه من الفيء الى ابي بكر فقبل الهدايا وعدها لاهل الحيرة من الجزية تعففا عما لم يأذن به الشرع وقطعا لدابر العادات الاعجمية التي كان يحتال بها على سلب اموال الناس

هذا اول فتح بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فتحه ابو بكر خارج جزيرة العرب وقد رأيت انه لم ترق فيه نقطة من الدم فى غير الابله وفيه دليل على ارتياح اهل البلاد الى حكم المسلمين وملالهم من ظلم الفرس وتوقعهم

لاضطراب حبل دولتهم وزوال ملكهم وانما قوبل خالد بعد هذا بالحرب لدماء أصابها من النمر وتغلب واياد وغيرهم من نصارى العرب الذين امتنعوا عليه ثم استجاشوا جيوش الفرس طلباً للثار

ثم ان خالداً بعد ان استخضع اهل الحيرة وقضى على دولة المناذرة التي كانت تحكم العراق من قِبَل الاكاسرة وقاعدتها الحيرة أخذ يتمم فتح العراق العربي فسار مصعدا جنوبا فافتتح الانبار الواقعة شرقي الفرات وبادقلى وعين النمر وقطربل الواقعة شرقي دجلة ولما وصل الى دومة الجندل التقى بعياض بن غُنْمٍ فجاءها عياض من أعلاها وخالد من أسفلها فافتتحاها عنوة . وكانت آخر حروب خالد في الفراض التي هي آخر تخوم العراق مما يلي الشام والجزيرة وكان كلما فتح فتحاً وتوفرت لديه الغنائم يبعث بالخمس الى أبي بكر رضي الله تعالى عنه مع خبر الفتح حتى قال فيه ابو بكر (عجزت النساء ان يلدن مثل خالد)

وسيأتي معنا بعض الكلام على حروب خالد في العراق في سيرته ونورد كتبه التي كتبها الى الفرس بعد فتح العراق وجغرافية البلاد التي افتتحها ان شاء الله

انصرف خالد بعد وقعة الفراض الى الشام واستخلف المثنىّ بن حارثة الشيباني على جند العراق فاقام في الحيرة يرتب المقاتلة ويذكي العيون وكان ملك فارس يومئذ شهريران بن ازدشير فظن ان غياب خالد ربما يوهن جانب المسلمين فجهز جيشاً عظيما بقيادة قائد يسمى هرمز فلاقاه المثنى في بابل شرقي الفرات والتحمت هناك الحرب بين المسلمين والفرس وكانت حربا شديدة انجلت عن هزيمة جنود الفرس ومات عقبها شهريران ملك فارس فعاد الاضطراب

في المملكة الى ما كان عليه واختلف الفرس فيمن يولونه أمر الملك اختلافا يؤذون بادالة دولتهم من المسلمين وينذر بالانحلال العاجل الذي يصيب الممالك عند بلوغها منتهى درجات الترف والنعيم واشتغالها بالسفاسف والاوهام دون الجد والحزم (واذا أردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا)



باب

فتوح الشام

تمهيد

لما انتهى فتح العراق العربي وجاس المسلمون خلال ديار الفرس واستقر لهم في تخوم فارس الملك والسلطان واتخذوا بها الثغور يدّخرون بها معدات القوة للاجهاز على ممالك الفرس ورأى أبو بكر ان الله سبحانه وتعالى منجز وعده الذى وعد المؤمنين (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض) انصرفت همته الى الشام التي هي مركز التجارة بين الشرق والغرب ومدخر الخيرات التي اعدها الله للمسلمين

كانت الشام يومئذ تابعة لمملكة الروم تبعية اشبه بالاسمية وكان سلطان الروم هنالك في تناحر ونفوذه في اضمحلال . ومعظم ولاية الشام في ايدي العرب واليهم ترجع الادارة وعلى الملوك من بني غسان حراسة البلاد . ولم يكن لقيصر في باطن الامر على اهل الشام سوى الاتاوة . والنفوذ والسلطان انما كان للعرب الذين كانوا لا يميلون الى الروم ويودون اجلاءهم الى حيث نبت

بهم بقاع الغرب لما كانوا عليه من الظلم الذي يصاحب غالباً أواخر الدول الفاتحة الغريبة عن البلاد المخالفة لها في الجنس والعادة فلهذا ولأن الشام فى الحقيقة أشبه بجزء طبيعى من جزيرة العرب كانت الاسباب متوفرة لضم هذه البلاد الى سلطان المسلمين وطرد ذلك الفاتح الغريب العابث بنظام العدل المتعدي على حقوق الملك الطبيعى والاستقرار الثابت للعرب . يضاف الى هذا ان انضواء الامة العربية الى لواء الاسلام واجتماعها على كلمة الايمان أمر لامندوحة عنه يومئذ بحكم الوحدة في الجنس واللغة التي تقضي بوحدة الدين والسلطان

وأنت ترى ان الشام بهذه المثابة كحق طبيعى للمسلمين وهى لما حكمت بالاسلام انما حكمت بالعرب أرباب هذا الحق وأصحاب البلاد لحكمين حكم الجوار واللغة وان لم تكن عامة وحكم الجنسية الشرقية والشرقي أولى بالشرق .

اذن فما أسخف عقول طائفة من الغربيين يدّعون حقاً قديماً فى البلاد يسمونه المسئلة الشرقية ولم يكن لاسلافهم فى الشرق الا ما يكون لكل فاتح غريب من السيادة الى حين ، ثم يتقلص ظله . وينكمش الى وطنه . كما انكمش الرومان الى حيث نبت بقاعهم وتقلص عن المشرق ظلهم (سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا)

وحبذا لوكان حاكمنا الغربيون بهذه الدعوى الى مجلس العدل والمناقشة ، و ولجوا بنا باب الانصاف في المناضلة ، اذن والله لأدلينا بالحجة ، وكنا في جانب الحق ، وكانوا في جانب الباطل ، ولكنها القوّة تغلب كل حق وان كانت في نفسها حجة للمغلوب لا يستظهر بها الا اذا عادل خصمه واستعلى

على عدوه وأنّى لنا هذا معاشر المسلمين الآن وليس فينا كأبي بكر واخوانه ومعاويةوالخلفاء من بني عمه والمنصور واحفاده وعبد الرحمن الداخل واشبال اشباله وصلاح الدين وعزيمته والسلطان سليمان وأضرابه من آل عثمان الذين قضوا بعزائمهم على بقايا دولة الرومان فى الشرق

ذكرى تمزق الافئدة والقلوب وحال من ضعف البصائر وغلبة شهوات النفوس قد انتهينا اليه أفقدانا كل صبر ، وسلكا بعقول النابغين في الأمة من مذاهب الحيرة كل مذهب ، ودون اهتدائهم الي التخلص من شرك الحيرة وخروجهم بالأمة من وهدة هذا الضعف اسوار من شهوات الامراء وائتلاف الامة لحكم الاستبداد الذي أوهن عقولها ، وذهب بآثار الشمم من نفوسها ، لاتزول الا بخلق جديدفي الاسلام فقد استقلاله ، وقضي حب الذات على دوله ، فلم يبق له أمل بغيرنفسه ، واعتماد الا على جده ، يهب هبة الغافل أيقظته الصيحة من كل مكان وأخذت بناصيته يد العدوّ وفى قول علي بن أبي طالب ما يشير الى هذا (الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا) (١)

هذا الحق الذى يعظم وقعه في نفوس العقلاء . ويثقل سماعه على البسطاء . نقوله بحكم المشاهدة لما يحيط بنا من الوسط . والتحقق من حالة المسلمين وحكوماتهم . والنظر الى سنن الله في خلقه التي أبانها لنا القرآن وأيدها تاريخ الانسان ـ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ـ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ـ ياداود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ـ واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ـ ان تنصروا الله ينصركم ويثبت

(١) وفي الطبعة الاولى قلنا انه حديث وهو خطأ لزم اصلاحه هنا

أقدامكم - وتلك الايام نداولها بين الناس - الى غير ذلك من آيات البيان التي تثبت ان لله في خلقه سنناً لا تتخلف وللمعرضين عنها من عباده جزاء لامهرب منه ومع هذا فانّا نرجو أن تخلف ظننا الاقدار ويخلق الله لهذا الأمة ما لم يكن في الحسبان فتعود على بدئها وتسترد بقوّة العلم والعمل ذاهب مجدها وليس على المجدّ اذا عزم أن يتوقف . وكل سالك في طريق الى نهايتها يصير . وانما نصر الله المسلمين فى عهد أبي بكر ومن بعده بجدهم وسوّدهم على الامم بالغلبة على شهواتهم والاستظهار بقوّة يقينهم والله ولى الصالحين

﴿ استدراك ﴾

ربما يظن ظان مما قدمناه في هذا التمهيد انّا بالغنا في القول بسيادة العرب في سورية إبّان الفتح وانهم كانوا حماة البلاد وأصحاب السلطة العظمي على قسم عظيم منها والحال انّ ماذكرناه من ذلك في هذه المقدمة انما هي حقائق تاريخية أوردناها على وجه الاجمال لهذا ودفعاً لخطأ الظن أو تهمة التشيع للعرب أحببنا أن نستدرك مافات ببيان تاريخى لما تقدم فنقول

انّ قسما عظيما من سورية كان مأهولا يومئذ بالعرب فكان سكان القسم الجنوبي منها ومن حوران وما يليها من البلاد الواقعة في الجنوب الغربي وهي الكرك ومعان الى العقبة قرب البحر الاحمر كانت مأهولة بالعرب من غسان ولخم وجذام وكلب وقضاعة وغيرهم وكانت عاصمة هذا القسم بصرى المدينة الشهيرة في حوران التى لم تزل آثار العظمة بادية على بقاياها الى الآن وكانت حاضرة الملوك من بني غسان

وكان قسم عظيم من الجزء الشرقي والشمالي الشرقي الممتد من غوطة

دمشق الى مدينة تدمر وما بعدها الى شط الفرات مأهولا بالعرب أيضاً من بني غسان والنمر وبهراء وتغلب وغيرهم وعاصمة هذا القسم مدينة دمشق

فاما القسم الجنوبي وكونه كان مأهولاً بالعرب وفيه نشأت دولة بني غسان الشهيرة فمشهور لا حاجة فيه الى البيان

وأما القسم الآخر وكونه كان مأهولا بالعرب فالدليل عليه ما رواه الطبري وغيره من المؤرخين عن الفتح الذي فتحه خالد والبلاد التي مرّ عليها أثناء مجيئه من العراق الى الشام لنجدة المسلمين ومنه يستنتج انّ كل البلاد التي مرّ عليها يومئذ منذ أشرف على وادي الفرات حتى انتهى الى دمشق بلاد مأهولة بالعرب واليك البيان

لما قصد خالد بن الوليد الشام وقطع اليها المفازة اشرف منها على حدود سورية الشرقية في وادي الفرات وهو المعروف الآن ببلاد الزور وعاصمته الدير المعروف الآن بدير الشعّار وكانت كلها مساكن للعرب في بهراء والنمر وتغلب وغيرهم لم تزل الى الآن كذلك فاتى ارك وهي واقعة بين تدمر والدير ومنها سار الى تدمر وهي على حدود البادية الشرقية وسار منها الى القريتين (ولم تزل معروفة الى الآن بهذا الاسم) ومنها سار الى دمشق (عن طريق القلمون الاسفل وهو الجزء الشرقي من العمالة المعروفة الآن بجبل قلمون ويسمون هذا القسم القلمون التحتي وهو طريق القوافل لهذا العهد من الشام الى العراق) فأتى خالد في طريقه على حوارين وقُصَم وكانت آخر ما فتحه من البلاد الواقعة في طريقه من شمال دمشق فقاتله اهلها وكانوا من بني مشجعة من قضاعة فظفر بهم ثم سار عنهم الى ثنية العقاب (التى تشرف على المرج المعروف الآن بمرج عذراء الواقع في الجهة الشمالية الشرقية من دمشق) ومنها انحدر

الى مرج راهط (وهو المرج المتصل بمرج عذراء ممتداً الى جهة الجنوب) فأغار على بني غسان في يوم فصحهم فقتل وغنم وبعث بالاخماس الى ابي بكر

هذا ماأثبته الطبري بشأن البلاد التي مرّ عليها خالد وفتحها اثناء مجيئه من العراق الى الشام ومنه علمتَ ان آخر ماافتتحه خالد من جهة الشمال الشرقي عن دمشق (قُصَم) واهلها من العرب من بني مَشجعَة وهو يدل على ان القلمون الاسفل وما يليه شرقا الى شطوط الفرات كان مأهولا بالعرب من النمر وتغلب واياد وبهراء وغيرهم [1]

وكذلك القسم الواقع شرقي دمشق وهو مرج راهط قد كان مأهولاً ببني غسان . والظاهر ان دمشق نفسها كانت عربية يومئذ بدليل انها كانت تحت الحرث الغساني أحدملوك بني غسان في عهد الفتح الاسلامي فهي اذن كانت عاصمة ذلك القسم العظيم الممتد منها الى الشمال والشرق حتى البادية والفرات ومن الجنوب والجنوب الغربي حتى الحجاز والعقبة وكله كان مأهولاً بالعرب

اذا تقرر هذا علمت ان لا مبالغة فيما قلناه من أن سورية كانت أشبه بولاية عربية كان النفوذ والسلطان فيها للعرب واليهم ترجع حماية البلاد وحراستها ولم يكن للروم فيها الاّ الاسم اللهم الا ما كان منها واقعاً في الجهة

---

(١) هذا الاستنتاج يصح فيما لو صح ماذكره الطبري في تاريخه من أن خالد بن الوليد اتى القريتين ثم حوارين وبعدها قصم ومنها أتى ثنية العقاب فجعل قصم آخر الفتح الى جهة دمشق . وبعده كانت غارته على غسان في مرج راهط لكن ذكر ياقوت في معجمه أن قصم موضع بالبادية قرب الشام فاذا صح هذا ضعف استدلالنا على ان قلمون الاسفل كان مأهولاً بالعرب

الغربية والشمالية كفلسطين والاردن وحلب وانطاكية وما يليها فربما كانت سلطتهم عليها أظهر وكلمتهم أنفذ والله أعلم

﴿ بعث البعوث الى الشام ﴾

كان بعث أبي بكر البعوث الى الشام في أوائل سنة ثلاث عشرة بعد عوده من الحج وكان اول لواء عقده الى الشام لواء خالد بن سعيد بن العاص وقال ابن الاثير وتابعه عليه كثير من المؤرخين انه عزله قبل ان يسير بايعاز عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك لما في نفسه عليه من تربصه ببيعة ابي بكر كما تقدم الكلام عليه وأمره ان يكون بتيماء رداً للمسلمين وان لا يفارقها وان يدعو من حوله من العرب وان لا يقاتل الا من قاتله فاجتمع اليه جموع كثيرة واتصل خبره بالروم فضربوا البعث على العرب الضاحية بالشام ثم جاءه ماهان بالجيوش ففرقهم ثم جمع له فقاتله فهزمه فكتب الى ابي بكر بذلك فاهتم لامر الشام واستنفر العرب وجهز البعوث الى آخر ما ذكروه من خبره

هـذا ما ذكره بن الاثير وغيره وروى البلاذري في فتوح البلدان عن أبي مخنف قال

لما عقد ابو بكر لخالد بن سعيد كره عمر ذلك فكلم أبا بكر في عزله وقال انه رجل فخور يحمل أمره على المغالبة والتعصب فعزله أبو بكر ووجه أبا أروى الدوسي لاخذ لوائه فلقيه بذي المروة فأخذ اللواء منه وورد به على ابي بكر رضي الله عنه فدفعه ابو بكر الى يزيد بن ابي سفيان فسار به معاوية أخوه يحمله بين يديه ويقال بل سلم اليه اللواء بذي المروة فمضى على جيش خالد وسار خالد بن سعيد محتسباً في جيش شُرَحبيل اه

والذي يستنتج من هـذه الرواية ان ابا بكر عقد لخالد بن سعيد ليكون ردءاً للمسلمين لا ليغزو مع الامراء ثم بعد مسيره كلمه بشأنه عمر فعزله واستعاد لواءه فدفعه الى يزيد وسيره على اثر مسير الامراء . وروى الطبري في تاريخه عن سيف نحو هذه الرواية وروى ايضاً من طريق آخر ان ابا بكر لما عقد الالوية للامراء عقد لخالد بن سعيد فيمن عقد ولما كلمه بشأن عزله عمر اطاعه ابو بكر في بعض امره وعصاه في بعض وامر خالداً ان ينزل بتيماء وان لا يبرحها وان يدعو من حوله الى الاسلام ففعل واجتمع اليه جموع كثيرة فلما بلغ الروم ذلك جمعوا له فكتب الى ابي بكر بذلك فكتب له ان اقدم ولا تحجم فسار اليهم خالد فتفرقوا فكتب الى ابي بكر بذلك فكتب اليه أبو بكر . أقدم ولا تقتحمن حتى لا تؤتى من خلفك . فسار فيمن كان معه فلقيه باهان بجيوش الروم فقاتله خالد فظفر به وهزم جنده وكتب الى ابي بكر يستمده فاهتم ابو بكر لامر الشام وجهز البعوث فتعجل خالد بالحرب قبل وصول الامراء فنكبه الروم فعاد الى المدينة مهزوماً فغضب ابو بكر عليه ثم استأذن ابا بكر وذهب متطوعاً في جيوش الامراء . وهذا الرواية توافق مارواه ابن الاثير وتخالف رواية البلاذري وفي كلا الحالين فان يزيد بن ابي سفيان صار اميراً على جيش خالد بن سعيد كما يتضح ذلك من وصية ابي بكر له

لما استنفر ابو بكر المسلمين من اطراف البلاد العربية للجهاد اخذوا يفدون عليه من كل فج ويعسكرون بالجرف قرب المدينة ولما تكامل جمعهم وذلك في مستهل صفر سنة ثلاث عشرة عقد الالوية فعقد لواءً لعمرو بن العاص وكان قد استدعاه من ولايته على صدقات سعد هزيم من قضاعة ووجهه الى فلسطين . وعقد لواءً لشُرَحبيل بن حسنة وكان قد وفد اليه من

العراق ووجهه الى الاردن . وعقد ليزيد بن أبي سفيان على جمهور من انتدب اليه فيهم سهيل بن عمرو واشباهــه من وجوه مكة واشراف قريش ووجهه الى البلقاء وقال بعضهم الى دمشق . وعقد لابي عبيدة عامر بن عبدالله ابن الجراح الفهري ووجهه الى حمص . وكان العقد في بدء الامر لكل امير على ثلاثة آلاف رجل فلم يزل ابو بكر يتبعهم الامــداد حتى صار مجموعهم اربعة وعشرين الفا ؟

هذا هو الجيش القليل العدة فنائي الديار الذي سار على بركة الله ليغزو الروم في عقر دارهم . ويجوس خلال ديارهم . و يزعزع اركان ملكهم . وينذر بتقلص سلطانهم . وينشر راية الاســلام على ربوع الشام وأسيا الصغرى والجزيرة وارمينيا وقد فعل فكيف وبماذا؟

بقوة العزيمة والصبر ، والاعتماد على الله في السر والجهر ، وعدم المبالاة بالحياة في سبيل اعلاء كلمــة الدين ، ونصرة الاسلام ، والتعفف عما بأيدي الناس ، وانصاف المغلوب وحماية ماله ونفسه ، واطلاق الحرية له في عوائده ودينه ، مادام يدفع للمسلمين جزءا من ماله ، يستعينون به على اصلاح حاله ، وتأمين بلده ، وتمهيد طرق الراحة والنظام لقومه ، ويكون له من الحقوق حينئذ ما للمسلمين ، وعليه من واجب المعونة وطاعة الامير والامانة في الجوار ما عليهم ، لايضار في عرض ولا نفس ولا مال ، هــذا اذا اختار البقــاء على دينه ، ورضي باداء جزيته ، واما اذا اسلم فالمسلمون كما في الحــديث (تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم ويرد عليهم اقصاهم وهم يد على من سواهم)

ضف الى هذا ما يصاحب أولئك المجاهدين من حسن الراي بمن يصاحبهم من رجال الاسلام واقطاب السياسة والحرب يومئذ كعمرو بن العاص

وابي عبيدة بن الجراح ويزيد بن ابي سفيان ومعاوية بن ابي سفيان رضي الله تعالى عنهم أجمعين ومن ورائهم مثل ابي بكر يمدهم بالرأي . ويتابع اليهم النصائح . وحسبهم من وصاياه وصيته ليزيد ابن ابي سفيان التي تعجز أقطاب السياسة وتنفع قادة الجيوش وساسة الامم في كل عصر . وقد أوصاه بها لما شيعه ماشياً كما أوصى سائر الامراء

﴿ وصية أبي بكر ليزيد ﴾

اني قد وليتك لأبلوك وأجربك فان أحسنت رددتك الى عملك . وزدتك . وان أسأت عزلتك . فعليك بتقوى الله فانه يرى من باطنك. مثل الذي يرى من ظاهرك . وان أولى الناس بالله اشدهم تولياً له واقرب الناس من الله اشدهم تقرباً اليه بعمله . وقد وليتك عمل خالد [1] فاياك وعبية الجاهلية فان الله يبغضها ويبغض أهلها . واذا قدمت على جندك فاحسن صحبتهم وابدأهم بالخير وعدهم اياه . واذا وعظتهم فأوجز فان كثير الكلام ينسى بعضه بعضاً . واصلح نفسك يصلح لك الناس وصلّ الصلوات لأوقاتها باتمام ركوعها وسجودها والتخشع فيها . واذا قدم عليك رسل عدوّك فأكرمهم واقلل لبثهم حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون به . ولا ترينهم فيروا خللك ويعلموا علمك . وأنزلهم في ثروة عسكرك . وامنع من قبلك من محادثتهم . وكن أنت المتولى لكلامهم . ولا تجعل سرك لعلانيتك فيخلط امرك . واذا استشرت فاصدق الحديث تصدق المشورة . ولا تخزن عن المشير خبرك فتؤتي من قبل نفسك . واسمر بالليل في أصحابك تأتك الاخبار وتنكشف عندك الاستار واكثر حرسك وبدّدهم في عسكرك . واكثر مفاجأتهم في محارسهم

(١) يريد خالد بن سعيد

بغير علم منهم بك فمن وجدته غفل عن حرسه فأحسن أدبه وعاقبه في غير افراط واعقب بينهم بالليل واجعل النوبة الاولى اطول من الاخيرة فانها ايسرهما لقربها من النهار . ولا تخف من عقوبة المستحق ولا تلجن فيها ولا تسرع اليها ولا تخذلها مدفعاً . ولا تغفل عن أهل عسكرك فتفسده . ولا تجسس عليهم فتفضحهم . ولا تكشف الناس عن اسرارهم واكتف بعلانيتهم . ولا تجالس العباثين وجالس اهل الصدق والوفاء . واصدق اللقاء ولا تجبن فيجبن الناس . واجتنب الغلول فانه يقرب الفقر ويدفع النصر . وستجدون أقواما حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له اه

﴿ ابتداء الفتوح ﴾

﴿ بالشام ﴾

علمنا مما سبق ان الجهاد مبني على الدعوة وان المسلمين لا يبدأون اهل الكتاب بحرب ما لم يدعوهم الى خصلة من ثلاث (الاسلام او الجزية او السيف) اي الحرب وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى هرقل في جملة من كتب اليهم من الملوك يدعوه الى الاسلام ففي رواية انه اجابه واسلم سراً وفي رواية انه لم يجبه ولما سار الامراء وكتبوا اليه يدعونه الى خصلة من الثلاث وقد كان وقتئذ بالقدس جمع اليه البطارقة وكبار القواد وشاورهم في امر المسلمين واشار عليهم بصلحهم فأبوا عليه الا الحرب وكان مما قال لهم (والله لأن تصالحوهم على نصف ما يحصل من الشام ويبقى لكم

نصفه مع بلاد الروم أحب اليكم من ان يغلبوكم على الشام ونصف بلاد الروم) ولمّا لم يوافقوه على رأيه أخذ باعداد الجنود والعدة وأرسل لكل أمير جيشاً ليشغل لكل طائفة من المسلمين بطائفة من قومه

واما أمراء المسلمين فقد أوغلوا بجيوشهم في احشاء البلاد فنزل أبو عبيدة الجابية . ونزل شرحبيل الاردنّ . ونزل عمرو بن العاص العربة من فلسطين . ونزل يزيد البلقاء . ومن ثم اختلف المؤرخون في كيفية ترتيب الوقائع فمن قائل ان اول وقعة كانت بين المسلمين والروم وقعة اليرموك ومن قائل غير ذلك والذي قال بالاول بنى قوله على ان المسلمين لما تفرقوا في البلاد وراعهم ماجمعه لهم هرقل من الجموع استشاروا عمراً فأشار عليهم بالاجتماع فاجتمعوا باليرموك وكتبوا الى أبي بكر فأمدّه بخالد بن الوليد ولما وصل اليهم وجد الامراء متساندين فتأمر عليهم ثم هاجم جنود الروم وجرى بين الفريقين قتال شديد انتهى بانكسار الروم وبينماهم في اليرموك جاء الخبر بوفاة ابي بكر وتولية عمر رضي الله عنهما ومع المخبر امر بعزل خالد وتأمير ابي عبيدة ابن الجراح

مع انّ امعان الامراء بجيوش المسلمين في الجزء الجنوبي والجنوب الغربي من البلاد ووصول بعضهم الى الاردن قرب طبرية والبعض الآخر الى فلسطين ثم اختلاف المؤرخين في عزل خالد بن الوليد هل كان وهم على دمشق أم في اليرموك كل هذا يؤيد ان واقعة اليرموك انما كانت بعد وقائع كثيرة كواقعة مرج الصفر (على وزن سكر) وواقعة اجنادين التى بشر أبو بكر بظفر المسلمين فيها بآخر رمق ووقعة العربة من فلسطين وغيرها وان المسلمين افتتحوا كثيراً من البلاد قبل اليرموك صلحا او حرباً و يؤيد هذا

ما ذكرناه سابقاً نقلاً عن البلاذري من ان اهل حمص عاهدوا المسلمين على الوفاء لما انجلت حاميتهم عن حمص بقصد الاجتماع مع بقية الجيوش على اليرموك

وقد اتفق ابن الاثير والبلاذري على حصول وقائع للمسلمين مع الروم قبل وقعة اليرموك وهي وقعة بصري في حوران وداثن في فلسطين ومرج الصفر وغيرها

والظاهر من هذه الروايات ان الروم في ابتداء الامر لم يحفلوا بأمر المسلمين ولم يظنوا فيهم القوّة والجرأة على اقتحام عواصم البلاد والتغلغل في احشاء الممالك بجيشهم القليل وعدتهم الضعيفة وهو من سوء الرأي المبني على الكبرياء الباطلة والغرور المضر فانّ الاستهانة بالعدوّ مهما قلّ وهن في السياسة منشأهُ ما يصيب عقول السياسة في الدول الهرمة من فقد قوة التجارب او الاعراض عن مصالح الملك حبا بمصالح النفوس وشهواتها

قد مهدت سياسة الروم هذه للمسلمين ان يقتحموا بجيوشهم البلاد اقتحام المجربين في الحروب العارفين بمواضع الخطر الواقفين على عورات العدو الخبيرين بطرق البلاد فانهم أوغلوا في جنوب الشام على شكل مثلث متقارب الخطوط رأسه في البلقاء مع يزيد بن ابى سفيان مما يلي الحجاز وطرفاه الواحد في الجنوب الغربي في فلسطين وهو مع عمرو بن العاص والآخر في الجنوب والجنوب الشرقي في حوران وهو مع ابى عبيدة بن الجراح وفي الوسط بميلة الى الغرب ايضاً شرحبيل بن حسنة وهو في الاردن . بحيث يمد بعضهم بعضاً من قرب . ومن ورائهم يزيد يحفظ عليهم خط الرجوع ويديم النظر في طرق المواصلات

على هذه الصفة دخلت الجيوش الاسلامية الى الشام وافتتح كل امير ما مرّ عليه من البلاد صلحاً أو حرباً حتى اذا اخذت الصيحة الروم من كل مكان هبوا من غفلتهم هبوب المذعورين . وانتبهوا انتباه الغارين . فضرب هرقل البعث على العرب الضاحية بالشام من بهراء وسليح وغسان وكلب ولخم وجذام وهم يومئذ حماة البلاد والى الملوك من بني غسان ينتهي القول والعمل فاجتمع لديه منهم ومن الروم زهاء مائة وخمسين الفا فقسمهم وبعث لحرب كل جيش من جيوش المسلمين قسما منهم بقيادة أحد مشاهير القواد

اجتماع الامراء في اليرموك

ووفود خالد بن الوليد عليهم

لما رأى أمراء الجيوش الاسلامية كثرة ماأعدلهم هرقل من الجنود كتبوا بذلك الى عمرو بن العاص وهو صاحب الرأي فيهم فاشار عليهم با لجلاء عن البلاد والتقهقر الى اليرموك وهو نهر في واد واقع في الجهة الشمالية من جبل عجلون الى الجنوب الغربي من الشام وكتبوا الى ابي بكر فاشار عليهم بالاجتماع أيضاً ريثما يصلهم المدد وكتب الى خالد بن الوليد يأمره بالمسير الى الشام وان يأخذ نصف الناس ويستخلف على النصف الآخر المثنىّ بن حارثة بطل العراق الشهير ولا يأخذن من فيه نجدة الا ويترك عند المثني مثله فامتثل خالد الامر وسار بمن معه حتى أتى تدمر وهي على حافة البرية مما يلي وادي الفرات وموقعها الى الشمال الشرقي من دمشق على بعد ١٥٠ ميلا منها بعد ان عانى وجيشه مشقة عظيمة في الطريق وغزا من صادفه من القبائل كما سترى في

سيرته بعد ثم قام من هناك الى ثنية العقاب ومنها الى مرج راهط الواقع شرقي الغوطة فاغار على ارباض دمشق ثم اتجه جنوبا الى بُصرى وقاتل اهلها فظفر بهم وارسل بالاخماس الى ابي بكر ثم سار فطلع على المسلمين في ربيع الآخر وقيل في جمادى الاولى سنة ثلاث عشرة

كان المسلمون الى ذلك الحين يراوحون العدوّ القتال ويطاولونه في النزال متساندين كل امير على جيشه والعدوّ امامهم بجنده الكثيف الذي بلغ المائة وخمسين الفاً لا يتزعزع بل هو اشبه بالمحصور من ورائه الوادي ومن امامه جند الاسلام فلما رأى ذلك خالد بن الوليد وكان عظيم الرأي في الحرب بعيد النظر في ترتيب الجيوش لم يرقه ما به تعدد الامراء وليس لهم أمير يجمعهم فجمعهم اليه وخطب فيهم خطبة أنبهم فيها على ماهم فيه من الافتراق في الامارة على ماسترى ذلك في سيرته وطلب اليهم ان يجتمعوا على امير واحد ويتداولوا الامارة نوبة كل يوم واحد ان يؤمروه ذلك اليوم فأطاعوا اشارته وامروه فرتب الجيش ترتيباً حسناً ثم نشب القتال وكانت معركة عظيمة ظهر فيها من حمية قريش وشجاعتهم ما يؤيد قولنا فيما سبق ان الله سبحانه وتعالى كما ايد الدين في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالانصار أيده بعده بقريش ونجلت المعركة عن انهزام الروم شر هزيمة بعد ان قتل منهم مقتلة عظيمة جدا وأصيب من المسلمين بين قتيل وجريح زهاء ثلاثة آلاف فيهم من وجوه المهاجرين وجلة قريش عدد كبير منهم عكرمة بن أبي جهل من ابطال حروب الردة وعمرو ابنه وسعيد بن الحرث بن قيس ابن عديّ وهو قديم الاسلام ومن مهاجرة الحبشة وأمثالهم من اهل البلاد وبقية ابناء من المهاجرين الاولين ومهاجرة الفتح

لاجرم ان واقعة اليرموك سواء كانت اول وقائع المسلمين مع الروم بالشام او غير ذلك فانها كانت آخر وقعة قضي فيها على سلطان الروم في سورية حتى لم يقم لهم بعدها قائمة ولم يستتب لهم فيها أمر واذا رأينا كثرة من أصيب يومئذ من المهاجرين علمنا انهم كانوا محور الحرب الذي دارت عليه رحاها وجنّتها التي تلقت سهام أذاها . واليهم ينتهي الفضل في كسر شرّة الروم وتمهيد السبيل لتدويخ بلاد الشام . واستنارة اهلها بنور الاسلام

ليس بعجيب ان يظهر من قريش ما ظهر منهم في اليرموك وهم سادة العرب وحماة الذمار وانما العجب لهذا الرهط ان ينهض بعد الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا الأمر نهوضاً يدهش ساسة الممالك من الفرس والروم ويقضى على كثير من ممالك الارض بذلك الانقلاب العظيم في السياسة والدين . والعرب يومئذ على ما نعلم من الاستغراق في البداوة والبعد عن نعم الحضارة . وانما كان يقودها هذا الرهط من المهاجرين الذين سبقوا الى العلم بالدين وامتلأت قلوبهم بنور الايمان

لا ريب ان هدى الاسلام قد نفذ منهم الى اعماق القلوب وكشف عن بصائرهم غشاء الغرة فأخرجهم من الظلمات الى النور فرأوا طريق السيادة على الأمم واضحاً فسلكوه . وسبيل سعادة الآخرة بيناً فانصرفوا بكليتهم اليه . ففازوا بالنعمتين . وسلكوا بالعرب طريق السعادتين . فجاهدوا في الله حق جهاده . وعمموا هدى دينه بين عباده

ممن أبلى بهذه الحرب يومئذ ابو سفيان بن حرب وذهبت فيها عينه وخالد بن الوليد والسمط بن الاسود الكندي وعكرمة بن أبي جهل وهو الذي قال لما اشتد الامر على المسلمين وبلغت جنود الروم فسطاط خالد

قاتلت النبي صلى الله عليه وسلم في كل موطن ثم أفر اليوم [1] ثم نادى من يبايعني على الموت فبايعه الحرث بن هشام وضرار بن الازور في أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم فقاتلوا قدام فسطاط خالد قتال من باع نفسه في سبيل الله وأصبح الموت أحب اليه من الحياة حتى أصيبوا جميعهم بالجراحات والقتل وأصيب عكرمة وابنه عمرو بجراح فأتي بهما ثاني يوم الى خالد فوضع رأسيهما على فخذيه وجعل يقطر في حلقيهما الماء ويقول . زعم بن حنتمة يعني عمر اننا لا نستشهد

رحم الله تلك النفوس التي استهانت بالدنيا ومتاعها فتخلى الامير عن امارته والغنيّ عن ماله وملذته والشريف عن عزته والعائل عن أهله وولده التماساً للشهادة . و رغبة بنصرة الاسلام ، وطلباً لقهر العدوّ وخذلانه ، ونصر الدين وأعوانه

أبلى النساء المسلمات في ذلك اليوم كما أبلى الرجال وحملن العمد يضربن بها وجوه الخيل اذا لوت وينادين الى أين يا حماة الاسلام ، وطلاّب الشهادة ، يشددّن بذلك عزائم الرجال ، ويواسينهم بأنفسهن في ساحات القتال ، حتى بلغن من كيد العدو ما لا تبلغه منه السيوف ، وقمن بخدمة الاسلام كما قام رجالهن الذين أوردوا الروم موارد الحتوف ،

فكان النساء يومئذ مجاهدات محرضات ممرضات يجاهدن العدو ويحرضن المسلمين ويمرضن الجرحى وربما قتل للمرأة ولد فبعثت الى ساحات الحرب اباه . او تسلت عنه بأخيه

بينما المسلمون في ذلك اليوم في أشد حالات الحرب والصدام قدم

(١) يعني من مواطن قريش لان اسلام عكرمة كان بعد فتح مكة

البريد من المدينة واسمه محمد بن زنيم فسألوه الخبر فأخبرهم بسلامة وامداد وانما جاء بموت أبي بكر وتأمير أبي عبيدة فكتم هذا الخبر عن المسلمين ريثما تضع الحرب أوزارها وتولي الروم أدبارها

وقد اختلف المؤرخون في هل جاء الخبر بوفاة أبي بكر والمسلمون في اليرموك أو على دمشق كما اختلفوا في هل فتح شيء من الشام قبل اليرموك في خلافة أبي بكر ومما لاريب فيه ان جيوش المسلمين لما أوغلت في القسم الجنوبي من الشام افتتحت كل ما مرت عليه من البلاد وربما بلغت حمص شمالا كما رواه البلاذري الا ان انجلاءهم بعد عن البلاد وتقهقرهم الى اليرموك جعل ذلك الفتح الاول كأن لم يكن لانتقاض البلاد بعد خروج المسلمين عنها وعدم استطاعتهم ترك الحامية فيها لقلة عددهم وكثرة جنود عدوهم لهذا عول المؤرخون في سياق أخبار الفتح على ما كان منه بعد اليرموك في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وحار بعضهم فأوردها مشوشة وفي كلا الحالين فان الفتح الحقيقي للديار الشامية انما تم في زمن عمر بن الخطاب ولأبي بكر الفضل العظيم فيه لسبقه اليه واعداده مثل جيش اليرموك له وأما عزل خالد بن الوليد فالاصح انه جاء وهم على دمشق كما سترى بعد

﴿ باب ﴾

﴿ مناقب أبي بكر وأخلاقه ومآثره ﴾

ان أحسن وصف يمثل أبا بكر بفضائله وأخلاقه تمثيلا لا يدع في النفس حاجة الى المزيد ما وصفته به أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنه وعنها بخطبة وجيزة العبارة عظيمة المعنى جامعة لشمائل أبي بكر وأخلاقه واذا أتيت بشيء

من ذكر فضائله ومناقبه فانما يكون تفصيلا لما أجملت . وشرحاً لما أوجزت
فقد روي انه بلغها أن أناسا يتناولون من أبيها فأرسلت اليهم فلما حضروا قالت
أبي ما أبيه لا تعطوه الايدي ذاك والله حصن منيف وظل مديد أنجح
اذ أكديتم . وسبق اذ ونيتم . سبق الجواد اذا استولى على الامد. فتى قريش
ناشئاً وكهفها كهلا . بريش مملقها . ويفك عانيها . ويرأب صدعها . ويلم
شعثها . حتى حليته قلوبها . واستشرى في دينه . فما برحت شكيمته فى ذات
الله عزوجل حتى اتخذ بفنائه مسجدا يحيي فيه ما أمات المبطلون . وكان رحمة
الله عليه غزير الدمعة . وقيذ الجوانح . شجي النشيج . فانصفقت عليه نسوان
مكه وولدانها يسخرون منه ويستهزؤن به والله يستهزئ بهم ويمدهم في
طغيانهم يعمهون . وأكبرت ذلك رجالات قريش فحنت له قسيها . وفوّقت
اليه سهامها . فامتثلوه غرضاً فما فلوا له صفاة . ولا قصفوا له قناة . ومرّ على
سيسائه . حتى اذا ضرب الدين بجرانه . وأرست أوتاده . ودخل الناس
فيه أفواجا من كل فرقة ارسالا وأشتاتا . اختار الله لرسوله صلى الله عليه وسلم
ماعنده فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب الشيطان رواقه وشد
طنبه ونصب حبائله واجلب بخيله ورجله والقى بركه . واضطرب حبل الدين
والاسلام . ومرج عهده . وماج اهله . وعاد مبرمه انكاثاً . وبغي الغوائل
وظن رجال ان قد اكثبت اطماعهم نهزها . ولا حين الذي يرجون . وأنا
والصدّيق بين أظهرهم فقام حاسرا مشمرا . قد رفع حاشيتيه . وجمع قطريه
فردّ نشر الدين على غره ولمّ شعثه بطبه واقام اوده بثقافه . فابذعرّ النفاق
بوطأته . وانتاش الدين فنعشه . فلما اراح الحق على اهله . واقر الرؤوس على
كراهلها . وحقن الدماء في اهبها . وحضرته منيته . فسد ثلمته بشقيقه فى

المرحمة . ونظيره في السيرة والمعدلة ذاك ابن الخطاب لله أم حملت به ودرّت عليه لقد اوحدت ففنخ الكفرة وديخها . وشرد الشرك شذر مذر وبعج الارض وبخعها فقاءت أكلها . ولفظت خبئها ترأمه ويصد عنها . وتصدى له ويأباها . ثم وزع فيأها فيها وتركها كما صحبها فأروني ماذا ترتؤون . وأي يومي أبي تنقمون . أيوم اقامته اذ عدل فيكم . أم يوم ظعنه اذ نظر لكم أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم [١]

﴿ سياسته في الخلافة ﴾

لم يكن بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم موقف أشد وأحرج على المسلمين من موقف وقفه ابو بكر رضي الله تعالى عنه فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مذ كان حياً يتحدى العرب بالقرآن ويتألفهم بالمعجزات ويملك عليهم طرق الزيغ بتوالي نزول الوحي بالدلالة على المنافقين منهم . وكشف خبايا ضمائرهم . ومع هذا فقد عانى منهم ما عانى ولقي أشد ما يلقى نبيٌّ من قومه ولما تولى الخلافة ابو بكر وجاء المسلمين من اخبار الردة وانتقاض العرب ما أوهن عزائمهم وفتّ في عضدهم نظر ابو بكر فرأى أن العرب كان يتألفها النبي بالوحي والمعجزات وقد انقطع الوحي وهم مع حداثة عهدهم بالاسلام عريقون بالبداوة ساذجو الفطرة قلّ ان يتأثر وجدانهم الا بما يتأثر به حسهم فلا سبيل الى اجتذاب قلوبهم وامتلاك ضمائرهم واستخذاء نفوسهم بلين الكلام او قواصر التقريع للاحتيال على ضمائرهم . والتوصل الى كبح جماحهم

(١) نقلنا هذه الخطبة عن كتاب النثر المختار بهذا الضبط فلتحرر وقد اوردها ابن عبد ربه في العقد الاّ ان ايدي النساخ مسختها مسخاً فجاءت ناقصة عن هذه في بعض الجمل ومختلفة عنها في البعض فتقابل

وان القوة هي أحسن ما ترتاض به نفوسهم . وتتأثر به حواسهم . وتلين من عريكتهم . وتخضع عاصيهم فانفرد بهذا الرأي دون كثير من الصحابة كما علمت مما مرّ في اخبار الردة فكان رأيه الصائب . وقوله الحق . وعمله الموفق وسياسته الناجعة . حتى اعترف له بالاصابة وحزم الرأي بعدُ جميع الصحابة رضي الله تعالى عنهم وكان من وراء عمله في الردة سلامة الاسلام والمسلمين من هجمات الشرك وغوائل الهمجية وسطوات الاعداء بدليل ما أخرجه البيهقي وابن عساكر عن ابي هريرة قال (والذي لا إله الا هو لولا ان ابا بكر استخلف ما عبد الله ثم قال الثانية ثم قال الثالثة) فقيل مه يا ابا هريرة فذكر لهم موقف ابي بكر في انفاذ جيش اسامة وجيوش الردة في حديث طويل قد مضى معنا ما هو بمعناه من اخبار ابي بكر فلا حاجة لا يراده هنا

وكذلك رأيه في انفاذ جيش اسامة يدل على علوّ كعبه في السياسة وبعد نظره في مهمات الامور فانه ظهر به للعرب بمظهرة القوة . واستهان بانفاذه بخطب الردة . فنفث في روع العرب روح الرهبة فكانوا بين مقبل على الردة ومدبر عنها ومتردد بين الامرين حتى وافتهم جيوش المسلمين وهم على فرقتهم وتشتت رأيهم فأخذتهم بما صنعوا . وردتهم عما ابتدعوا . وضرب الاسلام بينهم بجرانه . وقضى على شيطان الجهل وأعوانه

ومن حسن سياسته انه لما استحضع العرب وأراهم سطوة المسلمين وبأس الموحدين . فاستكانوا للاسلام واخلدوا الى الطاعة . ولم يرَ بعد ذلك من حاجة لاستعمال الشدّة معهم . رفع العقوبة عن زعمائهم . وألان القول لأمرائهم . تأليفا لقلوبهم . واستفادة من نفوذ رأيهم في أقوامهم فلما جيء له بالسمط بن الاسود الكندي أحد ملوك كندة . وعمرو بن معد يكرب

والاشعث بن قيس أسراء مكبلين غفر لهم زلتهم وعفا عما صدر عنهم فاسر قلوبهم . وامتلك ضمائرهم . فكانوا في المستقبل من انصار الاسلام الكبار . واعوانه الشداد .

ومن حسن سياسته رفقه بخالد بن الوليد واغضاؤه عن هفوته في قتل مالك بن نويرة مع الحاح عمر عليه باستدعاء خالد الى المدينة ليحاكم وتجري العقوبة عليه . ولما قال له عمر ان سيف خالد فيه رهق واكثر في اللائمة على خالد . قال ياعمر تاول خالد فاخطأ فارفع لسانك عنه فاني لا اشيم سيفا سله الله . وودى مالكا وكتب الى خالد ان يقدم عليه ففعل واخبره الخبر واعتذر اليه فعنفه ابو بكر ثم تجاوز عنه وقبل عذره

كان خالد ذا عصبية في قومه محبوبا من الجند عظيم الرأي في الجهاد موفقا في الحروب فرأى ابو بكر ان رجلا هذا شأنه لما يضن به ويحرص عليه . لاسيما وانه كان يضمر ان يرمي به الفرس والروم . ويجمع تحت رايته العرب لبث الدعوة ونشر الاسلام في الممالك القاصية . لما يعهده فيه من سداد الراى والشجاعة والتوفيق . فاكتفى بتعنيفه علما منه بانه ان اخطأ هذه المرة فالتعنيف كاف في تنبيه مثله الى ان لا يعود الى مثلها

ولا يخفى ماكان بعد ذلك لخالد من البلاء العظيم في جهاد الاعداء وما افتتحه من البلاد الواسعة في العراق والشام بحسن اختيار ابي بكر له وعفوه عنه فرضي الله تعالى عنهم اجمعين

ومن حسن سياسته استجلابه لمن توقف عن بيعته من بني هاشم وغيرهم وهم نفر قليل فيهم طلحة والزبير بلين القول والادلال بالحجة دون العنف واستعمال سلطة الخلافة وسلطان القوة وذلك لحرج الموقف الذي وقف

فيه المسلمون وقتئذ واشرأبت الاعناق الى الخلاف . وتلظي نار الردة . وترقب المنافقين لفرصة الاختلاف . وتربصهم الشر بالخلافة . وناهيك به موقفاً يحتاج الى الأناة والبصيرة . والصبر والعزيمة . وما زال به أبو بكر حتى بدد غيومه . ومهد للسكون والسكينة طريقه . فوافته الامور كما شاء . وانقضت خلافته على أحسن حال كما أحب . ومما قاله يومئذ وهو يدل على اخلاصه في القول والعمل وتوجه نيته الى درء الاخطار المحيطة بالخلافة والفتنة المهددة للمسلمين بتوليه الخلافة وقبوله لها واخرجه الحاكم وصححه عن عبد الرحمن ابن عوف قال خطب ابو بكر فقال

(والله ماكنت حريصاً على الامارة يوماً ولا ليلةً قط . ولا كنت راغباً فيها ولا سألتها الله في سر ولا علانية . ولكني اشفقت من الفتنة ومالي في الامارة من راحة لقد قلدت امراً عظيما مالي به من طاقة . ولا يد الا بتقوية الله) فقال علىّ والزبير ما غضبنا الاّ لانّا أخرنا عن المشهورة وانّا نرى ابا بكر احق الناس [illegible] صاحب الغار وانّا [illegible] شرفه وخيره ولقد امره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة بالناس وهو حيّ اهـ

وناهيك بعظيم سياسته وثاقب رأيه وصاياه للقوّاد والامراء بالرفق بالأمم [illegible] وتجنب [illegible] مايمس [illegible] ثائرة الاشجان . او يدعو الى مس جانب الانسانية ويخدش وجه المروءة . حتى كان من ذلك ان قام ميزان [illegible] نور الاسلام على الارض . وأخذ [illegible] وكانوا من أنصاره وأوليائه .

[illegible] ولروم [illegible] ارضاً افسدوها .

واذا ظفروا بعدوّ مثلوا به واستباحوا حماه . فجاء جند الاسلام يحمل الدعوة قبل الحرب في يد وأمان البلاد من امثال تلك المنكرات الخسيسة في يد أخرى .وكانوا اذا انتصروا على عدوّ واستباحوا حمى ملك او امير يحملون رؤوس البشر الى سدة ملوكهم كبشائر للنصر ، واعلان للفخر ، فرأى أمراء المسلمين في حرب الروم ان يعاملوهم بنفس عملهم فبعث عمرو ابن العاص وشرحبيل بن حسنة برأس بنان أحد بطارقة الشام الى ابي بكر مع عقبة بن عامر فلما قدم به عليه انكر ذلك عليه . فقال له عقبة . يا خليفة رسول الله فانهم يصنعون ذلك بنا قال . افيستنان بفارس والروم لا يحمل اليّ رأس انما يكفي الكتاب والخبر اه أخرجه البيهقي

اللهم ليست المدنية بالزخارف التي يتحلّى بها الغربيون الآن ومن ورائها الشهوات تهدم مايبنون ، وتضع مما يرفعون ، تنزع بالقويّ اذا استعلى على الضعيف منازع الظلم والجبروت فلا يبالي أخيراً صنع أو شراً ، وعدلا أتى أو ظلماً ، يحشرون الى الغرمثات من البشر ويسدون عليهم فوهته بالحطب يوقدون فيه النار ليموتوا خنقاً بدخانه . ويروهم التمدن الجديد بسائر ألوانه . [1] أو يصفون الناس صفاً ، وينسفونهم بقذائف البارود نسفا [2] أويجعلون المعابد مرابط للخيل والكلاب . ويحشرون الطائفة المسالمة للموت كما يحشر للمادة اللزجة الذباب . [3] وانما المدنية ماسننت لعبادك في

---

(١) هكذا صنع الفرنساويون بمسلمي الجزائر لما دوخوا بلادهم

(٢) هكذا صنع الانكليز لما استخضعوا ثوار الهند في ثورتهم الكبرة

(٣) هكذا صنع جنود الدول الاوروبية هذه السنة فى الصين وهكذا تصنع الدول الاوروبية في كل حرب الا بعضها مع بعض فربما يرفق قليلا

كتابك ، وما فطرت عليه من الرحمة نفوس أوليائك ، الذين آمنوا بنبيك ، وعـدلوا بين خلقك ، وتجافوا مضاجع الراحة في سبيل مرضاتك ، واقاموا الميزان بالقسط لا يظلمون ولا يظلمون

أجل رفع الاسلام نفوس المسلمين عن امثال تلك الخسائس التي كانت فاشية بين الامم وهذبها على الرأفة والعدل صدراً من خلافة الخلفاء الراشدين كان من ورائهم فيه حكمة ابي بكر ويقظة عمر تسدان على دني‌ء العادات الوثنية وخسيس السنن الرومية منافذ التسرب الى نفوس المسلمين ، ويقيمان في وجهها حواجز الدين الاسلامي المبين ، وما نشب ان امتد الفتح وكثر الاختلاط وامتزج الأمم بحكم الوحدة الاسلامية روميها وعربيها وعجميها وتركيها حتى اعجز الخلفاء الامر ، وارهق غاشيتهم من العلماء والمقربين الافتتان بحب الدنيا ، فتسامحوا طوعاً بحكم المخالطة ، او كرهاً بحكم الغلبة ، ففسدت الفطرة ، وامتزجت الاخلاق بالاخلاق ومن ثم كان معظم المصائب التي حلت بالمسلمين متأتياً عن غلبة العادات الاعجمية ،وفقد التربية الاسلامية ، وليس هذا محل الاسهاب وربما نأتي بالمناسبة على شي من ذلك في هذا الكتاب

اخرج البخاري عن قيس بن حازم قال دخل أبو بكر على امرأة من احمس يقال لها زينب . فرآها لا تتكلم . فقال مالها لاتتكلم . فقالوا حجت مصمتة قال لها : تكلمي فان هذا لا يحل هذا من عمل الجاهلية : فتكلمت فقالت من انت : قال امرؤ من المهاجرين ، قالت اي المهاجرين ، قال من قريش قالت ، من اي قريش ، قال انك لسؤل انا ابو بكر . قالت ما بقاؤنا على هذا الامر الصالح الذي جاء الله به بعد الجاهلية . قال بقاؤكم

عليه ما استقامت أئمتكم . قالت وما الائمـة . قال أو ما كان لقومك رؤوس واشراف يأمرونهم فيطيعونهم . قالت بلى . قال فهم اولئك الناس

هـذا هو الحق الذي أنطلق الله به أبا بكر فحسبنا الله ونعم الوكيل وهو بحسن عافيتنا كفيل (ربنا انا أطعنا ساداتنا وكبراءنا فأضلونا السبيل)

﴿سياسته في الرعية﴾

كانت سياسته مع الرعية بشدة من غير عنف . ولين من غير ضعف بطئ العقوبة غير متعجل فيها الا بقصاص واجب لهذا كان يأخذ على العمال ايغالهم في العقوبة ويأمرهم بالرفق والأناة

ذكر السيوطي ان المهاجر بن أبي أمية كان أميراً على اليمامة فرفع اليه امرأتان مغنيتان غنت احداهما بشتم النبي صلى الله عليه وسلم فقطع يدهاونزع ثنيتها وغنت الاخرى بهجاء المسلمين ففعل بها مثل ذلك فكتب اليه أبو بكر رضى الله تعالى عنه

بلغني الذي فعلت بالمرأة التي تغنت بشتم النبي صلى الله عليه وسلم فلولا ما سبقتنى فيه لامرتك بقتلها لان حد الانبياء ليس يشبه الحدود فمن تعاطى ذلك من مسلم فهو مرتد أو معاهد . فهو محارب غادر . وأما التي تغنت بهجاء المسلمين فان كانت ممن يدعي الاسلام فأدب وتعزير دون المثلة وان كانت ذمية فلعمرى لما صفحت عنه من الشرك اعظم ولو كنت تقدمت اليك في مثل هذا لبلغت مكروهاً . فاقبل الدعة واياك والمثلة في الناس فانها مأثم ومنفرة الا في قصاص اه

ومن سياسته في الرعية ان كان يحذرهم من الدخول في غمار الفتن التي تسفك فيها دماء المسلمين ويحملهم على التعفف عن المغانم والقناعة بالكفاف

فى ابان الفتوح الذى تحولت فيه كنوز الروم وفارس الى المسلمين خشية ان تحيا فيهم ملكة الطمع فتنزع بهم منازع الظلم وتحرك بواعث الطلب من المزيد فيميلون الى الترف والنعيم اللذين يقعدان بهم عن متابعة الجهاد ويشغلانهم عن بث الدعوة بين العباد

أخرج احمد في الزهد عن سليمان قال. اتيت ابا بكر فقلت اعهد الى فقال • ياسليمان اتق الله واعلم انه سيكون فتوح فلا اعرفن ما كان حظك منها ماجعلته في بطنك او القيته على ظهرك واعلم انه من صلى الصلوات الخمس فانه يصبح فى ذمة الله و يمسي في ذمة الله تعالى فلا تقتلن احداً من اهل ذمة الله فتخفر الله في ذمته فيكبك الله في النار على وجهك

﴿ ادبه وتأديبه ﴾

اذا اطلق لفظ الادب فاحر به والله ان يطلق على الصحابة الكرام الذين تأدبوا بآداب النبي عليه الصلاة والسلام فكانوا خير امة اخرجت للناس واشرف قدوة في مكارم الاخلاق يقتدي بها المسلمون وناهيك بأبى بكر وصحبته لرسول الله من بدء عهد النبوة الى آخره

﴿ ادبه مع رسول الله ﴾

اخرج ابن عساكر والامام احمد عن يزيد بن الاصم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر أنا أكبر او انت قال انت اكبر واكرم وانا اسن منك [١]

واخرج ابن ابى حاتم عن عامر بن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال لما نزلت (ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم) الآية قال ابو بكر يارسول الله

---

(١) نقلت هذا الحديث في الطبعة الاولى دون ان ابين انه جاء في رواية أخرى عن العباس عم النبي (ص) وهو الاصح لان النبي أسن من أبى بكر وعمه العباس أسن منه

الله لو امرتني اني اقتل نفسي لفعلت . فقال صدقت

واخرج الامام احمد عن عائشة رضى الله عنها انها تمثلت بهذا البيت وأبو بكر يقضي

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

فقال ابو بكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ ادبه مع نفسه ﴾

اخرج ابن عساكر عن الاصمعى .قال كان ابو بكر اذا مُدح قال اللهم انت اعلم مني بنفسي منهم اللهم اجعلني خيراً مما يظنون واغفرلى ما لا يعلمون ولا تؤاخذنى بما يقولون

﴿ تأديبه لنفسه ﴾

اخرج احمد بسند حسن عن ربيعة الاسلمى رضى الله عنه قال : جرى بيني و بين ابى بكر كلام فقال لي كلمة كرهتها وندم فقال ياربيعة رد عليّ مثلها حتى يكون قصاصا قلت لا افعل . قال لتقولن او لاستعدين عليك رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلت ما انا بفاعل . فانطلق ابو بكر وجاء اناس من اسلم فقالوا لى رحم الله ابا بكر في أى شيء يستعدي عليك وهو الذى قال لك ما قال . فقلت أتدرون من هذا ابو بكر الصديق ؟ هذا ثانى اثنين وهذا ذو شيبة المسلمين اياكم لا يلتفت فيراكم تنصروني عليه فيغضب فيأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيغضب لغضبه فيغضب الله لغضبهما فيهلك ربيعة وانطلق ابو بكر وتبعته وحدى حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه الحديث كما كان . فرفع الىّ رأسه فقال . يا ربيعة مالك والصديق فقلت يارسول الله كان كذا وكذا فقال لي كلمة كرهتها فقال لي قل كما قلت حتى يكون قصاصا

فأبيت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجل لا تردّ عليه ولكن قل قد غفر الله لك يا ابا بكر اه

لله اي وجدان هذا الوجدان وأيّ نفس تلك النفس . بادرة بدرت منها لمسلم فلم ترض الا اقتصاصه منها ، وصفحه عنها ، تناهيا بالفضيلة ، واستمساكا بالادب . وشعوراً تمكن من الجوانح واخذ بمجامع القلب فكانت عنده زلة اللسان ولو صغيرة ألماً يتململ منه الضمير فلايستريح الا بالاقتصاص منه ، و رضا ذلك المسلم عنه ، فاللهم هبنا من عظيم رحمتك اخلاقا تغلب على شهواتنا وتطهر من ادران الكبرياء الباطلة قلوبنا لنرى مواطن الخطأ فنتجنبها ، وطرق الزلل فنتنكبها ، فتبعد عن ظلمات الرذائل خطانا . وتتمكن فضائل السلف الصالح من نفوسنا ، فتمكن لنا في الارض سلطان عزنا ، وتجعل الى ملأك الاعلى مصيرنا ، انك سميع الدعاء

﴿ تأديبه للمسلمين ﴾

كان رضى الله تعالى عنه يتلطف بان يحمل الناس على طريقته . و يؤدبهم بأدب نفسه . مع ما كان عليه المسلمون يومئذ من سلامة الفطرة . وطهارة الاخلاق . والتمسك بآداب الشرع . مبالغة في النصيحة لهم . وحناناً عليهم. وقياماً مقام الوالد الر ؤف بينهم

اخرج ابو عبيد في الغريب عن ابي بكر انه مرّ بعبد الرحمن بن عوف وهو يماظ (أى ينازع) جاراً له . فقال له لاتماظ جارك فانه يبقى و يذهب عنك الناس

وخطب الناس يوما خطبة قال فيها : ومن يطع الله و رسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد ضل ضلالا مبينا . أوصيكم بتقوى الله والاعتصام بأمر الله

الذي شرع لكم وهداكم به فان جوامع هدى الاسلام بعد كلمة الاخلاص. السمع والطاعة لمن ولاه الله أمركم فان من يطع الله وأولي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد أفلح وادّى الذي عليه من الحق. وإياكم واتباع الهوى فقد أفلح من حفظ من الهوى والطمع والغضب. وإياكم والفخر وما فخر من خلق من تراب ثم الى التراب يعود ثم يأكله الدود ثم هو اليوم حيّ وغدا ميت

وستأتي هذه الخطبة برمتها في فصل الخطاب وكثير امثالها مما تلين له قلوب الجماد، وتسترشد به الى الفضيلة عقول ذوي العناد، وتوضح للمؤمنين سبل الهدى والرشاد،

﴿ أدبه مع المسلمين وتواضعه لهم ﴾

أخرج الامام احمد في الزهد عن ميمون بن مهران قال جاء رجل الى ابي بكر فقال السلام عليك يا خليفة رسول الله. قال من بين هؤلاء أجمعين (يشير [illegible] الصحابة ادباً معهم وتأديباً للقائل)

[illegible] ثلاث سنين قبل ان يستخلف وسنة بعد ما استخلف فكان جواري الحي يأتينه بغنمهن فيحلبهن لهن

واخرج ابن عساكر ايضاً عن ابي صالح الغفاري ان عمر بن الخطاب كان يتعهد عجوزاً فكان اذا جاءها وجد غيره قد سبقه اليها فأصلح ما أرادت فجاءها غير مرة كيلا يسبق اليها فرصده عمر فاذا هو بأبي بكر الذي يأتيها وهو يومئذ خليفة فقال عمر انت هو لعمري

هكذا التسابق الى الفضيلة والتسارع الى الخيرات وهذا منتهى الرأفة

وغاية الغايات من التواضع وحق لأمة هكذا يكون رؤساؤها ، وبهذه الاخلاق يتخلق ساداتها ، ان تمتلك رقاب البشر ، وتسود على البدو والحضر ،

وان ديناً هذا تأثيره في الاخلاق وتهذيبه للفطرة لدين الحق الذي لو تمسك اهله بهديه ، واهتدوا في ظلمات الحياة بنوره ، لكانوا الى هذا العهد أسعد الامم حالا ، وأعلى الناس كعباً ، ولكنهم فرطوا والمفرط بالخسارة اولى ، وبالندامة احرى ، (ولا يظلم ربك احداً)

وحسب ابي بكر من الادب والتواضع قوله في خطبته يوم السقيفة يخاطب المسلمين كبيرهم والصغير وعظيمهم والحقير وغنيهم والفقير (قد وليت عليكم ولست بخيركم فان احسنت فاعينوني وان اسأت فقوّموني)

يقول ابو بكر لهذا الجمع لست بخيركم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن من أمن الناس عليّ في صحبته وماله ابو بكر [1] ولو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام) اواه كيف لا يكون ابو بكر بعد هذا الحديث خير المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أبرهم بالنبي وأقربهم اليه واقدمهم صحبة له وانما هو الادب النبوي الذي تأدبت به نفسه والتواضع الذى اشرب به قلبه لا ينفكان عن مثله ، ولا يحطان من جلالة قدره ، بل يعليان مكانته في النفوس ، ويحببان

---

(١) قال في مشكاة المصابيح قوله أبو بكر هكذا بالرفع في صحيح مسلم وعند البخاري بالنصب وهو الظاهر ووجه الرفع بان تكون (من) زائده على مذهب الاخفش وقيل (ان) بمعنى نعم فيكون ابو بكر مبتدأ ومن أمنّ الناس خبره وقيل اسم ان ضمير الشأن وهو نادر مع ان المكسورة كما عرف في النحو والاوجه ما ذكره بعضهم انه محكي على ما هو عليه وقد ثبت من قول أمير المؤمنين عليّ فيما اقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم تميماً الداري (شهد به أبو بكر بن أبو قحافة) الخ

به القلوب ، ويمهدان لرعيته طرق الطاعة لامره ، والخضوع له ، والالتفاف حوله ، والعمل باشارته ، والذب عن حوزته .

أين هذا ممن اتخذوا بعدُ اسم الخلافة سلاحاً يضربون به وجوه المسلمين ويمزقون احشاء الاسـلام ولم يرضوا لأنفسهم من سمات الخلافة التي ابتدعوها الترفع عن مخاطبـة الناس والتحجب وراء الستور والاعتـلاء على منصات العظمة والكبرياء حتى انتزعوا لأنفسهم من صفات الالوهية ألقاباً ، واتخذوا من لباس الاعجمية جلباباً ، وركبوا من متن الغرور مراكب صعاباً ، فحكموا الناس بالظلم والاستبداد ، وساقوهم بعصا الاستعباد ، ففرقوا عنهـم القلوب وشتتوا كلمة المسلمين فاندفعوا من قرون طويلة في غمـار الفتن وشغلوا عن امر دنياهم بأمر أولئك الجبابرة العتاة بين خارج عليهـم ، ومقاتل معهم ، ومنابذ لهم ، يأخـذ بأسباب الحيطة لنفسه ، ومظاهر لهم شغلوه في خدمة شهواتهم عن النظر الى يومه وأمسه ، فخمدت من جراء ذلك جذوة العقول ، وفترت القوى ، وانحطت الاخلاق وفقد العلم ، وبارت الصنائع

ومن وراء هذا كله الكذابون والوضاعون يستدرجون أولئك الجبابرة بالطغيان ويتزلفون اليهم بوضع الحديث ليدوسوا بأقدامهم على رقاب الامة ، ويبدلوا نظام الاسلام ، حتى لقد اجترأ احدهم على ابي جعفر المنصور على قرب عهده بالتابعين وعلمه بالحديث وبعد غوره في الدين فذكر له حديثاً وضعه يطريه فيه فانكره عليه وطرده من حضرته

لهذا لم يزل فريق من الناس ينسب اسباب تقهقر المسلمين الى الدين والدين يبرأ الى الله من كل ما يخالف سيرة الصحابة ، ويصادم قوانين الترقي ، كالعلم والحرية والعدل وانما هي نزعات قامت في النفوس تذرع بها اربابها

الى الصاق كل شيء بالدين ليحاربوا باسمه كل شيء خالف اهواءهم ، ونابذ اغراضهم ، ومن لنا بمؤرخ صادق اللهجة شديد المارضة عظيم الاطلاع غير هيَّاب من اعداء الحق ولا رغاب في غير الثواب من الله والشكر من الناس يضع لنا تاريخاً يستقصى به اخبار الماضي و يتتبع مظان العلل فيكشف عن بصائر هذه الامة الغطاء ، ويزيل عن ابصارهم الغشاء،فقد والله سئمت نفوسنا من سرد تاريخ الامة الاسلامية كما يسرد المنشد قصيداً اختلط غثه بثمينه ، وضعيفه بمتينه ، ونحن مع ذلك لاهون بالسفاسف ولعون بما ابتدعه لنا المبتدعون من وسائل الرضا بالحرمان من العلم ، والسكوت على أذى هذا الظلم ، ولله في خلقه شؤون

﴿ زهده وورعه ﴾

اعتادت اسماعنا والفت اذهاننا من معنى الزهد بما ابتدعه لنا المبتدعة ووضعه الوضاعون انه عبارة عن ترك الدنيا والانزواء في زوايا البطالة والكسل ليكون الزاهد عالة على سواه ، مترقباً للرزق ممن عداه ، وهو بهتان على الزهد وعكس لمعناه اذ الزهد في الحقيقة هو التعفف عما بأيدي الناس والقناعة بالكفاف عن الفضول والتماس الحلال من طريق العمل دون الاعتماد على كفاية الاغيار كما سترى ذلك مبسوطا في غير هذا المحل

ومذهب الصحابة في الزهد هو العفة عن الفضول والقناعة بالكفاف وليس منهم الأمن كانت له وسيلة الارتزاق من الحلال هذا مع الرضا بالقناعة وعدم الطموح الى الفضول تهذيباً لنفوسهم واقتداء بنبيهم صلى الله عليه وسلم وذلك هو زهد ابي بكر رضي الله تعالى عنه

مما يروي عن زهده وعفته ورضاه بالكفاف من العيش أنَّ زوجته

اشتهت حلواً فقال ليس لنا مانشتري به . فقالت انا استفضل من نفقتنا في عدة أيام ما نشتري به . قال افعلي فعلت ذلك فاجتمع لها في ايام كثيرة شيئ يسير فلما عرفته ذلك ليشتري به حلواً اخذه فرده الى بيت المال . وقال هذا يفضل عن قوتنا وأسقط من نفقته بمقدار مانقصت كل يوم وغرمه لبيت المال من ملك كان له

وروى انه لما ولى الخلافة رأى ان يستمر على استغلال ملكه والارتزاق من وراء عمل يده ولا ينفق على نفسه من بيت مال المسلمين شيئاً فأصبح يوماً وعلى ساعده ابراد وهو ذاهب الى السوق فلقيه عمر فقال أين تريد . قال الى السوق . قال اتصنع ماذا وقد وليت امر المسلمين .قال فمن أين أطعم عيالي . فقال انطلق يفرض لك ابوعبيدة . فانطلقا الى ابي عبيدة فقال افرض لك قوت رجل من المهاجرين ليس بأفضلهم ولا اوكسهم وكسوة الشتاء والصيف اذا اخلفت شيئاً رددته واخذت غيره . ففرضا له كل يوم نصف شاة وما كساه في الرأس والبطن : اخرجه ابن سعد عن عطاء بن السائب

واخرج ابن سعد عن ميمون قال لما استخلف ابو بكر جعلوا له الفين فقال زيدوني فانّ لي عيالاً وقد شغلتموني عن التجارة فزادوه خمسمائة

ومما يدل على شدة ورعه وانه انما قبل فرض العطاء اضطراراً لاشتغاله بامر المسلمين عن التجارة ما اخرجه البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت لما استخلف ابو بكر .قال لقد علم قومي ان حرفتي لم تكن تعجز عن مؤنة اهلي وشغلت بامر المسلمين فسيأ كل آل ابي بكر من هذا المال ويحترف للمسلمين

وروي عن عائشة أم المؤمنين انها دخلت على ابيها في مرضه الذي توفي فيه وطلبت اليه ان يعهد بالامر وهي حزينة كئيبة فرفع رأسه وقال . يا أمه

هـذا يوم يجلى لي عن غطائي واشاهـد جزائي ان فرحا فدائم . وان ترحا[1] فمقيم . اني اطمت امانة هؤلاء القوم[2] حين كان النكوص اضاعة . والخذل تفريطا . فشهيـدي الله ماكان يقيلني اياه فتعلقت[3] بصحفتهم وتعللت بدرة لقحتهم فاقمت صلاتي[4] معهم لا مختـالا اشراً . ولا متكاثراً بطراً . لم اعـد سدّ الجوعة وورى العـورة . وقواتة القوام . حاضري الله من طوى ممعض تهفو منـه الاحشاء . وتجب له المعى .[5] فاضطورت الى ذلك اضطرار المريض الى المعيف لآجن .[6] فاذا أنا مت فردى اليهم صحفتهم . وعبـدهم ولقحتهم . ورحاهم ودثارة مافوقي اتقبت بها اذى البرد ودثارة ما تحتى اتقيت بها نز الارض كان حشوها قطع السعف المشع

يترك هـذا الخليفة العظيم تجارته ويتخلى عن ذرائع كسبه اشتغـالا عنهـا بأمور المسلمين وقياما بوظائف الخلافة فيضطر الى اخذ نفقته من بيت المـال بما لا يزيد عن الحاجة الى سد الجوع وستر العورة ثم هو يؤدي للمسلمين خدمة هيهات ان تؤدى حقها الخزائن و يقابلها الشكر ، ولما يقضي واجبه و يشرف على يومه ، و يرى عنده فضلة من مال المسلمين وهى ذلك المتاع الحقير. يأمر بردها الى المسلمين ليلقى ربه امناً مطمئناً ، نزيه القلب . طاهر النفس خفيف الحمل الاّ من التقوى ، فارغ اليدين الاّ من الايمان ، انّ في هذا لبلاغاً وانها لموعظة لقوم يعقلون

فالحم ان هذه التقوى وهذا الزهد وان كان أليق بمثل أبى بكر وألصق

---

(١) وفي نسخة ان فرح فدائم وان ترح فمقيم (٢) وفي النثر المختار اني اطلعت بامامة هؤلاء القوم (٣) في النثر تبلغت (٤) وفي النثر فاقمت صلاتي معهم في ادامتهم (٥) وفي العقد ويجف له الامعاء (٦) وفي النثر اضطرار البرض الى المعتب الآجن

بمن أدرك عهد النبوّة وأجدر بالخلفاء المهديين الراشدين الاّ انّ فيهما عظة لو تذكرها بمُدخلفاء المسلمين وادّرعوا منها جلباباً ليس بالصفيق فيثقل عليهم حمله . ولا بالرقيق فيتكشف عن ضمائرهم ما دونه . لما زجّت بهم نزعات النفوس في ظلمات المراسم الاعجمية (المنتزعة من محض الوثنية التى هدمها وكل توابعها الاسلام ونعى على اهلها عوائدهم الخسيسة القرآن) فتركتهم مثلا في الجبارين حاشا افراداً منهم اختاروا لأنفسهم الاعتدال دثاراً ، والتقوى شعاراً ، فألحقوا بالراشدين وتركوا أحسن الذكر في تاريخ المسلمين

وهيهات لتلك النفوس الهائمة في فضاء الحياة الفانية ان ترضى لنفسها من هذا المتاع الدنيوى مارضيه لنفسه ابو بكر. وأنى للمؤرخ الناقد ان يتتبع منافذ القضاء التي ارسلت علينا من شواظ الوثنية الغابرة شرراً ما زال يعظم ويشتد حتى اعاد لنا سيرتها الأولى ، واتى على الخضراء واليابسة ، ومعظم النار من مستصغر الشرر .

﴿ جمعه القرآن ﴾

من مناقب ابى بكر العظيمة ومآثره الكبيرة جمعه القرآن. ولا يعلم قدر فضله بهذا العمل الجليل الا من عانى امر الحديث وعرف مقدار ما اجترأ فيه على الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة القصاص والوضاعين الذين شوّشوا على الأمة في الدين والسياسة والاخلاق تشويشاً الله اعلم بما جرّ على الأمة من البلاء ولولم ينهض أئمة الحديث وحفاظه من أواخر القرن الثانى وما بعده الى تلافي هذا الخطب وتتبع الاسانيد الصحيحة وترتيب درجات الحديث وتفريق الموضوع عن الصحيح لكان الخطب اعظم . والمصيبة اشد .

أما القرآن فلله الحمد والمنة على انه سبحانه تكفل بحفظه فقال تعالى فيه

(انا نحن نزلنا الذكر وانّا له لحافظون) (كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من عزيز حكيم) لهذا ألهم الله ابا بكر وعمر ما ألهم من النهوض الى جمعه من صدور القراء وبعض الصحف بجمع وكتب بين الدفتين دون أن يلحق حرفاً واحداً منه تغيير أو تبديل. وأما سبب جمعه فيظهر مما يلي

أخرج البخاري عن زيد بن ثابت قال (أرسل اليّ ابو بكر مقتل اهل اليمامة وعنده عمر فقال ابو بكر انّ عمر اتاني فقال ان القتل قد استحرّ يوم اليمامة بالناس واني لاخشى ان يستحرّ القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن الا ان يجمعوه واني لأرى ان يجمع القرآن قال ابو بكر. فقلت لعمر كيف افعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال عمر هو والله خير. فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدري فرأيت الذي رأى عمر. قال زيد وعمر عنده جالس لا يتكلم فقال ابو بكر انك شاب عاقل ولا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه. فوالله لو كلفني نقل جبل ما كان اثقل عليّ مما كلفني به من جمع القرآن: فقلت كيف تفعلان شيئاً لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم. فقال ابو بكر هو والله خير فلم ازل اراجعه حتى شرح الله صدري الذي شرح الله صدر ابي بكر وعمر فتتبعت القرآن اجمعه من الرقاع والاكتاف والعُسُب وصدور الرجال حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة بن ثابت لم أجدهما مع غيره (لقد جاءكم رسول من أنفسكم الى آخرها فكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنها)

﴿ قضاؤه ﴾

أخرج البغوي عن ميمون بن مهران قال كان أبو بكر اذا ورد عليه الخصوم نظر في كتاب الله فان وجد فيه مايقضي بينهم قضى به وان لم يكن في الكتاب وعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الامر سنة قضى به فان أعياه خرج فسأل المسلمين وقال أتاني كذا وكذا فهل علمتم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قضى في ذلك بقضاء ؟ فربما اجتمع عليه النفر كلهم يذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه قضاء . فيقول ابو بكر الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا . فان اعياه ان يجد فيه سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع رؤس الناس وخيارهم فاستشارهم فان اجمع رأيهم على امر قضى به . وكان عمر رضي الله عنه يفعل ذلك فان أعياه ان يجد في القرآن والسنة نظر هل كان فيه لابي بكر قضاء ؟ فان وجد أبا بكر قضى فيه بقضاء قضى به والا دعا رؤس المسلمين فاذا اجتمعوا على امر قضى به

مطلب

﴿ كلام في القضاء في الاسلام ﴾

لايخفى على من له المام باصول الشريعة ان الاحكام القرآنية التي كانت تنزل بازاء الحوادث والسنة النبويّة التي ورد فيها حكم قضى به الرسول صلى الله عليه وسلم انما هي أصول عامة اوكليات ليس من شأنها الاحاطة بجزئيات الحوادث التي تتجدد في كل وقت ومكان لهذا لمّا أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذاً الى اليمن قال له بماذا تحكم . قال بكتاب الله.قال فان لم تجد.

قال بسنة رسول الله . قال فان لم تجد . قال اجتهد برأيي وفي رواية اجتهد رأيي . فقال عليه الصلاة والسلام الحمد لله الذي وفق رسول رسوله لما يرضى به رسوله

وانت ترى من هذا ان لأبي بكر رضي الله عنه ان يجتهد برأيه في الحوادث التي لا يكون بازائها نص صريح في الكتاب ولا سنة ثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم ومع هذا فهو على بصيرته في الدين وعلمه وتقواه وعدله كان يرى ان لا ينفرد بحكم في نازلة ولا يقضي قضاء ليس بازائه نص صريح الا برأي جماعة من الصحابة مبالغةً في الاحتياط ودفعاً لشبه الضمائر وقد تابعه على هذا عمر رضي الله عنه وحذا حذوه فيه . واذا علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال.(اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر)[1] اتضح لك من جميع ما قدمناه ان هناك اموراً لا ينبغي في هذا الكتاب السكوت عليها وعدم الالمام باطرافها

ان الاجتهاد بمعناه اللغوي هو بذل الجهد وقول معاذ لرسول الله صلى الله عليه وسلم اجتهد برأيي ظاهر معناه انه يحكم بما يراه بعد بذل الجهد في تمحيص الرأي وتحري الحق واستشارة اهل الرأي وليس هناك قرينة او شيء آخر يدل على ان معاذاً اراد بقوله اجتهد برأيي معنى غير ما ذكرناه[2] وقد رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورخص به لمعاذ لان الله سبحانه وتعالى جعل الاسلام دين اليسر لا دين العسر فقال تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) ورسول الله صلى الله عليه وسلم انما رخص لمعاذ بالاجتهاد كي لا تتعطل مصالح المسلمين ولا يكون عليهم حرج في الدين

---

(١) أخرجه الترمذي وحسنه والحاكم وصححه (٢) أي ما اصطلح عليه الاصوليون

ومن البديهي ان هذا الترخيص تشريع للاجتهاد الذي هو ادارة الاحكام على المصلحة على تمادي الزمان . وأولى من تحري مصلحة المسلمين وحكم بالحق ابو بكر رضي الله تعالى عنه ومع هذا ومع ما رُخّص له به من الاجتهاد فانه رأى ورأيه الحق ان لا ينفرد برأيه في الاحكام ولا يقضي بقضاء مبني على الرأي الا باستشارة جمع من الصحابة واجماعهم على ذلك الرأي تمحيصاً للحق وتحريا للصواب وأخذاً بالاصلح والاحوط

اذن ينتج معنا من هذه المقدمات أمور هي من الاهمية بمكان (منها) مشروعية الترخيص بالاجتهاد عند الحاجة أي عند عدم وجود النص (ومنها) ان الاجتهاد بمعناه اللغوي دائر مع المصلحة والحق . مرخص لوضع الاحكام بازاء الحوادث التي لا يقابلها نص من الكتاب والسنة (ومنها) ان ابا بكر سن سنة الشورى وعدم الانفراد سواء بالرأي بوضع لحكم او بالقضاء فيه وتابعه على ذلك عمر رضي الله عنهما وهما اولى من يستن بسنتهما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم و يقتدي بهما للحديث السابق

اذا تقرر هذا علمنا ان المسلمين بما دخل على نظامهم الاجتماعي من الوهن وما تخلل حكوماتهم من فساد النظام انما أتوا من قبل أنفسهم لا من قبل الدين كما يفتريه أعداؤه أو يقول به فريق من سوائم البشر الذين هاموا بمظاهر التمدن كما تهيم السائمة في منابت الكلأ فتجترّ من هنا تارة وهنالك أخرى بلا نظام ولا ترتيب . اذ الدين لم يحص كل ما تحتاج اليه المجتمعات الاسلامية من الاحكام الجزئية في المعاملات ولم يقيد الأمة بقيود الحصر بما جاء فيه من كليات الاحكام دون التوسع فيما يقتضي لها من الجزئيات

أجل قد أصيب القضاء في الاسلام بآفات عظيمة أثرت كثيراً في

الحالة الاجتماعية عند المسلمين ولكن ما ذنب الاسلام وهو دين اليسر الذي دفع عن الامة الحرج ونبهها الى وجوب التوسع في القضاء بتوسع الحاجات وبما لا ينافي قاعدة الحق والعدل التي تدور عليها مصلحة المسلمين وقد عمل بهذا الخلفاء الراشدون مدة خلافتهم التي كانت الأمة فيها على حال من سذاجة الفطرة وجدة الدين وصفاء القلوب تكاد تجعل التخاصم بين الناس في حكم المفقود لقيام الزواجر النفسية مقام الوازع بالشرع الرادع بالتأديب من جهة ولانحصار المعاملات في دائرة لم تتعد طور السذاجة المذكورة من جهة أخرى . ثم أعقب ذلك فترة اشتغل بها الناس بالجهاد وتوسعوا بالفتح وخالطوا الامم فطرأ بعد ذلك انقلاب في السياسة والملك وتغيير عظيم في أصول المعيشة تشعبت فيه طرق الاعمال وتوسعت أحوال المعاملات والقضاء في غضون ذلك لم يتعد طوره الأول الا بانتقاله من أيدي الخلفاء الى أيدي أشخاص آخرين هيهات لأخيرِ خيِّرِيهم ان يبلغوا عشر معشار الخلفاء من العلم بالشريعة والاخذ بأسباب الحزم والصلاحة وانتهاج منهج العفة والعدل فكان ينتهي اليهم فصل الخصومات فيفصلون بها على قدر مبلغهم من العلم ومكانتهم من عفة النفس ونزاهة الضمير بلا سيطرة عليهم ممن هو أرفع منهم أو قيد بنظام خاص يلزمهم جادة الانصاف ويضطرهم الى تنكب طرق الخطأ أو الجور الا ما جاء من ذلك في كتاب الله من أمر بالعدل ونهي عن الظلم وتحذير من اتباع الهوى وانما يصلح بالتحذير والزواجر نفس تطهرت بأصل الفطرة من شوائب الهوى ونشأت على سذاجة الفطرة وأولئك هم المسلمون الاولون . وأما من انغمسوا بعد ذلك بحمأ الحضارة وافتتنوا بزخارف العالم الفاني فانهم الى سيطرة السلطان أحوج منهم الى التذكير بالقرآن لهذا جاء

في بعض الآثار (ان الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) ولا بد دائماً من قوة تصاحب الشرائع فتقيم شعائرها وتنفذ اوامرها والى هذا وردت الاشارة في كتابه الكريم (ولقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس) والاسلام بما جاء به من وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر جعل الناس رقباء على أولي السلطة كما جعل هؤلاء مسيطرين على اقامة احكام الشرع فقط ولكن غفلة الناس واهواء الحكام أضاعا مزايا الاسلام وتركا الامة منقادة لجور الرؤساء محكومة بالاهواء . لا تعرف لها حقاً قبل رؤسائها ولا تفتأ تعتمد في تدبير كل شؤونها على قادتها

قام في غضون ذلك من التابعين جماعة نشطوا لجمع السنة في السطور بعد اذ كانت في الصدور ضبطاً لقواعد الشريعة وتقييداً للاهواء ثم تلاهم الائمة والفقهاء الذين وجدوا القرآن مجموعاً يسراً والاحاديث قد احرزت فضبطت فتفقهوا في القرآن والحديث ثم اشتغلوا بالاستنباط والتفريع فوضعوا علم الفروع الذي يشتمل على قسمي العبادات والمعاملات ونعمة الخدمة خدموا بها الاسلام وضبطوا بها امور القضاء بما وصل اليه اجتهادهم لولم يزعم من جاء بعدهم من فقهاء كل مذهب انهم تركوا الامور على كمال الحالات ولم يبق للناس الا ان يحفظوا ما استنبطوه ويعلموا ما بينوه

اجل ان الامر كذلك في قسم العبادات والاعتقادات لانه ليس مبنياً على شيء من الرأي وانما هو اصول ثابتة في الكتاب والسنة توسعوا في بيانها وتوضيحها وأما في قسم المعاملات فليس الامر كذلك الا من بعض الوجوه بدليل ما كان بينهم من الاختلاف الكثير في المسئلة الواحدة ومنشأوه اجتهاد كل

فرد منهم برأيه في طريقة الوضع والقياس والاستنباط ولو ألهم الله القوم ما ألهم أبا بكر وعمر من عدم الانفراد بالرأي فيما لا يكون بازائه نص صريح من الكتاب او السنة واجمع اهل الرأي والعلم منهم على جعل علم الفروع قائماً بالتكافل خالقاً من شوائب الظنون والاختلاف دائراً مع المصلحة التي تناسب كل عصر ولم يأت بعدهم من ينزل اقوالهم منزلة الكتاب العزيز من حيث لزوم الاكتفاء بها وعدم الحيد عنها او النظر فيما يصلح او ما لا يصلح لكل زمان منها لما عرا نظام القضاء في الاسلام ما عراه من الخلل والنقص وتلاعب الاهواء

ان لنظام القضاء اثراً عظيما في ترقي الامم وتدنيها اذ متى انحرفت حكومة من الحكومات عن طريق العدل وحاولت حكم الامة بالجور والاستبداد فانها اول ما تتكيء فعلى القضاء فان كان نظام القضاء قوياً ثابتاً منعها من الجور وصدها عن سبيل الهوى فحفظ على الناس ارواحهم واموالهم وحقوقهم والعكس بالعكس

ومعاذ الله ان نريد بهذا القول رمي الائمة بالتقصير في جانب الحاجة الاجتماعية الى التوسع في الاحكام بتوسع طرق المعاملات فان هذا فوق طوق الآحاد او نبخسهم حقهم من الاحترام وهم لعمر الله اولى من يحترم عملهم ويشكر صنيعهم بما خدموا به الشريعة وما عانوه من استنباط الاحكام وتدوينها تسهيلا لتناول الاحكام ودفعاً لفوضى الرأي حتى انّا لنفاخر غيرنا بما بلغوه من بعيد الشأو وقصيّ الغاية في تتبع احكام المعاملات المدنية او فن الحقوق وانما هنالك امور ربما فاتهم النظر اليها اعتماداً منهم على قرب عهد الناس بالاسلام وتمكن التقوى والعدل من النفوس ولم يصلوا الى مكان النظر في الغيب

ليروا ماذا يحدث من الاقضية بعد للمسلمين والى اية درجة تنتهي اليه الاخلاق وتتبدل العوائد وقد فسحت تلك الامور لقادة الأمة مجال العبث بالشريعة ومهدت للحكام سبيل الهوى فكانوا في كثير من العصور الاسلامية آفة الامن وسم الاجتماع الا من عصم ربك وهؤلاء لا يبنى عليهم حكم

وأما تلك الامور فهي اولا كثرة الاختلاف بين المخرجين والمرجحين حتى على المسئلة الواحدة مما جعل علم الحقوق اشبه برموز لا يتيسر لاحد من الناس ان يتناول منه حكما جازماً الا بواسطة الفقهاء والمفتين وقليل من الناس المعصوم عن الخطأ او الغرض فيحال احدهم من طريق احد المرجحين مايحرمه الآخر من طريق غيره [1] هـذا بين علماء المذهب الواحد فما بالك بتعدد المذاهب ايضاً

ثانياً أحكام العقوبات التي لم يرد فيها نص صريح في الكتاب أو السنة كالضرب والتعذير والحبس ووضع لها الائمة والعلماء أحكاما من طريق الرأي أو الاستنباط لم تعين فيها درجات الجرائم على وجه يمنع من تحكم هوى النفوس . وتوزع الاختصاص بالحكم فيها وتنفيذها بين الولاة والقضاة والمحتسبين فكان من ذلك ان تذرع بها الحكام الظالمون للتطاول على اموال الناس وحقوقهم وسلب الراحة والامان من بين ظهرانيهم لا سيما بعد مبالغة الخلفاء بالتحجب وترفعهم عن النظر في المظالم وانزوائهم في زوايا القصور عن انظار الناس

والظلم على ذلك الوجه اذا طال في أمة دمرها وأفسد اخلاقها واوهن قوتها فتألف المداهنة والنفاق وتذل نفوسها لأولي السيطرة وتمنع ثروتها

---

(١) راجع حاشية الدر المختار لابن عابدين وانت ترى فيها ما كتبه بشأن المفتين في عصره وكيف توسعوا بالافتاء الى ان أضاعوا الحقوق وبالخاصة حقوق الاوقاف

من الظهور خوف المصادرة فتبور عندها التجارة والصناعة وتقف حركة الاعمال وناهيك بها من آفات تنخر جسم العمران وتهدم من التمدن شوامخ البنيان وقد كاد الظلم على ذلك الوجه يتأصل لقدمه في الامة حتى قال ابن خلدون عن مداهنة الحكام في عصره انها لازم من لوازم الامن على الانفس والاموال لا حرج فيها على المداهنين . وما أقبحها من حال آلت بالامة الاسلامية الى هذا المآل

ثالثاً تبادل المسئولية [1] بين طبقات العمال وتعيين اختصاص كل فرد منهم بوظيفة خاصة لا يتعداها وقد وضع لها الأئمة والعلماء كتباً خاصة كالاحكام السلطانية وآداب القضاة والمفتين وأشباهها الا انها لشوبها بآفة الخلاف وخلوها من تعيين العقوبات التي تقع على المخالفين تعييناً باتاً صريحاً كادت تكون بحكم المعدوم وان وجد شيء منها فليس وراءه من قوة التنفيذ ما يقف بكل عامل عند حده وعلة ذلك عدم تحديد المسئولية في تلك الكتب وارتباط العمال بها ارتباطاً يشبه السلسلة المتصلة الحلقات بحيث تكون السيطرة عامة من الكبير على الصغير ومن هذا على الادنى وأنّى يتيسر وجود هذه المسؤلية لو فرض بيانها في كتب الفروع ما دام لا رأي للامة في التشريع ولا لاولياء الامر ارتباط بقانون بل هم قادة الامة الذين ترك المسلمون اعتمادهم عليهم وركنوا بكل شؤونهم اليهم فما راق لديهم من اقوال الفقهاء عملوا به وما لم يروقهم نبذوه وعاملوا الامة معاملة السائمة كما تشاء الاهواء وكم جرّت هذه الفوضى بنظام القضاء من البلاء على الناس وجرت عليهم من المصائب ما لا تحمله الجماد وليس العهد بها في المملكة العثمانية ببعيد فانّا ان لم ندرك شيئاً منها فقد ادرك آباؤنا وأخبرونا بمبلغ ما وصل اليه لذلك العهد انحلال نظام الاختصاص

---

(١) المراد بالمسؤلية هنا على اصطلاح كتاب العصر التبعة

وفقد المسؤلية حتى كان ليأمر بحبس المدين (مأمور الطابو[1]) قبل وضع القانون المعمول به الآن لرجاء من الدائن ومثل هذا وأشد لم يزل حاصلاً في بعض الممالك الاسلامية الى الآن كمملكة مراكش التي يموت بسجنها السجين دون ان يعلم بسبب سجنه او موته السجان او يأخذ خبره احد من الحكام الا من امر بحبسه لمال يريد ابتزازه منه او لمجرد التشفي والانتقام وهذا من التناهي في الظلم الناشئ عن تشويش نظام القضاء والعياذ بالله

وتالله ان الاسلام ليبرأ الى الله من التصاق أمثال هذه المخازي بالمسلمين وهو انما شرع الاجتهاد في المسائل التي لا يكون بازائها نص صريح درأ لامثال هذه المفاسد وتلافياً لكل ماعساه يحدث للامة من الاقضية التي لم تحدث في عصر الرسول عليه الصلاة والسلام لهذا لما كان يعرض على ابي بكر او من بعده من الخلفاء الراشدين قضية من هذا القبيل يحكمون فيها برأيهم ورأي المسلمين بعد تتبع الكتاب والسنة كما رأيت وهكذا ائمة المذاهب انما ألجأهم الى الاجتهاد في مسائل الفروع والتوسع في وضع الاحكام توسع الامة بالفتح وتبسطها في مناحي الحضارة وتوفر اسباب التعامل وتنوع طرق التحيل بين الناس

---

(١) هذه وظيفة قديمة في الدولة وهي خاصة بكتابة صكوك الفراغ والانتقال في الاراضي الاميرية عملا بقانون الاراضي الذي وضعه السلطان سليمان وقسم به أراضي المملكة الى قسمين خراجية وعشورية وجعل حق التوريث في الاراضي الخراجية عائداً لنصوص القانون وحق بيعها للحكومة وقد توسعت الدولة فيه الآن حتى جعلت كل الاراضي والمسقفات داخلة تحت معاملات قانون الطابو حتى عدمت حرية التملك والتمليك في المملكة العثمانيــة وأصبحت الاعيان جميعها ملكا للدولة كما هي مالكة للرقاب أيضاً وهو شأن غريب من شؤون الحكومات المطلقة كما سترى تفصيله بعد

[illegible] يتقلب وتمدد

[illegible] المفصل الخاص لدور الاجتهاد [illegible] كافياً

[illegible] ما يحدث للناس من الأقضية توفيقاً للحكام بالقانون

[illegible] الآن لما طرأ على المسلمين ما طرأ من التقهقر الناشئ عن [illegible]

القضاء وبلغت توكلهم للشرعية الى هذا العهد مبلغاً من الترقي [illegible]

آفات الظلم التي نخرت عظامهم وعبثت أوكان مجتمعهم ولكن ما الحيلة وقد

ختم الفقهاء منذ أجيال طويلة بسد باب الاجتهاد لا لعلة سوى ان هذا القول

وافق هوى من نفوس الامراء الذين تعاكس قاعدة الاجتهاد مقاصدهم

فلما وافق الفقهاء على قولهم . ودعموا بالقوة والجبروت دعواهم اذ الاجتهاد مبني

على المصلحة والمصلحة كانت تقضي بسد كل ثلمة يتسرب منها جور الرؤساء الى

الأمة وفي هذا الحل لايجتمع مع الاستبداد ونفوذ لاشهواتهم من التصرف

بنفوس العباد ، وهكذا انطوى الثوب على غرّه ، ومضى الامر لهذا العهد

على وجهه . حتى بلغت بنا الحال الآن الى العمل بالقوانين الوضعية التي تمتع

الامم بها بالسعادة الدنيوية وأمامنا الشرع رحب الجناب وسيع الباب يصدنا

عنه الفقهاء ويقتلنا دونه الرؤساء فاللهم ارزقنا من فضلك فرجاً ، واجعل لنا من

هذا الضيق مخرجا ، انك مجيب الدعاء

وربما يتبادر الى الذهن انّا نريد بهذه المقدمة فتح باب الاجتهاد لاهل

الرأي يلجه منهم من شاء في أي وقت شاء لنلاقوا حاجة القضاء في كل عصر،

ويطلقوا عنان النظر والبحث في هذا الامر ، ومعاذ الله ان يخطر لنا مثل هذا

في بال ومن قبله جاء الامة مصاب الاختلاف ، وتشوش نظام القضاء فاصبحت

الاحكام عرضة لآفات الخلاف ، وانما الذي نراه حاسما للعلة وافيا بالحاجة واقيا

[illegible] بالهوى [illegible] الا [illegible] ابو بكر وعمر رضي الله عنهما

[illegible] نص صريح في الكتاب والسنة

[illegible]

[illegible] الائمة [illegible]

[illegible] الآن [illegible] الامر [illegible]

[illegible] علوم الشريعة الواقفين على [illegible] الائمة [illegible]

[illegible] كما كان ابو بكر [illegible]

[illegible] بالرأي اهل [illegible]

[illegible] (1) [illegible]

كان اجتهاد الصحابة كما علمنا هو عند الحاجة وتعذر وجود النص كذلك ينبغي لاولئك العلماء ان يكون اجتهادهم قاصراً على ما تمس اليه حاجة الدولة والامة من الاحكام التي تقتضيها سياسة الشعور بلزوم العدل وتدرأ بها مفسدة تعطيل الاحكام . او الحكم بالهوى فيما لا يكون بازائه نص صريح في المسائل التي تعرض للحكام .

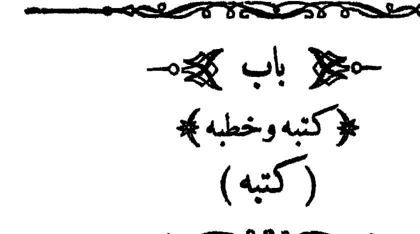
ومن ثم يتكون من احكام الشريعة قانون شامل لاحكام العقوبة والحقوق ليس فيه شيء من مثارات الخلاف يتناول من الاحكام سائر [illegible] [illegible] التي الدولة في نحو ما سيتمته الدولة العثمانية في ترتيب [illegible] للاحكام الشرعية التي اغنت الائمة عن تحكيم [illegible] [illegible] الذي التلاعب بالنصوص

(1) يؤثر عن عمر بن عبد العزيز انه قال يحدث للناس من الاقضية بقدر [illegible] هم من الفجور وبهذه القاعدة عمل المالكية في التفريع

هذا ما نراه حاسما لداء الفوضى القانونية عند المسلمين قريباً من الصواب وسنة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم اجمعين وبعدُ ففوق كل ذي علم عليم والله وليّ الارشاد واليه يرجع الامر

﴿ أوّلياته ﴾

منها انه اول من سمي خليفة واول من ولي خلافة وأبوه حيّ وأول من فرض له رعيته العطاء وأول من أسلم وقد تقدم الكلام على اسلامه واول من جمع القرآن وأول من وضع بيت المال



باب

﴿ كتبه وخطبه ﴾

(كتبه)

(كتاب عهده للامراء في حروب الردة) بسم الله الرحمن الرحيم هذا عهد من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم لفلان حين بعثه لقتال من رجع عن الاسلام وعهد اليه أن يتقي الله ما استطاع في امره كله سره وجهره وأمره بالجد في أمر الله ومجاهدة من تولى عنه ورجع عن الاسلام الى أمانيّ الشيطان بعد ان يعذر اليهم فيدعوهم بدعاية الاسلام فان أجابوه أمسك عنهم. وان لم يجيبوه شن غارته عليهم. حتى يقروا له ثم ينبئهم بالذي عليهم والذي لهم. فيأخذ ما عليهم ويعطيهم الذي لهم لا ينظرهم ولا يرد المسلمين عن قتال عدوّهم فمن اجاب الى امر الله وأقر له قبل ذلك منه وأعانه عليه بالمعروف. وانما يقاتل من كفر بالله على الاقرار بما جاء من عند الله. فاذا اجاب الدعوة لم يكن عليه سبيل. وكان الله حسيبه بعد فيما استسر به. ومن لم يجب الى داعية الله

قتل وقوتل حيث كان وحيث بلغ مراغمة لايقبل الله من احد شيئاً مما أعطى الاّ الاسلام . فمن أجابه وأقر قبل منه وأعانه ومن ابى قاتله فان اظهره الله عليه عزّ وجلّ قتلهم فيه كل قتلة بالسلاح والنيران . ثم قسم ما أفاء الله عليه الا الخمس فانه يبلغناه ويمنع اصحابه العجلة والفساد وان لايدخل فيهم حشواً حتى يعرفهم و يعلم ما هم لئلا يكونوا عيوناً . ولئلا يؤتى المسلمون من قبلهم . وان يقتصد بالمسلمين ويرفق بهم في السير والمنزل ويتفقدهم ولا يعجل بعضهم عن بعض ويستوصى بالمسلمين في حسن الصحبة ولين القول اه

كتابه الى المرتدين

(وسيره اليهم قبل مسير الامراء لحربهم)

(بسم الله الرحمن الرحيم) من ابي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى من بلغه كتابي هذا من عامة أو خاصة أقام على الاسلام او رجع عنه . سلام على من اتبع الهدى ولم يرجع بعد الهدى الى الضلالة والهوى فاني أحمد الله اليكم الذي لااله الا هو وأشهد أن لااله الا الله وحده لا شريك له وأنّ محمداً عبده ورسوله وأومن بما جاء به (أما بعد) فان الله أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق من عنده بشيراً ونذيراً . وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً . لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين . يهدى الله للحق من اجاب اليه وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم باذنه من ادبر عنه حتى صار الى الاسلام طوعا او كرهاً ثم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نفّذ لأمر الله ونصح لامته وقضى الذي عليه . وكان الله قد بين ذلك لأهل

الاسلام فقال (انك ميت وانهم ميتون) وقال (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفائن مت فهم الخالدون) وقال للمؤمنين (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفائن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين) [illegible] مات [illegible] [illegible] [illegible] ونصيبكم من الله وما جاء به نبيكم وان تهتدوا بهديه وان تعتصموا بدين الله عز وجل فانه من لم يهد الله ضل . وكل من لم يعافه مبتلى . وكل من لم ينصره مخذول . فمن هداه الله كان مهديا . ومن اضله كان ضالا (من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً) ولم يقبل منه في الدنيا عمل حتى يقر به . ولم يقبل له في الآخرة صرف ولا عدل . وقد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد ان اقر بالاسلام . وعمل به اغتراراً بالله عز وجل . وجهالة لأمره . واجابة للشيطان . وقال جل ثناؤه (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه أفتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا) وقال جل ذكره (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير) واني قد انفذت لكم فلانا في جيش من المهاجرين والانصار والتابعين باحسان وأمرته ان لا يقاتل احداً ولا يقتله حتى يدعوه الى داعية الله فمن استجاب واقر وكف وعمل صالحاً قبل منه واعانه عليه . ومن أبى ان يقاتله على ذلك ولا يبقي على احد منهم قدر عليه . وان يحرقهم بالنيران ويقتلهم كل

قتلة ويسبي النساء والذراري ولا يقبل من احد الا الاسلام [1] فمن آمن فهو خير له ، ومن تركه فلن يعجز الله . وقد امرت رسولي ان يقرأ كتابي في كل مجمع لكم والداعية الاذان فاذا اذن المسلمون فاذنوا كفوا عنهم وان لم يؤذنوا عاجلوهم وان اذنوا سألوهم ما عليهم فان ابوا عاجلوهم وان اقروا قبل منهم وحملهم على ما ينبغي لهم اه

﴿ كتاب عهده لعمر ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) هذا ما عهد به أبو بكر خليفة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة في الحال التي يؤمن فيها الكافر ويتقي الفاجر . اني استعملت عليكم عمر بن الخطاب فان بر وعدل فذلك علمي به ورأيي فيه . وان جار وبدل فلا علم لي بالغيب . والخير أردت . ولكل امرىء ما اكتسب . (وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون)

﴿ كتابه الى عمرو بن العاص ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم (اما بعد) اني كنت قد رددتك الى العمل الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاكه مرة وسماه لك أخرى مبعثك الى عمان انجازاً لمواعيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد وليته ثم وليته وقد احببت ابا عبدالله ان افرغك لما هو خير لك في حياتك ومعادك منه الا ان يكون الذي انت فيه احب اليك

﴿ كتابه الى خالد ﴾

وكتب الى خالد بن الوليد منصرفه من الحج يعاتبه ويأمره بقصد الشام

---

(١) كل هذا مبالغة لاهل الردة بالارهاب فقط

(اما بعد) سر حتى تأتي جموع المسلمين باليرموك فانهم قد شجوا فاشجوا. وإياك ان تعود لمثل ما فعلت فانه لم يشج الجموع من الناس بعون الله شجاك ولم ينزع الشجي من الناس نزعك فليهنئك أبا سليمان النية والحظوة فاتمم يتمم الله لك ولا يدخلنك عجب فتخسر وتخذل وإياك ان تدلّ بعمل فان الله عزوجل له المنّ وهو وليّ الجزاء

﴿ كتابه الى أبي عبيدة في شأن الداريين ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) من ابي بكر الصدّيق الى أبي عبيدة بن الجراح سلام عليك فانى احمد الله الذي لا اله الا هو (اما بعد) فامنع من كان يؤمن بالله واليوم الاخر من الفساد في قرى الداريين وان كانوا اهلها قد جلوا عنها وأراد الداريون يزرعونها فليزرعوها واذا رجع اليها اهلها فهي لهم وأحق بهم والسلام عليك

﴿ كلام على الخطابة عند العرب في الجاهلية والاسلام ﴾

مجمل تاريخ الخطابة عند العرب انها قديمة مع الشعر وكان لهم بها تبريز. وفيها ولع ، ولها فى تاريخهم عظيم الاثر، وطويل الخبر ، ونحن نجتزيء من ذلك بذكر ما يهم ايراده ويناسب ذكره توطئة لما سيرد معنا من ذكر خطب ابى بكر وغيره من فصحاء الاسلام فنقول

كانت العادة عند العرب في الخطابة ان يكون الخطيب واقفاً على قدميه مشرفاً على الناس لهذا كان اذا خطب خطيبهم في العراء علا نشزاً من الارض وان لم يجد خطب على الراحلة وفي غير العراء يقف على المنبر وكان لا بد للخطيب من ان يأخذ بيده العصا او المخصرة او القوس وتارة يخطب وفي يده القناة وللعرب في هذا اشعار كثيرة فمنها قول معن بن اوس المزني في العصا

فلا تعطى العصا الخطباء يوماً وقد تكفي المقادة والمقالا

ومنها قول لبيد بن ربيعة في القسي

ما ان اهاب اذا السرادق غمه قرع القسيّ وأرعش الرعديد

وقال جرير بن الخطفي في حملهم القناة

من للقناة اذا ماعي قائلها وللاعنة يا عمرو بن عمار

ولما جاء الاسلام أقر كثيراً من هذه العوائد والى استعمال المسلمين المخصرة والعصا يشير بقوله كثيّر من شعراء الاسلام

اذا قرعوا المنابر ثم خطوا باطراف المخاصر كالغضاب

وربما كان هذا سبب حمل خطباء المنابر السيف الخشبي الى الآن وكان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب واقفاً على منبر[1]

وكذلك كان بعده الخلفاء الراشدون يخطبون وهم وقوف الاّ في خطبة النكاح فانهم كانوا يخطبون وهم جلوس لهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما يتصعّدني كلام كما يتصعّد ني خطبة النكاح، وذلك لانه كان يخطبها جالساً، وكان للخطابة عند العرب من المكانة السامية ما كان للشعر يفاخرون بها في مشاهدهم ، ويتخيرلها الخطباء من اللفظ أحسن ماعندهم ، الا انها كانت لا تخلو من السذاجة تبعاً لحالة القوم الاجتماعية ، ومعيشتهم الفطرية ، ولمّا جاء الاسلام ببيانه ، وضرب بينهم بجرانه ، تفتقت القرائح واتسع مجال الفكر وبعدت مرامي العقول ، فارتقى فنّ الخطابة على عهد الصحابة والتابعين ارتقاء

---

(١) عند الامام احمد وغيره من حديث سعد بن عائذ وسعد القرظ مؤذن رسول الله (ص) ان رسول الله كان اذا خطب في الحرب خطب على قوس واذا خطب في الجمعة خطب على عصا

يدل على ما كمن وراء تلك السذاجة من الاستعداد الباهر الذي كان اشبه بكمون النار في الزناد أظهرها الاحتكاك وطيّر شررها القدح

والفضل في ارتقاء فن الخطابة في عهد الصحابة والتابعين انما هو عائد للكتاب المبين وذلك من وجوه (منها) ان القرآن وان كان نزل بلغة القوم التي بها يتخاطبون ، وبفصاحتها يتفاخرون ، الا انّ اساليبه العالية التى أعجزت فصحاءهم ، وأخذت بمجامع قلوبهم ، اكسبتهم ملكة من البلاغة في تخيّر الاساليب السامية غير ملكاتهم ، وأطلقت السنتهم من عقال الحوشية والتقعر الذي كان ديدن كثير من خطبائهم وفصحائهم ،

حتى انهم لكانوا يعيبون الخطيب المصقع اذا لم يكن في كلامه شيءٌ من آي القرآن ، فقد روى الجاحظ عن الهيثم بن عديّ عن عمران بن حطان انه قال : خطبت خطبة عند زياد او قال ابن زياد فاعجب بها زياد وشهدها عمي وأبي ثم اني مررت ببعض المجالس فسمعت رجلاً يقول لبعضهم ، هذا الفتى أخطب العرب لو كان في خطبته شيءٌ من القرآن :

وروى الجاحظ عن الهيثم أيضاً انهم (يعني العرب) كانوا يستحسنون أن يكون في الخطب يوم الحفل وفي الكلام يوم الجمع آي من آي القرآن فانه مما يورث الكلام البهاء والوقار وحسن الموقع

. (ومنها) ان الاسلام بما هذب من أخلاقهم وألان من جفاء طباعهم أدخل من الرقة على عواطفهم ما رق به كلامهم وكثر للمعاني المؤثرة في النفوس اختيارهم في خطبهم ومخاطباتهم

(ومنها) ان ما جاء في القرآن من الترغيب والترهيب على الاسلوب البالغ حد الاعجاز في التأثير على الضمائر والاخذ بشكائم النفوس أعانهم على التفنن

في اساليب الوعظ الخطابي عند حلول الازمات ، او الحاجة الى تأليف قلوب الجماعات ، حتى لقد كان الخطيب البليغ منهم ليدفع بالخطبة الواحدة من الملمات، ما لا يدفع بالبيض المرهفات ، ويملك من قلوب الرجال ما لا تملكه البدر والاموال ، كما صنع أبو بكر في خطبه يوم السقيفة التي امتلك بها قلوب المهاجرين والانصار، وصرف عن الامة تلك الامور الكبار ،وكما صنع الحجاج في أول خطبة له في أهل العراق يوم اذ قلبوا للدولة المروانية ظهر المجن ، وسطرت على جباههم آيات الاستكبار والفتن، فانهم ما طرق مسامعهم داعي الامير الى المسجد حتى أخذوا يفدون اليه افواجا ويلتقطون من ارضه الحصى يريدون رجمه بها وهو على المنبر استصغاراً لشأنه واحتقاراً لمولاه ولم يلبثوا أن طرقت اسماعهم زواجره ، واخترقت جدار قلوبهم صوادع كلمه ، حتى تناثرت من أيديهم الحصى ، وخشعت منهم النفوس ، وطأطأت الرقاب ، رهبةً منه واجلالاً له ، كما سيمر عليك في هذا الكتاب ان شاء الله

(ومنها)ان الاسلام بما مهد لهم من سبل الفتح ومخالطة الامم وبما منحهم من سعة السلطان والسيادة على الشعوب،وفر لهم الاسباب الداعية الى التوسع في الخطابة بما تتطلبه حاجة التوسع في الملك وتقتضيه عوائد الامم المحكومة واخلاقها

هكذا كان شأن الخطابة في صدر الاسلام ومبلغ تبرّز القوم فيها وتسلطهم على النفوس الجافية بقوة سلطانها ، وقويّ برهانها ، ولكن واأسفاه فقد بدأ يعروها الوهن ويحتفها الفساد من أواسط الدولة المروانية حيث كان استحكم الفساد باللغة العربية ، ودب في نفوس الخلفاء داء العظمة والكبرياء ، فأقلوا من الظهور لعامة الامة ، وترفعوا بزعمهم عن الوقوف موقف المخاطب للناس ، لاسيا وقد كان الخلفاء في صدر الاسلام يخطبون الناس عند طروق

كل حادث جلل بلا تقييد بوقت ، ولا تكلف لقول ، فكانوا يجمعون المسلمين الى المسجد تارة لاعلان خبر عليهم ، وتارة لاستشارتهم ، ووقتاً لتحذيرهم ، وآخر لوعظهم وتذكيرهم ، وأنى لمن اتخذوها بعدُ كسروية ان يقفوا للناس هذا الموقف وهم يرون ان الرأي سلطان لا يتعداهم وان الناس بالنسبة اليهم همل لا ينبغي لعصا القوة والجبروت ان تتخطاهم

ما أعظم مكانة الخطيب في النفوس ، وانفذ كلامه في القلوب ، وأشده اثارةً للعواطف ، اذا كان ذلك الخطيب أمير القوم الذي تتجه نحوه أنظارهم ، وتحدق به ابصارهم ، وتلتف حوله قلوبهم ، وتترامى اليه آمالهم ، يستلينهم بالقول اذا قسوا ، ويستخضعهم به اذا عصوا ، يمتلك نفوسهم بالرغبة تارة ، وبالرهبة اخرى ، وينفخ فيهم وقت الحاجة روح الحماس فيقذف بهم الجبال فيدكوها بين يديه ، ويلين لهم بالقول ، فاذا استوهبهم الاموال والارواح وهبوها اليه

تالله انها لمكانة سامية انحط عنها الامراء على غير علم ، وسلطان نافذ القوة في الارواح لا يدانيه نفوذ قوتهم الجبروتية في الاجسام وأنى يضارع الروح الجسم ، ولقد كان اول وهن دخل على سلطان الخطابة في الاسلام في عهد الوليد بن عبد الملك حيث بدأ بان يخطب على المنبر جالساً وقد كان الخلفاء قبله يخطبون وهم وقوف ، ومن ثم دب دبيب الاستهانة بهذا الموقف العظيم شأنه ، الجليل شرفه ، حتى هجره الخلفاء والامراء ، وانحط عنه القادة اما عجزاً عن الوفاء بحقه ، واما استهانة به وترفعاً زعموا عنه ، وكان آخر الخطباء المجيدين من خلفاء المسلمين الخليفة المأمون العباسي رضي الله عنه وانما انحلت عرى الخطابة بعدُ لما انحلت عرى الامامة واخذ الخلفاء يستنيبون بالصلاة

بالناس كما استنابوا غيرهم بكل وظائف الامامة فاصبحت الخطب تتلى على المنابر في ايام الجمع لا لما وجدت له بالذات بل لانها اصبحت من قبيل الرسوم التي ينبغي اداؤها على اىّ حال كان ، حتى كان من ذلك ان تنوسي مع الزمان القصد الذي سنَّت من اجله الخطابة في الاسلام فانقلب نفعها ضراً وخيرها شراً بمن انتهت اليهم هذه الوظيفة السامية من جهلاء المسلمين الذين اصبحوا واحزناه ينفثون من اعلى المنابر سموم الجهل والأذى في العقول بعد اذ كانت تشرق منه شموس الحكمة فتنبعث اشعتها في الاقطار ، وتمزق عن البصائر حجب الجهالة ، وغشاء الضلالة ، فكم فرّج ذلك الموقف من الكروب ، وكم أزال من الخطوب ، وكم فرق ما اجتمع على الضلال ، وجمع ما تفرق من القلوب ، وكم اشرف من اعلاه رجال كانت صدورهم ينابيع للحكم يفيضونها على الناس فيضاً . و رؤسهم بما تحملته من العقول أشبه بأوعية البخار ترسل قوته على الناس من أنابيب الافواه ارسالا ، فتحركهم حركة من دبت فيه الحياة ، وامتلأ بروح النشاط . ولكن كان ذلك وأنى لنا ان يكون . والحديث شجون ، وقد اختص بهذه الفضيلة الآن خطباء السياسة الغربيون

خطبة

كان ابو بكر رضى الله عنه فصيح اللسان قويّ الحجة اذا خطب كثير التذكير بالله والتخويف منه والترغيب فيه وروي عن الزبير بن بكار انه قال سمعت بعض اهل العلم يقول ، افصح خطباء رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر الصديق وعلى بن ابي طالب

وها نحن ننقل اليك في هذا الكتاب ما وقفنا عليه من خطب ابي بكر رضي الله عنه

١

لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم واختبط الناس فأصبحوا بين مصدق ومكذب جاء ابو بكر من السنح ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكلم بكلام سبق ذكره ثم خرج وخطب الناس فقال

أشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وأشهد أن الكتاب كما نزل . وأن الدين كما شرع ، وأن الحديث كما حدث ، وان القول كما قال ، وأن الله هو الحق المبين ، في كلام طويل ثم قال أيها الناس من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ، وانّ الله قد تقدم اليكم في أمره فلا تدعوه جزعا ، وان الله قد اختار لنبيه ماعنده على ما عندكم ، وقبضه الى ثوابه وخلف فيكم كتابه ، وسنة نبيه ، فمن أخذ بهما عرف ومن فرق بينهما أنكر ، ياأيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم ولا يفتننكم عن دينكم فعاجلوه بالذي تعجزونه ولا تستنظروه فيلحق بكم

٢

(خطب يوم السقيفة فقال بعد ان حمد الله وأثنى عليه) أيها الناس نحن المهاجرون أول الناس اسلاما ، واكرمهم أحسابا وأوسطهم داراً ، وأحسنهم وجوهاً ، واكثر الناس ولادة في العرب وأمسهم رحماً برسول الله صلى الله عليه وسلم ، أسلمنا قبلكم ، وقدمنا في القرآن عليكم ، فقال تبارك وتعالى (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان) فنحن المهاجرون وأنتم الانصار اخواننا في الدين ، وشركاؤنا في الفيء ، وانصارنا على العدوّ ، وآويتم وواسيتم فجزاكم الله خيراً ، فنحن الامراء وأنتم

الوزراء لا تدين العرب الا لهذا الحي من قريش فلا تنفسوا على اخوانكم المهاجرين ما منحهم الله من فضله

٣

(وخطب يوم السقيفة أيضاً فقال) نحن أهل الله وأقرب الناس بيتاً من بيت الله، وأمس الناس رحماً برسول الله صلى الله عليه وسلم، ان هذا الأمر وان تطاولت له الخزرج لم تقصر عنه الاوس وان تطاولت له الاوس لم تقصر عنه الخزرج وقد كان بين الحيين قتلى لا تنسى، وجراح لا تداوى، فان نعق منكم ناعق فقد جلس بين لحيي الاسد يضغمه المهاجري ويجرحه الانصاري اه

ولقد أثرت هذه الخطبة في الانصار تأثيراً بالغاً اذ تنبه لها الاوس فخافوا ان يصير الامر دونهم الى الخزرج وتنبه الخزرج فخافوا أن يصير الامر الى الاوس فتركوا جميعاً الامر لقريش فانطفأت بهذا جذوة الفتنة وأمن الناس شر الخلاف

٤

وخطب بعد أن ولي الخلافة وهي غير خطبته التي أوردناها عند ذكر بيعته ولعل هذه خطبته التي خطبها بعد البيعة العامة، فقال بعد ان حمد الله وأثنى عليه

(أما بعد) فاني قد وليت أمركم ولست بخيركم، ولكنه نزل القرآن وسن النبي صلى الله عليه وسلم السنن، وعلمنا فعلمنا، فاعلموا أيها الناس ان اكيس الكيس التقى، واعجز العجز الفجور وان أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه، وان أضعفكم عندي القوي حتى آخذ منه الحق، أيها الناس انما أنا متبع ولست بمبتدع فاذا أحسنت فأعينوني، وان أنا زغت فقوموني أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

﴿ كلام على الحكومة في الاسلام ﴾

أورد السيوطي في تاريخه هذه الخطبة وروى في ختامها عن مالك رضى الله عنه انه قال (لا يكون أحد اماماً أبداً الا على هذا الشرط)

ومن تدبر قول الامام مالك وأمعن النظر فيما جاء بتلك الخطبة علم ان الخلافة صارت ملكا عضوضاً وسلطة قاهرة لم يتأت للمسلمين ان يقوموا زيغ أوليائها منذ عهد بعيد جداً وان تلك الحكومة الاسلامية الاولى التى تمتع بها المسلمون زمنا ليس بكثير وعين أبو بكر حد السلطة العليا فيها بتلك الخطبة الانيفة حكومة ديموقراطية قل ان يجد طلاب الحرية والعدل في كل عصر أحسن لسياسة الامم منها ، وانما تمتع بها المسلمون ذلك الزمن القليل مذ كانوا يشعرون شعوراً واحدا بحاجة الحياة الاجتماعية و يعلمون ان السعادة والشقاء منوطان بالاعتماد على النفس والعمل بسنة التعاون لا بمن يتولى أمرهم ، و يُعطى مقاليد الرئاسة عليهم وهو واحد منهم يشعر كشعورهم ، ويعمل للمصلحة العامة عملهم ، فاذا احسن اعانوه ، واذا زاغ قوّموه ، ولكن لما فقد منهم ذلك الشعور واستحال الى الاعتقاد بالعجز عن القيام بشؤن الحياة الاجتماعية الا اذا تركوا مقاليد الامور الى رئيس تتجه آمالهم اليه ، ويعولون في أسباب السعادة عليه ، فيفنى وجودهم في وجوده ، وتضمحل ارادتهم في ارادته ، فلا يكون الا مايشاء لا مايشاؤن ولا يعمل ، الا ما يريد لا ما يريدون ، استحالت حكومتهم من الديمقراطية الى المطلقة واصبحت الخلافة ملكا عضوضاً وسلطة جائرة نزعت منازع الجبروت واستأثرت بالمصالح واجتثت أصول الشورى ، ومن ثم تشوش نظام الدولة الاسلامية ، وانحطت مدارك الامة عن مقام العرفان بواجب الراعي والرعية ، فسلبت منهم نعمة التمتع بالعدل ، كما حرمت حكوماتها نعمة

الراحة والانتظام

وما زال يتفاقم هذا الداء حتى ألف المسلمون حكم الاستبداد ، ورضوا بالجور والعبودية بديلا عن العدل والحرية وباتوا اضعف الامم احساسا بالام الظلم ، وأبعد الشعوب عن التطلع الى الحرية ، ولم يساووا بالشعور بأذى الحكم المطلق والحاجة الى الحكم المعتدل اقل الشعوب عدداً من الغربيين واضعفهم قوةً فضلا عن بقية الامم العظيمة الاوربية وأوضح شاهد على هذا ان المسلمين ما زالوا الى هذا العهد محكومين بأنواع الظلم والاستبداد في كل بقعة من بقع الارض وليس لهم حكومة تضارع أدنى حكومة من حكومات المغرب في الرقي وحسن النظام ومع هذا فليس فيهم ولا شعب واحد يحس بهذا المرض الذي برّح وجرح فينهض لتلافي الامر وينظر في سوء المنقلب او يخطر له محاولة الخلاص من هذه الحال في بال

ولقد اصبح كل فلاسفة العالم في حيرة من هذا التدني البالغ منتهى درجات الرضا بالشقاء ، والصبر على البلاء ، وبات بعض المتنبهين من رجال الاسلام في حيرة من تعليل الاسباب الداعية لجمود هذه الامة ويأس من سلامة مستقبل المسلمين ، واما فلاسفة اوربا فانهم الصقوا أسباب التدني في الامة الاسلامية بالدين بدعوى ان المسلمين والغربيين من طينة واحدة لا فرق بين الفريقين في الخلق والتركيب يدعو الى مثل هذا التفاوت الكبير في الشعور وهو قول في الحقيقة خال عن التحقيق ، بعيد عن الصحة ، اذ الاسباب الداعية لتدنى المسلمين واختلال نظام دولهم كثيرة وهي غير الدين الذي يبرأ الى الله من جمود المسلمين وأهم تلك الاسباب استحالة حب الاستقلال الى الاعتقاد بالعجز والاعتماد في سائر شؤونهم على اولياء الامر كما قدمناه والدين يبغض

اليهم العجز وينهاهم عن الرضا بالذل

أفرط بعض الخلفاء بحب الأثرة وفرط المسلمون معهم بحرية الهيمنة عليهم والمشاركة لهم والاشراف على اعمالهم كما كان الامر على عهد الخلفاء الراشدين فكان من ذلك الافراط وهذا التفريط ان فسد كثير من شؤون المسلمين الدنيوية وانحلت عرى حكومتهم الديموقراطية فدخل الوهن على الحاكم والمحكوم ، وشقي الظالم والمظلوم ، وكان الضرر بالخلفاء اعظم ، والندامة بهم الزم ، اذ ساءت سياستهم للملك وانصرفت هممهم الى السفاسف فتوثب امراء الاطراف على ملكهم وتشاطروا سلطانهم فلم يدعوا لهم من الامامة الا الرسم ولا من السلطان الا الاسم ، فظلموا من حيث ظلموا ، واخذوا من حيث أخذوا وهم لا يشعرون ، ولو علموا أن سنة الخلفاء الراشدين أبقى على ملكهم واعز لسلطانهم لما حادوا عنها قيد شبر ، ولما خالفوها أبد الدهر ، وهل كانت غزوات التتار وهجمات اهل الصليب الا نتيجة الوهن الذي دخل على الخلافة وأصاب مجموع الأمة وسببه ذلك الافراط والتفريط

اي وهن لعمر ابيك أشد على الامة وأظهر في جانب الخلافة من ان تصير كل قرية كبيرة من قرى الممالك الاسلامية كتكريت في الجزيرة وسنجر في الشام مثلاً عاصمة لملك من ملوك الطوائف ينفرد بسلطانه ، ويحكم بشهواته. وينابذ جاره في الملك ، ويقاتل اخاه في الدين ، والامام في عاصمة الاسلام كبغداد ومصر مغلوب على أمره ، محصور السلطة في قصره

ان بقاء المسلمين الى الآن يتمتعون بشيء من الاستقلال بعد تلك الحال التي كانوا فيها فوضى الملك والسياسة وجيوش الصليب والتتار عدة اجيال لمعجزة من معجزات الدهر التي تحير الالباب وتدعو ملوك المسلمين الى النظر

والاعتبار وقياس الماضي على الحال فان مدنية المسلمين التي كانت في تلك العصور ارقى من مدنية سواهم وقتهم على تفرق كلمتهم ووهن عصبيتهم من الانحلال ، وحفظت سيادتهم من الزوال ، فان انعكست هذه القاعدة الان وأصبح التمدن الغربي على ما نرى باسطاً رواق القوة على ما عداه ، راقياً فوق كل تمدن ، سبقه فماذا يكون الحكم ؟

انه حكم يستدر عبرات العيون ، ويثير كوامن الشجون ، ويطلق السنة اهل الحق الذين لم يخمد انفاسهم خلق الرياء ولم تعم أبصارهم عن حالة المسلمين او تحجب عن بصائرهم سنن الكون فتنادي على ملأ السامعين ان تبعة هذا المصير عائدة على اولياء أمر المسلمين الذين لم تنفذ في جدار قلوبهم صوادع العبر ولم يزل دأبهم دأب ابائهم الاول ولو اصبح الحال غير الحال ، وانطبقت الجبال على الجبال ، او أذن لاستقلال الامة والملك بالزوال ، ولكل امة رقدة ولقد طالت رقدة المسلمين ، ولكل نبإ مستقر ولتعلمن نبأه بعد حين

٥

(وخطب مرة فقال بعد ان حمد الله واثنى عليه) أما بعد فاني وليت هذا الأمر وانا له كاره ووالله لوددت أن بعضكم كفانيه ، الا وانكم ان كلفتموني ان اعمل فيكم بمثل عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم لم اقم به ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عبداً اكرمه الله بالوحي وعصمه به ألا وانما انا بشر ولست بخير من احدكم فراعوني فاذا رايتموني استقمت فاتبعوني واذا رأيتموني زغت فقوموني واعلموا ان لي شيطاناً يعتريني فاذا رأيتموني غضبت فاجتنبوني لا اوثر في اعشاركم وابشاركم اه

تالله لو كان لبشر ان يعصم بعد الرسل لقلنا ذلك ابو بكر وحق لمن انزل

نفسه تلك المنزلة من التواضع، وادّبها بذلك الادب، واخذ عليها سبيل الترفع على المسلمين بمنصب الخلافة والاثرة دونهم بالرأي ان يرفعه الله الى ذلك المقام الجليل الذي الف فيه على حبه قلوب المسلمين، وجعل ايامه كلها خيراً وبركة على الموحدين، فرضي الله عنه وعن الصحابة اجمعين

٦

ولما اشار عليه الصحابة بعدم قتال اهل الردة وان لا طاقة له بالعرب خطب فيهم فقال بعد ان حمد الله واثني عليه

ايها الناس من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حيٌّ لا يموت، ايها الناس ان كثر اعداؤكم وقلّ عددكم ركب الشيطان منكم هذا المركب، والله ليظهرن هذا الدين على الاديان كلها ولو كره المشركون قوله الحق ووعده الصدق، بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون، وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين، ايها الناس لو افردت من جمعكم لجاهدتهم في الله حق جهاده حتى ابلغ من نفسي عذراً، واقتل مقتلاً، والله ايها الناس لو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه واستعنت بالله خير معين

٧

وجاء مال من البحرين ساوى في قسمته بين الناس فغضب الانصار فخطب فيهم فقال بعد ان حمد الله واثنى عليه

يامعشر الانصار ان شئتم ان تقولوا انّا آويناكم في ظلالنا، وشاطرناكم في اموالنا، ونصرناكم بانفسنا، لقلتم، وان لكم من الفضل ما لا يحصيه العد، وان طال به الامد، فنحن وانتم كما قال طفيل الغنوي

جزى الله عنا جعفراً حين أزلقت ... بنا نعلنا في الواطئين فزلت

أبوا ان يملونا ولو ان امنا ... تلاقي الذي يلقون منا لملت

هم أسكنونا في ظلال بيوتهم ... ظلال بيوت أدفأت وأظلت

٨

وخطب مرة فقال بعد ان حمد الله وأثنى عليه

أوصيكم بتقوى الله وان تثنوا عليه بما هو اهله وان تخلطوا الرغبة بالرهبة وتجمعوا الالحاف بالمسئلة فان الله اثنى على زكريا وعلى اهل بيته فقال (انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين) ثم اعلموا عباد الله ان الله قد ارتهن بحقه انفسكم، واخذ على ذلك مواثيقكم، وعوضكم بالقليل الفانى، الكثير الباقي، وهذا كتاب الله فيكم لا تفنى عجائبه ولا يطفأ نوره فثقوا بقوله وانتصحوا كتابه واستبصروا فيه ليوم الظلمة [1] فانه خلقكم لعبادته ووكل بكم الكرام الكاتبين يعلمون ما تفعلون ثم اعلموا عباد الله انكم تغدون وتروحون في اجل قد غيب عنكم علمه فان استطعتم ان تنقضي الآجال وانتم في عمل الله ولن تستطيعوا ذلك الا بالله [2] فسابقوا في مهل باعمالكم قبل ان تنقضي آجالكم فتردكم الى سوء اعمالكم فان اقواماً جعلوا آجالهم لغيرهم فانهاكم ان تكونوا امثالهم، فالوحا الوحا ثم النجاء النجاء فان وراءكم طالباً حثيثاً امره سريعاً سيره

٩

(١) وفي رواية الحاكم والبيهقي هكذا (وهذا كتاب الله فيكم لا يطفأ نوره ولا تنقضي عجائبه فاستضيئوا بنوره وانتصحوا كتابه واستضيئوا منه ليوم الظلمة الخ

(٢) وفي رواية الحاكم أيضاً (الا باذن الله)

ومن خطبه الغرّاء في الوعظ والتذكير قوله

الحمدُ لله ربّ العالمين احمدهُ واستعينهُ ونسأله الكرامة فيما بعد الموت فانه قد دَنى أجلي وأجلكُم وأشهد انْ لا الهَ الاّ الله وحدَهُ لا شريكَ لهُ وأنَّ محمداً عبدهُ ورسولهُ أرسلَهُ بالحقّ بشيراً ونذيراً وسِراجاً منيراً لينذِرَ مَنْ كان حيّاً ويحقّ القول على الكافرين ، ومن يطع اللهَ ورسوله فقد رشد ومن يَعْصِهما فقد ضلّ ضلالاً مبيناً ، أوصيكم بتقوى الله والاعتصام بِأمرِ اللهِ الذي شَرَعَ لكم وهداكم به ، فانّ جوامع هُدَى الاسلام بعدَ كلمةِ الاخلاصِ السمعُ والطاعةُ لمن ولاّه الله أمرَكم فانه مَنْ يطع اللهَ وأولي الامرِ بالمعروف والنهي عن المنكر فقد أفلح وأدّى الذي عليه من الحقّ ، وايّاكم واتّباع الهوى فقد أفلح من حُفِظَ من اتباع الهوى والطمع والغضب ، وايّاكم والفخر وما فخرُ مَنْ خُلِقَ مِنْ تراب ثمّ الى التراب يعود ثمّ يأكله الدود ثم هو اليوم حيٌّ وغداً ميتٌ فاعملوا يوماً بيومٍ وساعةً بساعةٍ وتوقوا دعاءَ المظلوم ، وعدّوا أنفسكم في الموتى ، واصبروا فان العمل كله بالصبر ، واحذروا والحذرُ ينفع ، واعملوا والعمل يُقبلُ واحذروا ما حذّركم اللهُ من عذابه ، وسارعوا فيما وَعَدَكم اللهُ مِنْ رحمتهِ ، وافهموا وتفهموا واتقوا وتوقوا فان الله قد بين لكم ما أهلك به من كان قبلكم وما نجي به من نجى قبلكم ، قد بين لكم في كتابه حلاله وحرامهُ وما يحب من الاعمال وما يكره فاني لا آلوكم ونفسي والله المستعان ولا حول ولا قوّة الا بالله واعلموا انكم ما اخلصتم لله من اعمالكم فربّكم أطعتم وحظكم حفظتم واغتبطتم وما تطوّعتم به لدينكم فاجعلوه نوافل بين ايديكم تستوفوا لسلفكم وتُعطُوا جرايتكم حينَ فقركم وحاجتكم اليها ، ثم تفكروا عباد الله في اخوانكم وصحابتكم الذين مضوا وقد وردوا على ما قدّموا فاقاموا عليه

وحلُّوا في الشقاء والسعادة فيما بعد الموت . انَّ الله ليس له شريكٌ وليس بينه وبين احد من خلقه نسبٌ يعطيه به خيراً ولا يصرف عنه سوأً الاَّ بطاعته واتباع امره فانه لاخيرَ في خيرٍ بعده النار ولا شرَّ في شرٍ بعده الجنة أقول قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم وصلُّوا على نبيكم صلى الله عليه وسلم والسلام عليه ورحمة الله وبركاته

١٠

(وخطب أيضاً فقال) الحمدلله أحمده وأستعينه وأستغفره وأومن به وأتوكل عليه وأستهدي الله بالهدى ، وأعوذ به من الضلالة والردى ، ومن الشك والعمى ،من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضللْ فلن تجد له ولياً مرشداً واشهدُ انَّ لااله الاالله وحده لا شريك لهُ لهُ الملكُ ولهُ الحمدُ يحيي ويميتُ وهو حيٌّ لا يموت يعز من يشاء ويذلّ من يشاء بيده الخيرُ وهو على كل شيءٍ قدير واشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهرهُ على الدين كله ولو كرهُ المشركون ، الى الناس كافةً رحمةً لهم وحجةً عليهم والناس حينئذ على شرّ حالٍ في ظلمات الجاهلية دينهم بدعة ودعوتهم فرية فأعزّ الله الدين بمحمدٍ صلى الله عليه وسلم وألف بين قلوبكم أيها المؤمنون فأصبحتم بنعمته اخواناً . وكنتم على شفا حفرةٍ من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون فأطيعوا الله ورسوله فانه قال عزّ وجلّ (منْ يطع الله فقد أطاع الله ومنْ تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً) اما بعد أيها الناس اني أوصيكم بتقوى الله العظيم في كلّ أمرٍ ، وعلى كل حال ، ولزوم الحق فيما أحببتم وكرهتم فانه ليس فيما دون الصدق من الحديث خيرٌ ، من يكذب يفجرُ ومن يفجرُ يهلكُ واياكم والفخر وما نخر من خلق من التراب والى التراب يعودُ وهو اليوم حيٌّ وغداً

ميت فاعملوا وعدوا أنفسكم في الموتى وما أشكل عليكم فردوا علمه الى الله وقدموا لانفسكم خيراً تجدوه محضراً فانه قال عز وجل (يوم تجدُ كلُّ نفسٍ ماعملتْ من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أنَّ بينها و بينه أمداً بعيداً ويحذّركم الله نفسهُ والله رأوفٌ بالعباد) فاتقوا اللهَ عباد الله و راقبوه واعتبروا بمن مضى قبلكم واعلموا أنه لابد من لقاء ربكم والجزاء بأعمالكم صغيرها وكبيرها الا ماغفر الله انه غفور رحيم ، فأنفسكم أنفسكم والمستعان الله ولا حول ولا قوة الا بالله ان الله وملائكتهُ يصلون على النبي ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما اللهم صل على محمد عبدك و رسولك افضل ما صليت على احد من خلقك وزكنا بالصلاة عليه وألحقنا به واحشرنا في زمرته وأوردنا حوضه اللهم أعنا على طاعتك وانصرنا على عدوّك اه

١١

(وخطب مرة فقال بعد ان حمد الله وأثنى عليه) ان أشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك فرفع الناس رؤسهم فقال

مالكم أيها الناس انكم لطعانون عجلون انَّ من الملوك من اذا ملك زهدهُ الله فيما بيده ورغبهُ فيما بيد غيره وانتقصه شطر أجله وأشرب قلبهُ الاشفاق فهو يحسد على القليل ويسخط على الكثير ويسأم الرخاء وتنقطع عنده لذةالبقاء لايستعمل العبرة ولايسكن الى الثقة فهوكالدرهم القيسي والسراب الخادع جذلُ الظاهر حزين الباطن فاذا وجبت نفسه ونضب عمره وضحى ظله حاسبه الله فاشدَّ حسابه وأقلَّ عفوه [١] ألا وان الفقراء هم المرحومون

(١) كذا في العقد الفريد وفي البيان والتبيين وجاء في النثر المختار نقلا عن زهر الآداب (وأقل الانصار عنه عقوبة)

الا ان من آمن بالله حكمَ بكتابهِ وسنةِ نبيهِ صلى الله عليه وسلم وانكم اليوم على خلافة نبوّة ومفرق محجةٍ وسترون بعدي ملكاً عضوضاً وملكاً عنوداً وأمةً شحاحا ودماً مباحا فان كان للباطلِ نزوة ولأهل الحق جولة يعفو لها الاثر ويموت لها الخبر فالزموا المساجد واستشيروا القرآن واعتصموا بالطاعة وليكن الابرام بعد التشاور والصفقةُ بعد طولِ التناظرِ ايّ بلاد خرشنة [1] ان الله سيفتح لكم اقصاها كما فتح عليكم ادناها

١٢

وخطب مرة فحمد الله واثنى عليه ثم قال

ان الله عزّ وجل لا يقبل من الاعمال الا ما أُريد به وجههُ فأريدوا الله باعمالكم ، واعلموا ان ما اخلصتم لله من اعمالكم فطاعة اتيتموها وخطأ [2] ظفرتم به وضرائب أدّيتموها ، وسلف قدّمتموه من أيام فانيةٍ لأخري باقيةٍ لحين فقركم وحاجتكم ، اعتبروا عباد الله بمن مات منكم ، وتفكروا فيمن كان لهم ذكر القتال والغلبةِ في مواطن الحرب ، قد تضعضع بهم الدهر وصاروا رميماً قد تركت عليهم القالات ، الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات ، وأين الملوك الذين أثاروا الارض وعمروها ؟ قد بعدوا ونسي ذكرهم وصاروا كلا شيء الا ان الله قد أبقى عليهم التبعات ، وقطع عنهم الشهوات ، ومضوا والاعمال اعمالهم والدنيا دنيا غيرهم ، وبقينا خلفاً بعدهم فان نحن اعتبرنا بهم نجونا وان اغتررنا كنا مثلهم ، أين الوضاء الحسنةُ وجوههمْ المعجبون بشبابهم صاروا تراباً ، وصار ما فرّطوا فيه حسرةً عليهم أين الذين بنوا المدائن

---

(١) وفي العقد خرسة وفي البيان والتبيين خرشة

(٢) كذا في تاريخ الطبري ولعلها حظ

وحصنوها بالحوائط وجعلوا فيها الاعاجيب قد تركوها لمن خلفهم فتلك مساكنهم خاوية وهم في ظلمات القبور هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزاً . اين من تعرفون من ابنائكم واخوانكم قد انتهت بهم آجالهم فوردوا على ما قدموا فحلوا عليه واقاموا للشقوة والسعادة فيما بعد الموت . الا ان الله لا شريك له ليس بينه وبين احدٍ من خلقه سببٌ يعطيه به خيراً ولا يصرف عنه سوءاً الا بطاعته واتباع امره واعلموا انكم عبيدٌ مدينون وان ما عنده لا يدرك الا بطاعتهِ اما انه لا خير بخيرٍ بعده النار ولا شر بشرٍ بعده الجنة اهـ

رضي الله عن ابي بكر كأنه يريد بهذه الخطبة التي تذكر بالملوك الماضين ان يعظ نفسه ويستزيد من الورع والتقوى هذا على ما عرف به من التقى والعدل وما اشتهر عنه من الحرص على مصالح المسلمين والتبريز في اقامة حدود الشرع على كل أمراء المؤمنين فما اجدر من عبدوا الشهوات وتاهوا في حب الذات من اولياء امر الامة الاسلامية بعدُ بمثل هذه العظة وما اخلقهم بالاعتبار بذكر الماضين وتأديب نفوسهم بادب الخلفاء الراشدين وتالله لو فعلوا لجعلوا سلطانهم فوق كل سلطان ولسودوا هذه الامة لهذا العهد على كل الامم ولم يجعلوها عرضة للبوار، وغرضاً ترمي اليه بسهام الاذى الاغيار، فانا لله وانا اليه راجعون

١٣

وخطب عند ما انتدب الناس الى غزو الشام فقال بعد ان حمد الله واثنى عليه

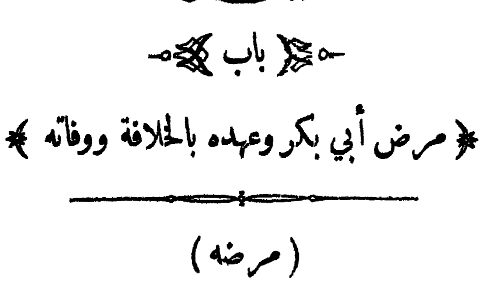
الا ان لكل امر جوامع فمن بلغها فهي حسبه ، ومن عمل للهِ كفاه اللهُ .

عليكم بالجد والقصد فانّ القصد أبلغ ، ألا انه لا دينَ لاحدٍ لا ايمان له ، ولا أجر لمن لا حسبة لهُ ، ولا عمل لمن لا نية لهُ ، ألا وانّ في كتاب الله من الثواب على الجهاد ، لما ينبغي للمسلم ان يُحبّ انْ يخُصّ بهِ ، هي التجارة التي دلّ الله عليها ونجي بها من الخزي ، والحق بها الكرامة في الدنيا والآخرة اه

وله كلام عظيم الاهمية كان خاطب به أبا عبيدة بن الجراح لكي يقوله لعليّ بن أبي طالب حين توقف عن بيعته نُرجىء ايراده الى سيرة علي رضي الله عنه لما تُرتب عليه من كثرة الاخذ والرد بين علي وأبي بكر وعمر بشأن الخلافة يومئذ

﴿ تنبيه ﴾

اقتصاداً للوقت واشتغالا بمواد التاريخ قد أغفلت تفسير الالفاظ الغامضة التي وردت في كلام أبي بكر وعائشة وغيرهما في هذا الكتاب وانما اوردت في الهامش بعض الجمل والالفاظ التي اختلفت في بعض الروايات عن البعض الآخر تسهيلاً لمن يريد مراجعة اللغة لتطبيق المعنى على اللفظ الصحيح من تلك الالفاظ



﴿ باب ﴾

﴿ مرض أبي بكر وعهده بالخلافة ووفاته ﴾

(مرضه)

روي في سبب مرض ابي بكر رضي الله عنه انه اغتسل في يوم بارد فحم وأخرج الحاكم عن ابن عمر قال (كان سبب موت ابي بكر وفاة رسول الله

صلى الله عليه وسلم كمداً فما زال جسمه يجري (أي ينقص) حتى مات

روي ان عائشة قعدت عند رأسه يوماً وهو في مرضه فقالت شعراً

وكل ذي إبل يوماً موردها   وكل ذي سلب لا بدّ مسلوب

وفي رواية الطبري

وكل ذي إبل موروثٌ   وكل ذي سلب مسلوبُ

وكل ذي غيبة يؤبُ   وغائب الموت لا يؤبُ

ففهمهما ابو بكر فقال ليس كذلك يا ابنتاه ولكنه كما قال الله (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) وانشدت مرة فوق رأسه أيضاً

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه   ثمال اليتامى عصمة للارامل

فقال ابو بكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولما ثقل على ابي بكر المرض دخلت عليه عائشة فقالت

يا أبت اعهد الى حامتك وانفذ رأيك في سامتك[1] وانقل من دار جهازك الى دار مقامك انك محضور متصل بقلبي لوعتك وأرى تخاذلَ اطرافكَ وامتقاع لونك والى الله تعزيتي عنك ولديه ثواب حزني عليك ارقأ فلا ارقأ وابل فلا ابقى[2] . فرفع راسه اليها وقال

هذا يوم يجلى لي عن غطائي واعاين جزائي الى اخر ما قال وقد سبق لنا ايراده فيما مر من الكتاب

﴿ استخلافه عمر ووصيته له ﴾

اشتد على ابي بكر المرض فلم يشغله عن امر المسلمين ولم يثنِ همته عن

---

(١) وفي العقد اعهد الى خاصتك وأنفذ رأيك في عامتك

(٢) وفي نسخه أرقو فلا أرقى وأشكو فلا أشكى

النظر في مصلحة الامة وخشي ان هو مات ولم يعهد لاحد بالخلافة ان تكون فتنة تضطرب لها الدهماء ، وتعظم اللأواء ، وفي القوم نفر ينتهي اليهم شرف السيادة في الجاهلية والاسلام وهم في الفضل والتقدم سواء ، ولكن لكل منهم مكانة في القلوب غير مكانة من عداه ، وعصبية تريده على الامر وان هو اباه ، فان ترك منصب الخلافة شاغراً وجعله شورى بين القوم خيف من تفرق الرأي وتعذر تأليف القلوب على واحد من أولئك النفر اذ الشورى في الامور وان كان يراد بها تمحيص الآراء لاختيار الاصلح منها والاصوب فيها الا ان صاحب الرأي مجتهد قد يخطئ وقد يصيب وفي الصحابة كما قلنا نفر هم في الفضل والشرف والاهلية كالحلقة المفرغة لا يدري ان طرفاها ولكل واحد منهم عصبية وحزب يريدونه على الخلافة اجتهاداً منهم بوجود الكفاية فيه كما هي في سواه

اذن فالاختلاف متوقع حتما بين المسلمين فيما لو ترك ابو بكر منصب الخلافة شاغراً والمعذرة قائمة للصحابة في هذا الاختلاف ما دام فيهم عدة من ذوي الكفاءة واخصهم اهل بيعة الرضوان من السابقين كما انها قائمة لابي بكر ايضاً في عدم تركه الامر شورى والحال ما ذكر درأً لخطر ذلك الخلاف المتوقع من بين قوم هو أبصر بهم وادرى باخلاقهم وانما نظر ابو بكر فيمن يختاره لذلك المنصب الرفيع شأنه الحرج موقفه فرأى أنه يحتاج الى رجل فيه شدة من غير عنف ولين من غير ضعف وممن توفرت فيهم هذه الصفة من الصحابة الكرام عمر بن الخطاب وعليّ بن أبي طالب الا ان الاول كان ربما يريد الامر فيرى في طريقه عقبةً فيدرو اليه والثاني يرى الاستقامة فلا يبالي بالعقبة تقوم بين يديه فهو بهذا الى الشدة أميل منه الى اللين لهذا لما استشار ابو بكر

الصحابة فيمن يستخلفه أشاروا عليه بعمر

لما عزم ابو بكر ان يعهد بالامر ونظر فيمن يعهد اليه فوقع اختياره على عمر جعل يستشير كل من دخل عليه من الصحابة في عمر فسأل عبد الرحمن ابن عوف فقال اخبرني عن عمر بن الخطاب فقال ما تسألني عن أمر الا وأنت اعلم به مني فقال ابو بكر وان فقال عبد الرحمن هو والله افضل من رأيك فيه من رجل ولكن فيه غلظة قال ابو بكر ذلك لانه يراني رقيقاً ولو افضى الامر اليه لترك كثيراً مما هو فيه ثم دعا عثمان فقال اخبرني عن عمر فقال انت اخبرنا به فقال عليّ ذلك يا ابا عبد الله اخبرنى عن عمر فقال اللهم علمي به ان سريرته خير من علانيته وانه ليس فينا مثله،وسأل اسيد بن حضير فقال اسيد اللهم اعلمه الخير بعدك يرضى للرضى ويسخط للسخط الذي يسر خير من الذي يعلن ولن يلي هذا الامر احد اقوى عليه منه ، واستشار غير هؤلاء سعيد بن زيد وجماعة من المهاجرين والانصار فكلهم قال خيراً

ودخل عليه بعض الصحابة فقال قائل منهم [1] ما أنت قائل لربك اذا سألك عن استخلافك عمر علينا وقد نرى غلظته ، فقال أبو بكر بالله تخوفني ! اقول اللهم اني استخلفت عليهم خير اهلك . ابلغ عني ما قلت من ورائك

ثم دعا عثمان فقال اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد ابو بكر ابن ابي قحافة الى اخ كتاب العهد وقد سبق ايراده في فصل كتب ابي بكر ثم امر بالكتاب فختمه ثم امر عثمان فخرج بالكتاب مختوماً فبايع الناس ورضوا به ثم دعا ابو بكر بعمر خالياً فاوصاه ما اوصاه

ومما يؤثر عن ابي بكر هذه الوصية الغراء التي اوصى بها عمر رضي الله عنهما

(١) روى الطبري ان الذي قال ذلك هو طلحة بن عبيد الله

﴿ وصيته لعمر ﴾

اني مستخلفك من بعدي وموصيك بتقوى الله انّ لله عملا بالليل لا يقبله بالنهار وعملا بالنهار لا يقبله بالليل وانه لا تقبل نافلة حتى تؤدي الفريضة فانما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحق ان يكون ثقيلا وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الاّ الباطل ان يكون خفيفا انّ الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيآتهم فاذا ذكرتهم قلت اني أخاف ان لا اكون من هؤلاء ، وذكر اهل النار فذكرهم باسوأ اعمالهم ولم يذكر حسناتهم فاذا ذكرتهم قلت اني لأرجو ان لا اكون من هؤلاء وذكر آية الرحمة مع آية العذاب ليكون العبد راغباً راهبا ولا يتمنى على الله غير الحق ولا يلقي بيده الى التهلكة فاذا حفظت وصيتي فلا يكن غائب احب اليك من الموت وهو آتيك وان ضيعت وصيتي فلا يكن غائب ابغض اليك من الموت ولست بمعجز الله اه

لما خرج عمر من عند ابي بكر رفع يديه وقال

اللهم اني لم ارد بذلك الا صلاحهم وخفت عليهم الفتنة فعملت فيهم بما انت اعلم به واجتهدت لهم رايا فوليت عليهم خيرهم واقواهم عليهم واحرصهم على ما ارشدهم وقد حضرني من امرك ما حضر فاخلفني فيهم فوم عبادك ونواصيهم بيدك اصلح اللهم ولاتهم واجعله من خلفائك الراشدين واصلح له رعيته

وفي كلامه هذا ما يؤيد قولنا السابق انّ ابابكر انما اختار للخلافة بعده عمر رضي الله عنهما ولم يتركها شورى خوفا من الفتنة وثقة بكفائته وسداً لذرائع النزاع من جهة ومن جهة ثانية علما منه بمكانة عمر من السياسة وانه لا يحيد بالأمة عن سبيل الخشونة في العيش والقناعة بالكفاف ولا يترك لها عنان الخوض في غمرات النعيم الرومي والترف الفارسي فتفسد اخلاقها وتسترخي قواها وتفتر عن بث الدعوة همتها ومع انه اختار لها خير كفؤ بشهادة كبار الصحابة كما رأيت فقد تفرس في بعض المهاجرين عدم الرضا كما ترى مما يأتي ولا يحمل ذلك منهم الاّ على الخوف من شدة عمر عليهم والله اعلم

روى ان عبد الرحمن بن عوف دخل على ابي بكر بعد ذلك فوجده مهتما (١) فقال اصبحت بحمد الله بارئاً ياخليفة رسول الله فقال

اما اني على ذلك لشديد الوجع ولما لقيت منكم يامعشر المهاجرين اشد عليّ من وجعي ، اني وليت اموركم خيركم في نفسي فكلكم ورم من ذلك انفة يريد ان يكون له الامر من دونه ورايتم الدنيا قداقبلت ولمّا تقبل وهي مقبلة حتى تتخذوا ستور الحرير ونضائد الديباج وتألمون الاضطجاع على الصوف كما يألم احدكم الاضطجاع على شوك السعدان والله لأن يقدم احدكم فتضرب عنقه في غير حدّ خير له من ان يخوض في غمرة الدنيا ألا وانكم اول ضال بالناس غداً فتصدوهم عن الطريق يميناً وشمالا يا هادي الطريق انما هو الفجر او البجر (٢)

قال فقلت خفض عليك يرحمك الله فان هذا يهيضك على ما بك انما الناس في امرك بين رجلين اما رجل رأى مارأيت فهو معك واما رجل خالفك

(١) وفي رواية فوجده مفيقاً (٢) وفي نسخة البحر

فهو يشير عليك برأيه وصاحبك كما تحب ولا نعلمك اردت الاّ الخير ولم تزل صالحاً مصلحاً مع انك لا تأسى على شيء من الدنيا

﴿ وفاته ﴾

لما ثقل على ابي بكر المرض اوصى عائشة ان يدفن الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم واشار الى ثوبيه فقال اغسلوهما وكفنوني فيهما فان الحيّ احوج الى الجديد من الميت واوصى ان تغسله امرأته اسماء بنت عميس ويعينها ابنه عبد الرحمن وكتب وصيته بخمس ماله وقال: آخذ من مالي ما اخذ الله من فيء المسلمين: وروى الطبري ان ابا بكر لما حضرته الوفاة: قال انظروا كم انفقت منذ وليت بيت المال فاقضوه عني: فوجدوا مبلغه ثمانية آلاف درهم في ولايته واخرج الامام احمد عن عائشة رضي الله عنها ان ابا بكر لما حضرته الوفاة قال اي يوم هذا. قالوا يوم الاثنين قال فان مت من ليلتي فلا تنتظروا بي الغد فان احب الايام والليالي اليّ اقربها من رسول الله صلى الله عليه وسلم: وتوفي ابو بكر من ليلته تلك وهي ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادي الآخرة في السنة الثالثة عشرة من الهجرة وله من العمر ثلاث وستون سنة وغسلته امرأته اسماء كما اوصى وصلى عليه عمر بين القبر والمنبر وكبر ربعا ودفن الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم واخرج ابن هشام عن ابن عروة عن ابيه ان ابا بكر صلى عليه ليلا ودفن ليلا[1] وكانت مدة ولايته سنتين وثلاثة اشهر وبضعة ايام وكان نقش خاتمه (نعم القادر الله)

---

(١) هكذا كان دفن ابي بكر فليت شعري من ابدع المسلمون في الجنائز ما ابدعوه من الاحتفال الذي يشبه احتفال قدماء المصريين بموتاهم وجرهم كما نرى، فترى مرسوما الى الآن على آثارهم انهم كانوا ما يفعله المسلمون الآن في مصر وبعض الممالك الاسلامية بالاحتفال بجنائز موتاهم بقية من بقايا الوثنية الاولى لا يرضاها نبيك ولم يسبق الى مثلها أحد من أصحاب نبيك

خطبة علي في تأبين ابي بكر

اجمع الرواة ان ابا بكر لما قبض ارتجت المدينة ودهش القوم كيوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء عليّ بن ابي طالب رضي الله عنه باكياً مسرعا مسترجعاً حتى وقف بالباب وهو يقول

رحمك الله يا ابا بكر كنت والله اول القوم اسلاماً واخلقهم ايماناً واشدهم يقيناً واعظمهم غنى واحفظهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدبهم على الاسلام واحماهم عن اهله وانسبهم برسول الله خلقاً وفضلا وهديا وصمتاً فجزاك الله عن الاسلام وعن رسول الله وعن المسلمين خيرا ، صدّقت رسول الله حين كذبه الناس واوسيته حين بخلوا وقمت معه حين قعدوا وسماك الله في كتابه صديقاً فقال (والذي جاء بالصدق وصدق به)يريد محمداً ويريدك ، كنت والله للاسلام حصناً وللكافرين ناكبا ، لم تضلل حجتك ولم تضعف بصيرتك ولم تجبن نفسك كالجبل لا تحركه العواصف ، ولا تزيله القواصف ، كنت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفاً في بدنك قوياً في دينك متواضعاً في نفسك عظيما عندالله جليلا في الارض كبيراً عند المؤمنين لم يكن لاحد عندك مطمع ولا هوى فالضعيف عندك قويّ والقويّ عندك ضعيف حتى تأخذ الحق من القويّ وتأخذه للضعيف فلا حرمنا الله أجرك ولا أضلنا بعدك

خطبة ابنته عائشة في تأدبينه

نضر الله يا ابت وجهك وشكر لك صالح سعيك فلقد كنت للدنيا مذلاً بادبارك عنها وللآخرة معزاً باقبالك عليها ولئن كان اعظم المصائب بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رزؤك ، واكبر الاحداث بعده فقدك ، ان كتاب الله

عزّ وجل" ليعدنا بالصبر عنك حسن العوض ، وانا متنجزة من الله موعده فيك بالصبر عنك ، ومستعينة كثرة الاستغفار لك فسلم الله عليك توديع غير قالية لحياتك ، ولا زارية على القضاء فيك ،

﴿ ودخل عليه عمر فقال ﴾

يا خليفة رسول الله لقد كلفت القوم بعدك تعباً ووليتهم نصباً فهيهات من شق غبارك فكيف اللحاق بك

﴿ باب ﴾

﴿ ولده وعماله وقضاته وكتابه ﴾

(ولده)

قال ابن قتيبة اولاد ابي بكر عبد الله واسماء أمهما قتيلة من بني عامر ابن لؤي . وعبد الرحمن وعائشة أمهما أم رومان بنت الحرث بن الحويرث من بني فراس بن غنم بن كنانة. ومحمد أمه أسماء بنت عميس . وأم كلثوم أمها بنت زيد بن خارجة من الانصار (فأما عبد الله بن ابي بكر) فانه شهد يوم الطائف مع النبي صلى الله عليه وسلم وبقي الى خلافة أبيه وهلك في خلافته وترك سبعة دنانير فاستكثرها ابو بكر وولد لعبد الله اسماعيل فهلك ولا عقب له (واما اسماء) فهي ذات النطاقين [1] وتزوجها الزبير بمكة فولدت له عدة فطلقها فكانت مع ابنها عبد الله حتى قتل بمكة وبقيت مائة سنة حتى عميت وماتت

(١) ان اسماء هذه رضي الله عنها هي أشجع نساء الاسلام وأثبتهن جأشاً وأعظمهن تربية للولد على الشهامة وعزة النفس كما سيمر عليك في سيرة الحجاج

(واما عائشة) فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم وبقيت الى خلافة معاوية وتوفيت سنة ثمان وخمسين وقد قاربت السبعين ودفنت بالبقيع

وقد كانت رضي الله عنها على جانب عظيم من الزكاء وفصاحة اللسان وقد رأيت من كلامها فيما مرّ ما يدل على قوة عارضتها وفصاحة لسانها ولها خطب كثيرة في أعلى مكان من البلاغة وقد أوردنا منها فيما مر ما دعت اليه المناسبة وفضلاً عن هذا فقد كان يتلقى عنها الحديث ويؤخذ عنها العلم فرحمها الله ورضى عنها

(واما عبد الرحمن) فشهد يوم بدر مع المشركين ثم اسلم وحسن اسلامه ومات فجأة سنة ثلاث وخمسين بجبل يقرب من مكة فأدخلته عائشة الحرم ودفنته واعتقت عنه وكان شهد الجمل معها ويكنى ابا عبد الله وولد له محمد وعبد الله وحفصة وروى المسعودي ان لعبد الرحمن عقباً كثيراً بدوا وحضرا كانوا بين الحجاز والعراق بالموضع المعروف بالضفيسان

(واما محمد بن ابي بكر) فكان يكني ابا القاسم وكان من نساك قريش وولاه عليّ بن ابي طالب رضي الله عنه مصر فقاتله صاحب معاوية هناك وظفر به فقتله وولد له القاسم لأم ولد وكان فقيهاً فاضلاً

(وأما ام كلثوم بنت ابي بكر) فتزوجها طلحة بن عبيد الله فولدت زكريا وعائشة ثم قتل عنها فتزوجها عبد الرحمن بن عبد الله بن ابي ربيعة المخزومي

﴿ عماله وقضاته وكتابه ﴾

لما ولى أبو بكر قال له أبو عبيدة أنا اكفيك بيت المال وقال له عمر انا اكفيك القضاء وكان يكتب له علي بن ابى طالب وزيد بن ثابت وعثمان

ابن عفان وان غابوا فكان يكتب له من حضر

وكان عامله على مكة عتّاب بن اسيد ومات في اليوم الذي مات فيه ابو بكر وقيل مات بعده وكان على الطائف عثمان بن العاص وعلى صنعاء المهاجر بن أبي أمية . وعلى حضرموت زياد بن لبيد الانصاري وعلى خولان يعلى بن منية : وهي امه واسم ابيه امية وعلى زبيد ورمع ابي موسى وعلى الجند معاذ بن جبل وعلى البحرين العلاء بن الحضرمي . وبعث جرير بن عبد الله الى نجران . وعبد الله بن ثور الى جرش وعياض بن غُنْم . الى دومة الجندل. وكان بالشام ابو عبيدة وشُرحبيل و يزيد بن ابي سفيان وعمرو بن العاص وخالد بن الوليد وكل رجل منهم امير على جيشه وقيل كانت الامارة العامة لخالد وخالد كان من اشهر مشاهير رجال الحرب في عصره لهذا اخترنا ان نورد سيرته ان شاء الله عقب سيرة ابي بكر لانه من رجاله . وكان على العراق المثنى بن حارثة الشيباني استخلفه فيها خالد لما قصد الشام بأمر ابي بكر رضي الله عنهم اجمعين

باب

صفة ابي بكر

روي ابن قتيبة عن عائشة انها وصفت ابا بكر فقالت . كان ابيض نحيفاً خفيف العارضين أجنأ لا يستمسك ازاره يسترخي عن حقويه معروق الوجه غائر العينين ناتئ الجبهة عاري الاشجع كان يصبغ بالحناء والكتم

هذا ما احببنا ايراده من سيرة ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وقد بذلنا فيما أوردناه من أخباره جهد المستطاع في التحقيق والتنقير وجمع شتيت

الاخبار المتفرقة وضم الاشباه والنظائر منها بعضها الى بعض تسهيلا على المطالعين وتقريباً على المتناولين الا انّا اغفلنا من سيرته ابوابا لم نر حاجة لايرادها في هذا الكتاب لتكفل كتب السنة بها وتفرقها فيها ولانها ليست من خصائص التاريخ بل هى من خصائص كتب الشريعة كالاحاديث والآثار المروية عنه والاحكام الصادرة منه والاحاديث الواردة بفضيله ونحو ذلك مما هو مبسوط في كتب السنة وارد في الصحاح وقد بقي علينا فصل واحد نبسط فيه الحالة الاجتماعية على عهد أبي بكر وبعد ذلك نأتي على سيرة خالد بن الوليد ان شاء الله

﴿ الحالة الاجتماعية على عهده ﴾

جاء الاسلام قاضيا بتوحيد الله وتوحيد الاجتماع وتوحيد الافكار وتوحيد اللغة وتوحيد المقاصد في عصر غابت فيه نزغات الاهواء البشرية على النفوس ونزع الامم كافة منازع الوثنية فشوّه مؤمنهم وجه الدين وانحرف عن وجهة الكتاب وأوغل كافرهم في مناحى الخيال نخلق من ضميف التسور اشكالا من العبادة تختلف باختلاف المنازع والاقطار فتشكلت بأشكالها الاخلاق وتنوعت المقاصد وتخالفت الوجهة وتناكرت النفوس وتجزأت الوحدة عند كل أمة في الاجتماع والسياسة والدين فأصبح أهل الكتاب اليهود منهم . بين قرائين وسامرين وربانيين وغيرهم . والنصارى بين يعاقبة وآريوسيين ونسطوريين وما لا يعد من الفرق . وغير أهل الكتاب من الأمم الأخرى بين صابئة ومجوس وزرادشت وبراهمة وما لا يعد من الفرق أيضاً . فكان الانقسام والتجزء في الاجتماع والسياسة تبعاً للنحل قائما مع الاهواء فباتت الدول المجاورة للعربية وهي فارس والروم (وما أدراك ما فارس والروم أعرق

الامم في المدنية واقصاها غاية في التاريخ وارهبها قوة في الارض وامدها ظلاً عليها) اشبه بشجرة تأصلت جذورها في الارض وتسامقت فروعها في الفضاء فجاءتها ريح عاصفة تعتعت اصلها وتلاعبت باغصانها فقصفتها قصفاً ،وعصفت فيها عصفاً ، فزوت افنانها ، وتفرقت مع الريح اغصانها ، فكانت دولة الروم غرضاً ترمي اليه الاهواء بسهامها وفريسة تتنازعها العناصر المنفردة منها والاقوام المنشقة عنها والشاغبة عليها كالعرب والارمن واليونان والرومانيين والصقالبة وغيرهم

ودولة الفرس كذلك تفككت اعضاؤها وتجزأت وحدتها فاستبد عمالها بالاطراف وتنازعوا سلطان الاكاسرة وتوثبوا على الملك وتعسفوا بالحكم وظلموا الرعية[1] ومن ثم انحلت من تلك الامم عرى وحدتها وتفرقت اهواء اهلها وتباينت مقاصد قادتها وزعمائها فانزوت شموس مدنيتها وكادت تندثر من الوجود آثار الحضارة والعلم التي انتهت الى دولتي الفرس والروم وتعود حالة البشر الى اقبح ماكانت عليه قبل تاريخ الحضارة وبعثة الانبياء هداة الامم من فوضى الاجتماع وتفرق الاهواء وانحطاط المدارك والعقول ويأبى الله الا ان يتم كلمته في خلقه ويجعل الانسان مظهر قدرته ويديم عليه سوابغ رحمته لهذا ارسل الله سبحانه وتعالى محمداً صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة بشيراً ونذيراً وهادياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً وانزل عليه القرآن فيه هدى ونور ورحمة للعالمين لينذر به من كان حياً ويحق القول على الكافرين

فامتثل محمد صلى الله عليه وسلم امر ربه ودعا الناس الى دينه . دعاهم

---

(١) لهذه الاسباب تولى ملك فارس قبيل الفتح الاسلامى نحو ستة ملوك في بضع سنين وكلهم قتلوا بيد الامراء والرعية قتلا (راجع تاريخ الكامل)

الى توحيد الله فلا يشركون به شيئاً . والى توحيد الاجتماع فلا يتفرقون شيعاً ينابذ بعضها بعضاً . والى توحيد الافكار فلا يجادلون في الحق . والى توحيد المقاصد فلا يتخبطهم شيطان الاهواء وتفرقهم عن الحق نزعات النفوس. والى توحيد اللغة فلا يتناكرون وبلسان واحد يتفاهمون

دعا اولاً اهله وعشيرته ثم قومه ثم سائر العرب ثم عامة الناس بما كتب الى ملوكهم الذين اليهم ينتهي امر الأمم وبهم تقوم الدعوة حتى قامت لله على الناس الحجة ولله الحجة البالغة على الناس اجمعين . واجاب دعوة نبيه من اجاب واقبل عليها من اقبل . وكان جلّهم من العرب الذين لم يلبثوا ان تلقوا هـذا الدين حتى ظهر اثره فيهم ظهوراً يبشر بمصير السيادة على الامم اليهم لما صبحوا عليه من الاخاء بعد التنافر والاجتماع بعد التفرق والتوحيد بعد الشرك والتنبه بعد الغفله والايمان بعد الكفر والتحاب بعد التناكر يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويجاهدون في الله وينصرون دينه ويقيمون حدوده ويواسون الفقير ويؤدون الحق ويرغبون بالقناعة بالكفاف عما بايدي الناس ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة

على هذا الاساس قامت حياة المسلمين الاجتماعية وبتلك الاخلاق وصف الله اتباع النبي محمد صلى الله عليه وسلم في كتابه العزيز فقال تعالى فيه (كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتسارعون في الخيرات واولئك من الصالحين) وقال تعالى (محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا) وقال تعالى (ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة) وقال تعالى (انما المؤمنون اخوة) الى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي تمثل حالة المسلمين

يومئذ تمثيلا وتدل على مبلغ تأثير الاسلام في نفوس تلك الأمة البدوية التى أخرجها القرآن من ظلمات الفوضى والجهل الى نور العلم والاجتماع

تلك الحالة الاجتماعية التى كانت في عهد الرسالة كانت كذلك في عهد أبي بكر رضي الله تعالى عنه وقد نهض أبو بكر بعد الرسول صلى الله عليه وسلم باتمام نشر الدعوة وتوحيد كلمة الشعوب نهوضاً بسطناه فيما تقدم من سيرته فرمى بالجيوش الاسلامية فارس والروم ليكونوا حماة الدعوة بعد اذ لم تنجح فيهم الدعوة مجردة عن القوّة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فخالط المسلمون تلك الأمم البالغة منتهى درجات الرفاه والتنعم المنغمسة في حمأ الشهوات النفسية ودوخوا بلادهم واستفتحوا كنوزهم ومع هذا فلم يؤثر ذلك في اخلاقهم ولم تدعهم تلك الزخارف الى تنكب المحجة التي تركهم عليها نبيهم لا سيما وانّ القرآن بين أيديهم يهتدون بهديه وأبو بكر من ورائهم يحملهم على طريقته ويؤدبهم بأدب نفسه وكان جل همه منصرفا الى اقامة شعائر الدين والتأدب بآداب النبي صلى الله عليه وسلم خصوصاً في خشونة العيش وكبح جماح النفوس والقناعة بالكفاف هذا مع علمه بان الله سبحانه وتعالى أحلّ الطيبات للمؤمنين وانما هو كان حريصاً على تأدب المسلمين بآداب النبوة وآدابه كي لا يشغلهم عن بث الدعوة والجهاد في الله وتوحيد كلمة الشعوب شاغل الاخلاد الى الراحة والرغبة بنعيم الحياة الفانية وأنى يشغلهم شيء عن أمر الله وهم خير أمة أخرجت للناس وعصرهم خير العصور

وكيف لايكون خير العصور وقد كان فيه المؤمنون على جانب من سلامة الفطرة وطهارة الاخلاق وتآلف القلوب ونصرة العدل والحق ومواساة الضعيف والقيام بواجب الاخاء وتبادل الثقة والحب لم تبلغ مبلغهم فيه أمة

حديثة عهد في الدين من قبل ولن يتأتى لأمة سواهم من بعد

روى الغزالي في الاحياء ان تبادل الثقة والحب بين المسلمين يومئذ بلغ بهم ان كانوا خلطاء بالمال يأخذ فقيرهم من مال الآخر مصداقا لقوله تعالى (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة)

وبلغت بهم معرفة الحقوق والوقوف عند الحدود ان لا يتخاصم منهم اثنان امام القضاء في حق صدراً من خلافة أبي بكر فقد روي ان عمر بن الخطاب لما استقضاه ابو بكر رضى الله عنهما بقي سنة لا يحضر عنده خصمان في دعوى ولا يتخاصم لديه اثنان في حق

ولما كان أبو بكر رضي الله عنه خير قدوة للمسلمين وقد كان على جانب من التواضع وشظف العيش وخشونة الملبس مع غناه ووفر دخله من املاكه فقد اقتدى به المسلمون وتخوشنوا في مأكلهم وملبسهم وتعفف كبارهم حتى عن التنعم بدخلهم فقد قال المسعودي في تاريخه انه لما قدم على أبي بكر زعماء العرب واشرافهم وملوك اليمن وعليهم الحلل وبرد الوشي المثقل بالذهب والتيجان والحبرة وشاهدوا ما عليه من اللباس والزهد والتواضع والنسك وما هو عليه من الوقار والهيبة ذهبوا مذهبه ونزعوا ما كان عليهم وكان ممن وفد عليه من ملوك اليمن ذو الكلاع ملك حمير ومعه ألف عبد دون ما كان معه من عشيرته وعليه التاج وما وصفنا من البرود والحلى ولما شاهد من ابي بكر ماوصفنا ألقى ما كان عليه وتزيا بزيه حتى انه رؤي يوما في سوق من أسواق المدينة وعلى كتفيه جلد شاة ففزعت عشيرته وقالوا له فضحتنا بين المهاجرين والانصار قال ، فأردتم أن أكون ملكا جباراً في الاسلام لا والله لا تكون طاعة الرب الا بالتواضع والزهد ، قال المسعودي وتواضعت الملوك ومن

ورد عليه من الوفود بعد التكبر وذلوا بعد التجبر

ولا جرم انّ قدوة الأمم رؤساؤها وقادتها الى الخير والشر ملوكها ولم يرنا التاريخ مصارع قوم هلكى بشقاء الحياة الا بملوكهم كما لم يرنا تسوّد قوم وتمتعهم بسعادة الحياة الا اذا استقام ملوكهم

هذه كانت الحالة الاجتماعية على عهد أبي بكر رضي الله عنه وقد بسطناها اليك على وجه الاجمال لتتذكر وتعتبر . وتتقي الله في نفسك وتزدجر . والله وليّ الصالحين

وهذا آخر كلام على خلافة أبي بكر رضي الله عنه وارضاه و وفق ولاة امورنا للنظر فيما كان عليه الخلفاء من قبل . والله يعصمنا واياهم من الجهل .

﴿ خالد بن الوليد ﴾

﴿ باب ﴾

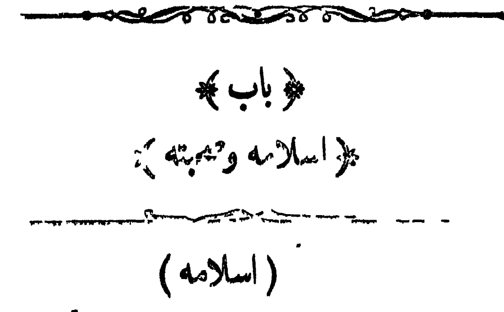
(حاله في الجاهلية)

« نسبه وأصله »

خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم أبو سليمان وقيل أبو الوليد القرشي المخزومي أمه لبابة الصغرى وقيل الكبرى والاول أصح وهي بنت الحارث بن حزن الهلاليه وهي أخت ميمونة بنت الحارث زوج النبي صلى الله عليه وسلم واخت لبابة الكبرى زوج العباس بن عبد المطلب وهو ابن خالد اولاد العباس بن عبد المطلب الذين من لبابة

﴿ شرفه في قومه ومكانته عندهم ﴾

تقدم معنا في صدر الكتاب ان خالد بن الوليد ممن انتهى اليهم الشرف في الجاهلية من قريش وانه كان على الاعنة والقبة وابنا ثمة المراد من القبة والاعنة فلا حاجة للاعادة هنا لهذا كان في وقائع بدر وأحد والخندق على خيل المشركين ولم يشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم الا مابعد الفتح من الوقائع وقد كان خالد في قومه موصوفا بالشجاعة محبباً فيهم مقدما عندهم بالحروب موفقاً للنصر عارفا باصول الحرب حائزاً على صفات الجندية التي يلازمها في الغالب خشونة الطبع وعنفوان الشجاعة والاخذ بالشدة والتسرع الى المعاقبة لهذا لما بدر منه بعد اسلامه مابدر من التسرع في حادث مالك بن نويرة قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ان سيف خالد فيه رهق وألح على أبي بكر بعزله عن قيادة الجند خوف استرساله في الشدة على المحاربين والاسلام يأبي الشدة ويأمر بالاناة والحلم وعدم الامعان في ايذاء المقاتلين ومع هذا فان الاسلام غيّر كثيراً من طباع خالد وألان من شدته فلم تبدر منه في حروب فارس والروم أدنى بادرة تؤخذ عليه



﴿ باب ﴾

﴿ اسلامه وصحبته ﴾

(اسلامه)

اختلف في وقت اسلام خالد فقال بعضهم انه أسلم سنة ثمان للهجرة وقال بعضهم سنة خمس وقال بعضهم سنة سبع وهو الاصح فقد كان اسلامه

بعد الحديبية وكانت عمرة الحديبية في ذي القعدة سنة ست وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وعمرو بن العاص وطلحة بن ابي طلحة العبدري في صفر فلما رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه : رمتكم مكة بأفلاذ كبدها

﴿ صحبته ﴾

لما أسلم خالد انفذه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جيش من المسلمين أميره زيد بن حارثة الى مشارف الشام من ارض البلقاء لغزو الروم وكانت لهم هناك وقعة مؤتة العظيمة التي استشهد فيها زيد ثم اخذ الراية بعده جعفر بن أبي طالب فاستشهد ايضاً ثم اخذها عبد الله بن رواحة فقتل ايضاً ثم اتفق المسلمون على دفع الراية الى خالد بن الوليد فأخذها وقاتل بها قتالاً شديداً حتى اندق يومئذ في يده سبعة اسياف ثم ما زال يدافع القوم حتى انحازوا عنه ثم عاد بجيش المسلمين

وفي هذه الغزوة سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفاً من سيوف الله وذلك انه اوحي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن قتل من الامراء فصعد يومئذ المنبر وأعلم بقتل زيد وجعفر وابن رواحة وقال ثم اخذ الراية سيف من سيوف الله خالد بن الوليد وفتح الله عليه ومن ثم سمي خالد سيف الله

وكان خالد من حين اسلم يوليه رسول الله صلى الله عليه وسلم اعنة الخيل فيكون في مقدمتها في محاربة العرب وشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم فتح مكة وامره يومئذ ان يدخل من اسفل مكة من الليط ومعه اسلم وغفار ومزينة وجهينة وقبائل من العرب وهو اول يوم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد

وكان عكرمة بن أبي جهل وصفوان بن امية وسهيل بن عمرو قد جمعوا

ناساً بالخندمة ليقاتلوا ومعهم الاحابش وبنو بكر وبنو الحرث بن عبد مناة فلقيهم خالد فقاتلهم فهزمهم بعد ان قتل منهم ثلاثة عشر رجلا

ولما فتحت مكة واذل الله قريشاً لرسوله وقد كانوا اشد العرب عداوة له وايذاء لاصحابه ووقوفاً دون دعوته بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو من حول مكة من العرب الى الاسلام وكان فيمن بعث خالد بن الوليد بعثه الى بني جذيمة داعياً لا مقاتلا فذهب فقاتلهم وقتل منهم فلما انتهى الخبر الى النبي صلى الله عليه وسلم رفع يديه الى السماء ثم قال (اللهم اني أبرأ اليك مما صنع خالد) ثم أرسل علياً ومعه مال فودي لهم الدماء والاموال ثم جاء خالد الى النبي صلى الله عليه وسلم واعتذر وقال ان عبد الله بن حذافة السهمي امرني بذلك عن رسول الله

وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العزّى ببطن نخلة وكان بيتاً عظيما لمضر تعظمه قريش وكنانة ومضر كلها وكان سدنتها بنو شيبان من حلفاء بني هاشم فهدمها خالد وقال

ياعزّ كفرانك لا سبحانك — اني رأيت الله قد اهانك

وكان خالد على مقدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين في بني سليم فجرح خالد فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث في جرحه فبرىء وأرسله أيضاً الى أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل فأسره وأحضره عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فصالحه على الجزية ورده الى بلده ،وأرسله أيضاً سنة عشر الى بني الحارث بن كعب بن مذحج بنجران وامره ان يدعوهم الى الاسلام فان أجابوا يقيم فيهم و يعلمهم شرائع الاسلام وان أبوا يقاتلهم فخرج خالد حتى قدم عليهم و بعث الركبان يضربون في كل وجه و يدعون الناس الى

الاسلام فاسلم الناس ودخلوا فيما دعاهم اليه وأقام بينهم يعلمهم كتاب الله وسنة نبيه وكتب بذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا ستأتى صورته فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يستدعيه ومن يريد الوفود معه من القوم فاقبل واقبل معه الوفد وفيهم قيس بن الحُصيَن بن يزيد بن قَنَان ذي الغُصَّة ويزيد بن عبد المدان ويزيد بن المحجَّل وغيرهم

ولم يزل خالد مدة صحبته يجاهد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكافح اعداء الاسلام ويحرص على رضاء النبي صلى الله عليه وسلم حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له بعد من جميل الاثر في قتال اهل الردة وفتوح البلدان العظيمة ما رأيت في سيرة ابي بكر ونتلوه عليك الآن ملخصاً من تاريخ حروبه في الاسلام

باب

حروب خالد وفتوحاته في عهد أبي بكر

(حروبه في الردة)

حربه مع طليحة

تقدم معنا في سيرة ابي بكر رضي الله عنه انه عقد لخالد وامره بطليحة ابن خويلد فاذا فرغ سار الى مالك بن نويرة بالبطاح وكان ابو بكر بعث عدي ابن حاتم [1] الطائى قبل خالد الى طيء واتبعه خالداً وامره ان يبدأ بطيء ومنهم

(١) هو عدي بن حاتم الجواد وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فألقى له وسادة وأجلسه عليها وجلس هو على الارض فأسلم وسر باكرام رسول الله له سروراً عظيما وكان له في أيام الردة أحسن الاثر رضي الله تعالى عنه

يسير الى طليحة ببزاخة ويثلث بالبطاح حيث يقيم مالك بن نويرة بقومه وان لا يبرح اذا فرغ من قوم حتى يستأذنه

سبق عدي خالدا الى قومه ودعاهم فاجابوه وقالوا له استقبل جيش خالد واخره عنا حتى نستخرج من عند طليحة منا لئلا يقتلهم فاستقبل عديٌّ خالداً واخبره بالخبر فتأخر خالد وارسلت طيئ الي اخوانهم عند طليحة فلحقوا بهم ولما عزم خالد على قصد جديلة [1] استمهله عديٌّ عنهم ايضاً ولحق بهم يدعوهم الى الاسلام فاجابوه فعاد الى خالد باسلامهم ولحق بالمسلمين الف راكب منهم كل هذا بهمة ذلك الشهم الكبير عديّ بن حاتم رضي الله تعالى عنه حتى قيل يومئذ عنه انه خير مولود في أرض طيئ واعظمه بركة عليهم

ولما عزم خالد بن الوليد على قصد طليحة أرسل عكاشة بن محصن وثابت ابن اقرم الانصاري طليعة فلقيهما حبال أخو طليحة فقتلاه فبلغ خبره طليحة فخرج هو واخوه سلمة فقتلا عكاشة وثابتاً واقبل خالد بالجيش فرأى عكاشة وثابتا قتيلين فجزع لذلك المسلمون وانصرف بهم خالد نحو طيئ فقالت له طيئ نحن نكفيك قيساً فان بني أسد حلفاونا فقال قاتلوا أيّ الطائفتين شئتم فقال عديّ بن حاتم لو نزل هذا على الذين هم اسرتي الادنى فالادنى لجاهدتهم عليه والله لا أمتنع عن جهاد بني أسد لحلفهم فقال خالد ان جهاد الفريقين جهاد لا تخالف رأي أصحابك وامض بهم الى القوم الذين هم لقتالهم أنشط وقد أصاب خالد بهذا الرأي ورضي به عديّ ثم سار جيش المسلمين على تعبية الى بزاخة حيث التقى بطليحة ومن معه ونشب القتال بين الفريقين وكان مع طليحة عيينة بن حصن في سبعمائة من بني فزارة فقاتلوا قتالاً شديداً حتى اذا اشتدت

(١) جديلة بطن من طيئ

عليهم وطأة الحرب وزعزعتهم صدمات المسلمين كرّ عيينة على طليحة وسأل هل أوحي اليه بشيء ؟ قال لا فتركه وذهب وقاتل ثم عاد فقال له لا ابالك فهل جاءك جبريل ؛ قال لا فقال عيينة حتى متى قد والله بلغ منا ثم رجع فقاتل ثم كرّ على طليحة فقال هل جاءك جبريل ؟ قال نعم قال فماذا قال لك قال قال لي ان لك رحى كرحاه وحديثاً لا تنساه فقال عيينة قد علم الله انه سيكون حديث لا تنساه انصرفوا يا بني فزارة فانه كذاب فانصرفوا وانهزم الناس وكان طليحة قد اعد فرسه وراحلته لامرأته النوار فلما غشوه ركب فرسه وحمل امرأته ثم نجا بها وقال يامعشر فزارة من استطاع ان يفعل هكذا وينجو بامرأته فليفعل ثم انهزم ولحق بالشام ونزل على كلب فلما بلغه أنّ أسدا وغطفان قد أسلموا اسلم وبقي في كلب حتى توفي أبو بكر رضي الله عنه واستخلف عمر فأتى اليه وبايعه ثم حضر بعد ذلك فتوح نهاوند وكان من الشجعان المشهورين وأبلى في حروب فارس بلاء حسناً وفيها استشهد

هكذا انقضى امر طليحة كما انقضى امر غيره من المتنبئين الكذابين وهيهات للباطل ان يثبت في جانب الحق وللكذب ان يغلب على الصدق (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق)

لما انهزم جند طليحة اجتمع الفلّ من غطفان وسليم وهوازن وغيرهم على امرأة اسمها أم زمل من بني فزارة فأمرتهم بقتال المسلمين فلما بلغ خالداً الخبر سار اليها بجيشه وقاتلها ومن اجتمع معها قتالا شديداً فقتلت وتفرق جمعها

﴿ حادثة مالك بن نويرة ﴾

ثم قصد خالد مالك بن نويرة وكان كما تقدم معنا في سيرة أبي بكر

رضي الله عنه متحيراً يقدم للردة قدماً ويؤخر أخرى وكان رؤساء تميم كلهم قدموا بالصدقات على أبي بكر كالزبرقان وصفوان بن صفوان ووكيع بن مالك وغيرهم الاّ مالك بن نويرة بقي متردداً حتى اذا بلغه مجيء خالد ندم على مافعل وفرق قومه في البطاح ونهاهم عن الاجتماع وقال لهم يابني يربوع انّا دعينا الى هذا الامر فأبطأنا فلم نفلح وقد نظرت فيه فرأيت الامر يتأتى لهم بغير سياسة واذا الامر لا يسوسه الناس فاياكم ومناواة قوم قد صنع لهم فتفرقوا وادخلوا في هذا الامر

ولما اراد خالد قصد البطاح تخلفت عنه الانصار وقالوا قد عهد الينا الخليفة ان نحن فرغنا من بزاخه ان نقيم حتى يأتينا امره فقال خالد قد عهد اليّ ان امضي وانا الامير ولو لم يأت اليّ كتاب بما رأيته فرصة وكنت ان أعلمته فاتتني لم اعلمه وكذلك لو ابتلينا بامر ليس فيه منه عهد لم ندع ان نرى أفضل ما يحضرنا ثم نعمل فأنا قاصد الى مالك ومن معي ولست اكرههم

ولقد صدق خالد فيما قال لو لم يكن في تعجيله بأمر مالك مالا تحمد عقباه لهذا امتنع الانصار عن المسير معه ثم لما سار ندموا وقالوا ان اصاب القوم خيراً حرمتموه وان أصيبوا ليجتنبنكم الناس فلحقوه ولما قدم خالد البطاح بث السرايا وامرهم بداعية الاسلام وان يأتوه بكل من لم يجب وكان قد اوصاهم ابو بكر (ان يؤذنوا اذا نزلوا منزلاً فان أذن القوم فكفوا عنهم وان لم يؤذنوا فاقتلوا وانهبوا وان أجابكم الى داعية الاسلام فسائلوهم عن الزكاة فان اقروا فاقبلوا منهم وان أبوا فقاتلوهم)

لما بث خالد السرايا جاءته الخيل بمالك بن نويرة في نفر من ثعلبة بن يربوع فاختلفت السرية فيهم وكان فيهم ابو قتادة فكان فيمن شهد انهم

أذئوا فلما اختلفوا أمر بهم خالد فحبسوا في ليلة باردة فأمر خالد منادياً فنادى دافئوا اسراكم وهي في لغة كنانة القتل فظن القوم انه أراد القتل ولم يرد الا الدفء فقتلوهم فقتل ضرار بن الازور مالكا وسمع خالد الواعية فخرج وقد فرغوا منهم فقال اذا أراد الله امراً اصابه وتزوج خالد ام تميم امرأة مالك

ولما انتهى الخبر الى ابي بكر وعمر رغب عمر الى ابي بكر ان يستدعي خالداً ويقتص منه وكان عمر رضي الله عنه شديداً يحب تعجيل العقوبة وأبو بكر يحب الاناة وعدم التعجيل في العقوبة ولما الح عمر على ابي بكر بشأن خالد قال ياعمر تأول خالد فاخطأ فارفع لسانك عن خالد فاني لا اشيم سيفاً سله الله على الكافرين ، وكتب الى خالد ان يقدم عليه ففعل ودخل المسجد وعليه قباء وقد غرز في عمامته اسهماً فقام اليه عمر فنزعها وحطمها واسمعه كلاماً اليماً فلم يكلمه ودخل على ابي بكر وأخبره بجلية الخبر واعتذر اليه فقبل عذره وودى مالكا من بيت مال المسلمين

ولا يخفى ان قتل مالك بن نويرة اذا صح ان سببه سوء فهم كما تقدم فخالد غير مسئول عن دمه هذا اذا صح انه أظهر الاسلام حين رأى جيش المسلمين الا ان تردده في الامر من بدء الردة يدل على ان الرجل لم يخلص للاسلام والا لكان تابع بقية سادات تميم بارسال الصدقة الى أبي بكر ولم يبطيء الى حين وصول جند المسلمين اليه وهذا أعظم عذر يمكن أن يعتذر به عن خالد بن الوليد رضي الله عنه فيما لوكان قتل مالك مقصوداً أو معجلاً به من قبل خالد بن الوليد ولولا ذلك لكان قتله لمالك ثلمة في تاريخه لا يسدها الا جهاده العظيم في فتوح العراق والشام

﴿ حربه مع مسيلمة ﴾

تقدم الكلام عما أصاب عكرمة بن ابي جهل في تعجيله بحرب مسيلمة قبل ان يصل اليه شرحبيل بن حسنة ولما انتهى الخبر بذلك الى ابي بكر كتب لشرحبيل بالتربص وأتبعه خالد بن الوليد بعد مجيئه الى المدينة واعتذاره عن قتل مالك بن نويرة واوعب معه المهاجرين والانصار فتقدمهم الى البطاح ولما تكاملت عدتهم سار بهم الى قصد مسيلمة فبادر شرحبيل خالداً بقتال مسيلمة فنكب فلامه خالد على تعجيله ولما بلغ مسيلمة دنو خالد عسكر بعقرباء باربعين الف مقاتل وقيل بستين الفاً وخرج اليه الناس وخرج مجاعة بن مرارة في سرية يطلب ثاراً لهم في بني عامر فاخذه المسلمون وأصحابه فقتلهم خالد واستبقاه لشرفه في بنى حنيفة

ثم ان مسيلمة ترك الاموال وراء ظهره وتقدم لقتال المسلمين وقام ابنه شرحبيل يحرّض بني حنيفة على القتال وينفض يديه من نبوة ابيه قائلاً لهم، يابنى حنيفة اليوم يوم الغيرة قاتلوا عن احسابكم وامنعوا نساءكم، فنشبت الحرب ودارت بينهم وبين المسلمين رحى الطعن والضرب واشتد القتال ولم يلق المسلمون حربا مثلها قبل حتى نزعوا الى الهزيمة وانكشفوا عن فسطاط خالد ثم تداعوا واقتحم اهل النجدة منهم كزيد بن الخطاب وثابت بن قيس وغيرهما صفوف العدو وحمل خالد بالناس حتى [illegible] مما كانوا واشتد القتال وتذامرت بنو حنيفة [illegible] قتالا شديدا والمسلمون صامدون حتى قتل من اولي البصائر منهم ناس منهم زيد بن الخطاب القرشي وأبو حذيفة وسالم مولاه واضرابهم

لما رأى خالد ما الناس فيه خشي من ان يهزم اخلاط العرب فتختل

صفوف المسلمين ويساق معهم أهل النجدة من الانصار والمهاجرين فنادى في الناس ان امتازوا أيها الناس لنعلم بلاء كل حي ولنعلم من أين نؤتى . فامتازوا ولما امتازوا قال بعضهم لبعض اليوم يستحي من الفرار وحينئذ ظهر ان القتل في المهاجرين والانصار وأهل القرى أكثر من البوادي وعلم خالد ان الحرب لا تركد الا بقتل مسيلمة فطلبه للبراز فبرز اليـه فعرض عليه أشياء فبينما هو يتظاهر بمشاورة شيطانه ركبه خالد فانهزم امامه فصاح خالد بالنـاس فركبوا القوم فانهزموا وقالوا لمسيلمة اين ما كنت تعدنا فقال قاتلوا عن احسابكم ونادى مناديهم يا بني حنيفة الحديقة الحديقة فدخلوها واغلقوا عليهم بابها

فجاء أحد ابطال المسلمين الانجاد وهو البراء بن مالك وقال يا معشر المسلمين القوني عليهم في الحديقة فاحتمل حتى أشرف على الجدار واقتحمها عليهم وقاتل على الباب حتى فتحه فدخلوها عليهم واقتتلوا اشد قتال ولم يزالوا كذلك حتى قتل مسيلمة واشترك في قتله وحشي مولى جبير بن مطعم ورجل من الانصار ولما علم بقتله بنو حنيفة ولوا الادبار فاخذهم السيف من كل جانب

كان مجاعة بن مرارة سيد [illegible] لخالد بعد انكسار بني حنيفـة هـلم الى الصلح على ما ورائي فصالحـه على كل شيء دون النفوس فانطلق ليشاور القوم فلم يجـد في الحصون الا النساء والصبيان ومشيخة فانية وبعض رجال ضعـاف فالبسهم الحـديد وامرهم ان يشرفوا من الحصون ثم عاد الى خالد وقال له قد ابوا ان يجيزوا ما صنعت . وكان قصده بهذا ايهام خالد لاجل ان يأخذ الامان للرجال ويصالح خالدا على السبي وقد نجح بهذه الخدعة اذ رأى المسلمون ان يعودوا على ظفر بعد ان نهكهم طول اللقاء فصالحه خالد على الفضة والذهب وربع السبي وقيل نصفه وانتهى الامر

وقد ظهر من المسلمين في هذه الحرب من الثبات والنجدة والصبر على المكروه مالم يظهر من جيش قط واستحر القتل في المهاجرين والانصار يومئذ وقتل من القراء جمع وهـذا ما دعا أبا بكر وعمر للمبادرة الى جمع القرآن كما رأيت فيما مر من هذا الكتاب

ومن مكائد خالد وحسن بصيرته في هذه الحرب امره للمسلمين بأن يمتاز الاحياء والقبائل بعضهم من بعض لما اشتدت عليهم وطأت الحرب ليظهر أهل البلاء منهم ويستحي الناس من الفرار فيقاتلوا حتى الموت وقد فعلوا وشتتوا شمل ذلك الجيش المظيم بقوة اليقين وحسن تدبير خالد بن الوليد فرضي الله عنه وعنهم اجمعين

باب

فتحه العراق وحروبه فيه

في المحرم من السنة الثانية عشرة للهجرة بعد فراغ خالد من اليمامة امره ابو بكر بالتوجه الى العراق وقد تقدم معنا ذكر مسير خالد وفتوحه في العراق في سيرة ابى بكر ونحن ذاكرون هنا طرفا من اهم اخباره في حرب اهل العراق مما لم يذكر بالتفصيل من قبل فنقول

وقعة الحفير

اول وقائع خالد بن الوليد في العراق وقعة الحفير قرب خليج البصرة وكان اسم صاحبها هرمز فبرز الى خالد بجيشه مقترنين بالسلاسل كي لا يفروا فطلبه خالد للبراز فبرز اليه ولم يتجاولا الا قليلا حتى احتضنه خالد فحمل عليه

أصحابه فما شغله ذلك عن قتله وحمل القعقاع بن عمرو بالمسلمين فازاحوا الفرس وركبهم المسلمون فهزموهم وأخذ خالد سلب هرمز وكان على رأسه قلنسوة الامارة أو الشرف وكان قد تم شرفه ومن عادة الفرس اذا تم شرف الانسان ان تكون قلنسوته بمائة ألف

﴿ كلمة على الالقاب والرتب ﴾

هكذا قال المؤرخون بشأن هذه القلنسوة والظاهر ان القلنسوة كانت عند الفرس من شعار الشرف يعلو ثمنها وينخفض بنسبة شرف صاحبها في الدولة وهي من قبيل الرتب والالقاب التي أحدثت بعدُ في دول الاسلام وأول من أحدثها العباسيون أخذاً عن الاعاجم وذلك كالمنصور والمهدي مثلا في ألقاب الخلفاء ونظام الملك في الوزراء وشرف الدولة وعز الدولة فى الامراء وما لا يحصى من الالقاب والنعوت التي وصلت في القرون الوسطى الهجرية قرون الجهل والعتو والجبروت قرون الضعف والانحلال الى درجة تشمئز منها النفس ويأباها عقل الحكيم ومن أراد أن يرى شيئاً منها فليراجع تواريخ ملوك الطوائف من الدول التركية والايوبية والجركسية خصوصاً في المنشورات التي كانت تصدر اليهم من ديوان الخلافة ليرى كيف كانت ترص الالقاب والنعوت لامراء وملوك ما أجدهم بقول الشاعر الأندلسي الحكيم

القاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخا صولة الاسد

ولا جرم ان توفر تلك الالقاب والنعوت في الدول من نتائج التطاع الى المجد الباطل والاعراض عن المجد الحقيقي والشرف الذاتي ومنشأ هذا أمران (فقد التربية وانحلال الدول)

أما فقد التربية فلأنه يضعف قوّة الارادة ويذهب بآثار العلم ويقضي

على حب الفضيلة فيميل بالناس الى الخمول ويتنكب بهم طرق الفضائل فيصابون بفتور الهمم وانحلال العزائم فيقعد بهم ذلك عن تناول الشرف الذاتي من طرق الجد والعمل . ويدعوهم الى طلب المجد الباطل من طرق الرياء والمداهنة والتحيل والكسل ، وغير ذلك من الامور التي تدل على فقد الشمم وموت العواطف وانحطاط ملكات العمل والعلم وقصاراها ضعف الأمم ، وتدرجها في مدارج التدني والانحطاط حتى آخر درجة من الهبوط الى هوّة الدمار والفناء حيث يبدأ غيرها بالصعود ممن كان ينازعها البقاء وهكذا كان الشأن مع الفرس والعرب لما نازعهم هؤلاء البقاء وغلبوهم عليه مع حداثة ظهورهم في الدولة والملك (وتلك الايام نداولها بين الناس)

وأما انحلال الدول فلانه يحل عرى الالفه وتتناكر به القلوب وينفضّ الناس من حول الامير لضعف أمره فيهم أو تعسفه بالحكم عليهم فيحتال لاجتذاب قلوب افرادهم ويتألفهم تارة بالرشا وتارة بمنح الالقاب وضخامة التشريف بشارات الدولة فتفسد بذلك اخلاقهم وتغتر بمظاهر المخفخة الكاذبة نفوسهم فيتطلعون الى رتب الدولة والقاب التشريف الباطلة وهكذا كان الشأن لما انحل أمر الخلافة العباسية في بغداد والفاطمية في مصر وابتدع الخلفاء من القاب التشريف الكبيرة ما يتألفون به قلوب الناس ويجتذبون اليهم افئدة الامراء المتوثبين على الملك الذين [illegible] أمر الخلافة ولكن [illegible] ذلك من سقوط خلافتهم ([illegible] قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)

ومن هذا تعلم مقدار الفساد الذي دخل على الدول الاسلامية من طريق التقليد للاعاجم في أمور كثيرة أفسدت اخلاق الامة وأدخلت الوهن على اصول التربية الاسلامية التي تأسست عليها دولة الخلفاء الراشدين ومن بعدهم

من الامويين وأخصها ترفع تلك الدول عن السفاسف وتطلع الناس في عهدها الى أعلى مراقي المجد التي لا يبلغها الا ذوو الشمم والجد الآخذون بنواصي الحكمة السالكون مسالك الرجولية المعرضون عن الاغترار بزخارف المجد الباطل حتى لقد كان الخلفاء لا يخاطبون بغير أمرة المؤمنين ولا يخاطبون امراءهم وولاتهم بالكنى والالقاب بل هم كانوا لا يعرفون لها اسما ولا يقيمون لها رسما وقد اقتدى بهم في هذا العصر أعظم الدول جداً وقوة وغنى وثروة وهي جمهورية أمر كالشمالية التي حرم في دولتها ايجاد الشارات والرتب وأعرضت عن امثال تلك الالقاب الكاذبة والسفاسف المضرة بالاخلاق والتربية فنشط سكان تلك المملكة العظيمة الى السعي وراء المجد الحقيقي المتأتي عن العمل والعلم حتى بلغوا مكانا من المجد والقوة تحسدهم عليه كل دول الارض الآن ولله في خلقه شؤون وللسعادة والشقاء سبيلان يسلك الاول منهم العاقلون والثاني الجاهلون

﴿ وقعة الثنى وما بعدها ﴾

لما اجتمع خالد بهرمز في الحفير ارسل الثاني كتابا الى كسرى يستمده فامده بجيش عظيم بقيادة قائد اسمه قارن فلما انتهى الجيش الى المذار لقي المنهزمين من جيش هرمز فاجتمعوا ورجعوا الى الثنى وهو النهر وسار اليه خالد وقاتلهم فهزمهم وقتل وسبي وكان في السبي يومئذ ابو الحسن البصري الشهير وكان نصرانيا وامر خالد على الجند سعيد بن النعمان وعلى الحرز سويد بن مقرّن وامره بنزول الحفير واقام يتجسس اخبار العدو فعلم أن كسرى ازدشير بعث اليه بجيش بقيادة الاندرز عزجلّه من العرب الضاحية والدهاقين فسار اليهم خالد ووضع لهم كمينا فالتقوا عند الولجة ولم تلبث إن نشبت بينهم الحرب حتى خرج

الكمين على العدو واحاطوا به احاطة السوار بالمعصم فقتل منهم من قتل وانهزم من انهزم ومات قائدهم الاندرزغر عطشا في الفلاة

أصيب في هذه الواقعة كثير من نصارى بكر بن وائل فاستنفروا اخوانهم واستمدوا ازدشير فامدهم ببهمن جازويه وكان بقشيناثا وأمره بالقدوم على نصارى العرب بالليس فقدم امامه قائدا اسمه باجان وأمره بالتوقف ليذهب ويشاور ازدشير فيما يفعل فوجده مريضاً فتربص عنده

واما باجان فاجتمع عليه نصارى عجل وتيم اللات وضبيعة وجابر بن بجير وعرب الضاحية فسار اليهم خالد وكانوا على طعامهم فعاجلهم عنه فقاموا للحرب فهزمهم شر هزيمة وا كثر فيهم القتل والاسر

ثم بعد هذه الوقعة قصد خالد الحيرة وحمل الاثقال بالنهر ولما بلغها صالحه اهلها بعد مناوشات خفيفة وقد تقدم من خبرها في سيرة ابى بكر ما فيه الكفاية ، وكان فتح الحيرة في شهر ربيع الاول من سنة اثنتي عشرة وكتب لهم خالد كتابا بذلك

ولما انتهى خالد من امر الحيرة اتته الدهاقين من النواحي فصالحوه على ما بين الفلاليج الى هرمز جرد على الفي ألف وقيل الف الف سوى ما كان لآل كسرى وبعث خالد عماله ومسالحه وبث عيونه وارصاده وارسل السرايا فمخروا دجلة الى ارض فارس وارسل خالد كتبه الى ملاك فارس ومرازبتها يدعوهم الى الاسلام وفي غضون ذلك هلك كسرى وعاد أمر الفرس الى الاضطراب يولون ملكا و يعزلون آخر شأن الأمم اذا انحلت رابطتها والدول اذا انتكث فتلها وأذن الله بانصرام أجلها

وبينما الفرس في شاغل الاضطراب أخذ خالد يتمم فتح العراق فسار الى الانبار

وكان بها شيرزاد فخرج لقتاله فلم يفلح وطلب المصالحة فصولح وخرج الى بهمن جازويه ناجياً بنفسه ثم صالح خالد من حول الانبار واستخلف عليها الزبرقان ابن بدر وسار الى عين التمر فاستقبله عاملها للفرس مهران بن بهرام جوبين بجند عظيم من العجم وعقة بن ابي عقة بجمع كثيف من العرب من النمر وتغلب واياد فتقدم العرب لمصادمة خالد فهجم خالد ذلك البطل الصنديد على عقة وهو يقيم صفوفه فاحتضنه كما يحتضن الباشق العصفور واخذه اسيراً فانهزم العرب بدون قتال وتبعهم بالهزيمة مهران بجنود الفرس وتحصن من في الحصن اما خالد فنازلهم وافتتحه وسبى من فيه فكان من جملة السبي سيرين بن محمد بن سيرين ونصير أبو موسى بن نصير فاتح الاندلس بعد وروى بعضهم ان نصيراً عربيّ من اراشة من بليّ سبي في ايام ابى بكر فاعتقه بعض بني امية فصار الى الشام وولد له موسى بقرية هناك تسمى كفرمري

ومنها سار خالد الى دومة الجندل حيث كان يقيم على حصارها عياض بن غنم الذي امره ابو بكر ان يأتي العراق من اعلاه وخالد من اسفله فخرج الجودي صاحب دومة الجندل الى خالد بطائفة من قومه وارسل الى قتال عياض طائفة اخرى فدحر الطائفتان في آن واحد واخذ المسلمون الحصن ومن فيه

ثم كانت بعد ذلك وقعة الحصيد والخنافس ومضيح البرشاء والثنى والزميل وكانت آخر وقائعه بالفراض وهي تخوم الشام والعراق والجزيرة فاجتمعت عليه هناك جنود الروم والعرب وفارس وقاتلوه فقاتلهم ومزق جموعهم ثم امر بالرجوع الى الحيرة لخمس بقين من ذي القعدة وسار هو الى مكة فحج وعاد ولحق بساقة الجيش قبل وصوله الى الحيرة على ما رواه المؤرخون

كانت هـذه الحرب اخر حروب خالد التي اصلى الفرس والـعرب في العراق نارها وقضى على ملك الفرس اذ مهد السبيل الى تدويخ فارس وازالة دولة الاكاسرة وقد كانت اعظم الدول حينئذ شأناً وارقاها مكاناً الاّ انها بلغت من الكبر عتياً ، ومن فشل السياسة مكاناً قصياً ، فجاءها جند الاسلام بادي الشباب ناعم الاهاب فاسس ملكه الجديد في تخوم بلادها ليفسح في احيائها ، وينشر دعوة الاسلام في ارجائها ، ويقضي قضاءه على الوثنية واهلها والشرك وبنيه فتتوحد كلمة الامم في السياسة واللغة والدين وينصر الله حزبه (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين)

قد كانت حروب العراق ايام خالد أشد ما لقي المسلمون من حرب الفرس لاجتماع قبائل العرب في العراق وجند فارس على حرب المسلمين حتى لقد كان اهل العراق ايام عليّ اذا بلغهم عن معاوية شيء يقولون نحن اصحاب ذات السلاسل ويسمون ما بينها وبين الفراض ولا يذكرون ما بعد الفراض احتقاراً للذي كان بعدها

﴿ امراء خالد وقواده ﴾

ممن كان له البلاء الحسن في فتوح العراق مع خالد بن الوليد من امراء الجند الذين كان يبعث معهم بالسرايا يدعون الى الاسلام أو الجزية ويقاتلون من امتنع عن قبول احدى الخصلتين، المثنى بن حارثة الشيباني وبشير بن سعد الانصاري وحنظلة بن الربيع التميمي المعروف بحنظلة الكاتب والنسير بن دسيم بن ثور وجرير بن عبدالله البجلي وضرار بن الازور وضرار بن الخطاب والقعقاع بن عمرو وعتيبة بن النهاس وغيرهم من اهل النجدة والباس ، والاربعة الاخيرون كانوا من امراء الثغور

﴿ جغرافية العراق ﴾

قالوا سمي العراق عراقا تشبيها له بعراق القربة وهو الخرز الذي من اسفلها وهو على ضفتي دجلة ويحد العراق شمالا الجزيرة وكردستان ، وشرقا بلاد العجم وجنوبا خليج العجم المسمى (أيضاً بحر فارس) والبادية ، ويفصل العراق عن الجزيرة بخط مفروض من فلوجة على الفرات بقرب الانبار الى بغداد ومن ثم على شرقي دجلة الى مصب نهر الزاب الاصغر فيها ويفصل بينه وبين بلاد فارس سلسلة جبال خوزستان الممدة جنوبا من جبال كردستان

وكان العراق من قديم الزمان من مواطن العرب من بكر بل كلّ الجزء الواقع بين دجلة والفرات وهو العراق والجزيرة كان قبل الاسلام من مواطن العرب من ربيعة وبكر وبطونها وكانت للعرب دولة فى العراق وهي دولة المناذرة تدفع الاتاوة الى الفرس كما كان لهم دولة في الشام وهي الدولة الغسانية تدفع الاتاوة الى الروم فلما جاء الاسلام قضى على دولتى المناذرة رغسان كما قضي على دولتي الروم والفرس

﴿ باب ﴾

(سفره الى الشام وحروبه فيها)

تقدم معنا في سيرة أبي بكر رضي الله عنه ان جنود المسلمين في الشام اجتمعوا في اليرموك وأخذوا يطاولون العدو ويطاولهم وكتبوا الى أبي بكر يستمدونه فكتب أبو بكر الى خالد بن الوليد ان يسير بنصف الناس الى الشام ويستخلف على النصف الآخر المثنى بن حارثة الشيباني فصدع خالد بالامر وسار في ربيع الاول ويقال في ربيع الآخر سنة ١٣ وكان مسيره من الحيرة على قول بعضهم وبعضهم قال انه سار من عين التمر ولما سار استخلف

على العراق المثنّى بن حارثة الشيباني وقال له (ارجع رحمك الله الى سلطانك فغير مقصّر ولا وان)

وقد كان المثنّى استأذن أبا بكر بحرب من حوله من الفرس كما قدمنا فأذن له وولاه جند العراق ثم أرسل خالداً الى العراق وأمر المثنّى بالسمع والطاعة له ولما سار خالد الى الشام عادت امارة الجند الى المثنّى وكان خير كفؤ لها بعد خالد بن الوليد

سار خالد بمن معه من جند الاسلام وكانوا ستة آلاف على رواية بعضهم وتسعة على رواية البعض الآخر وقال بعضهم ان أبا بكر أمره ان يأخذ معه أهل النجدة فسار بخمسمائة ولعل الرواية الاولى أصح وأغار في طريقه على جمع من تغلب وكلب على ماء يسمى قراقر ومن ثم أخذ بجيشه طريق المفازة مع خطر المسير فيها لفقد الماء منها وقال له الدليل واسمه رافع بن عميرة الطائي انك لن تطيق قطع المفازة بالخيل والاثقال فقال لابد لي من ذلك لأخرج من وراء جموع الروم ، واحتاط لقطع المفازة بأن أمر صاحب كل جماعة ممن معه بأخذ الماء للشبعة لخمس وان يعطش من الابل الشرف ما يكتفي به ثم يسقوها عللا بعد نهل والعلل الشربة الثانية والنهل الاولى ثم يصروا آذان الابل ويشدوا مشافرها لئلا تجتر ثم ركبوا من قراقر فلما ساروا يوماً وليلة شقوا لعدّة من الخيل بطون عشرة من الابل فمزجوا ما في كروشها بما كان من الالبان وسقوا الخيل ففعلوا ذلك أربعة أيام وفي اليوم الخامس انتهوا الى سوى فأغار خالد على جمع من بهراء ثم أتى أرك ثم أتى تدمر فتحصن أهلها ثم صالحوه ثم أتى القريتين[1]

---

(١) تدمر قد أصبحت الآن بعد مجدها القديم قرية يحيط بها جماعة العرب الرحل ولكن لم يزل هيكلها المشهور قائماً ينطق بما بلغته من العظيمة في قديم الزمان وبينها وبين

فقاتل اهلها فظفر بهم ثم فعل مثل ذلك بحوّارين

وروى الطبري انه سار منها الى قصم وقاتل بني مشجعة ثم سار الى ثنية العقاب [١] قرب دمشق ناشراً رايته وهي راية سوداء وكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبها سميت الثنية ثم سار فأتى مرج راهط [٢] فأغار على غسان يوم فصحهم وارسل بسر بن ابي ارطاة وحبيب بن مسلمة الفهري من قريش فأغارا على قرى الغوطة ثم سار خالد ونزل بالجابية وقيل بالباب الشرقي من دمشق فأخرج لهم بطريقها نزلاً وخدمة وقال احفظ لي هـذا العهد فوعده بذلك وكتب له به كتابا

ثم سار خالد من دمشق الى بصرى (من عمل حوران وهي الآن مركز حكومة قضاء) [٣] فقيل انه وجد عليها ابا عبيدة بن الجراح وقيل وجد يزيد ابن ابي سفيان فافتتحها وبعث باخماسها الى ابي بكر ثم سار فطلع على المسلمين في ربيع الآخر وقد اختلف المؤرخون في هـل كان المسلمون في اليرموك (شمالي جبل عجلون) أم في اجنادين من عمل فلسطين فقال ابو جعفر الطبري ان وقعة اجنادين كانت بعد اليرموك

دمشق الشام سبعة مراحل ويليها القريتين وهي على مرحلتين منها وقال ياقوت انها هي حوّارين التي مر عليها خالد وفيه نظر

(١) قال ياقوت وهي ثنية مشرفة على غوطة دمشق يطأها القاصد من دمشق الى حمص اه ولعلها التي تسمى الآن الثنايا

(٢) هو المرج الواقع شرقي دمشق مما يلي الغوطة

(٣) القضاء في عرف الحكومة العثمانية هو ما دون اللواء او المتصرفية التي تجمع لرئاستها بضعة أقضية والمتصرفية ما دون الولاية التي تجمع الى رئاستها بضع متصرفيات أو ألوية

وأورد البلاذري في فتوح البلدان خبر اجنادين قبل اليرموك وقال ان وقعة اجنادين كانت في جمادي الأولى او جمادى الآخرة سنة ١٣ وان وقعة اليرموك كانت سنة ١٥ مع ان اكثر المؤرخين ومنهم ابن الاثير قالوا ان وقعة اليرموك كانت في سنة ١٣ وقد تقدم معنا تعليل ذلك الاختلاف في سيرة أبي بكر رضي الله عنه فلا حاجة للاعادة وانما نذكر هنا ما اعتقده معظم المؤرخين من ان واقعة اليرموك كانت قبل اجنادين وفيها التقى خالد بن الوليد بالمسلمين

قال بعض المؤرخين ان خالداً لما كتب اليه أبو بكر بقصد الشام أمره على جميع الجند وقال بعضهم بل أمره على جنده فقط والظاهر ان الرواية الثانية أصح لما ذكره ابن الاثير والطبري من ان خالداً لما انتهى الى المسلمين في اليرموك وجد الامراء متساندين كل أمير على جنده فرغب اليهم ان يؤمروه عليهم جميعاً فأمروه واليك البيان

لما اجتمع المسلمون في اليرموك كان عددهم سبعة وعشرين الفاً فيهم الف صحابي وكان الروم في مائة الف وفي رواية انهم كانوا في مائتي الف مقاتل وكان قتال المسلمين لهم على تساند كل أمير على جنده لا يجمعهم أمير ولا يخفى ما في هذا من الوهن واختلاف الرأي وتجزء القوّة بتجزء الامارة وتعددها ولما جاء خالد بن الوليد وحضر المعارك مع المسلمين رأى ان القتال على هذا الوجه غير مجد نفعاً مع كثرة الاعداء عديداً وعدداً وان لا بد في نيل الظفر من حزم الرأي واجتماع الكلمة وكان الروم يوماً قد تهيئوا للقتال الذي لم يكن بعده قتال وذلك لليلتين بقيتا من جمادى الاولى وقيل في جمادى الآخرة فاراد المسلمون الخروج اليهم متساندين فقام فيهم خالد فقال بعد ان حمد الله واثنى عليه

هذا يوم من أيام الله لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي اخلصوا جهادكم وارضوا الله بعملكم فانّ هذا يوم له ما بعده ولا تقاتلوا قوماً على نظام وتعبية وأنتم متساندون فان ذلك لا يحل ولا ينبغي وانّ من ورائكم لو يعلم علمكم حال بينكم وبين هذا فاعملوا فيما لم تؤمروا به بالذي ترون انه رأى من واليكم ومحبته : قالوا هات فما الرأي ؟

فأشار عليهم بأن يتناوبوا الامارة العامة وان يؤمروه عليهم في ذلك اليوم فأمروه وهم يظنون انها كخرجاتهم وان الامر يطول

من هذه الرواية نعلم ان خالداً لم يكن أميراً عاماً على الجيش وانما كان أميراً على جنده فقط ولو كان أميراً عاماً لما ترك الروم يطاولون في القتال بل لدبّر الامر لدحرهم منذ وصوله الى اليرموك

لما تسلم خالد زمام القيادة العامة أخذ في تعبية الجيش تعبية لم تعب العرب مثلها قبل ذلك فجعل القلب كراديس وأقام فيها أبا عبيدة وجعل الميمنة كراديس وعليها عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة والميسرة كذلك وعليها القعقاع ابن عمرو ويزيد بن أبي سفيان وجعل على كل كردوس رجلا من الشجعان وجعل على الطلائع قباث بن أشيم ولما تم له ترتيب الجيش على ذلك النمط خرج للعدو بأربعين كردوساً وأمر عكرمة بن أبي جهل والقعقاع بن عمرو فأنشبا القتال وأظهر الروم من البسالة وقوة الجاش والصبر على الحرب ما كاد يزيل المسلمين عن مواقفهم وقاتل خالد بن الوليد وشجعان المسلمين قتالا عظيما امام فسطاس خالد حتى دحروا الروم فتضعضعوا ونهد خالد بالقلب حتى كان بين خيلهم ورجلهم فانهزم فرسان الروم فافرج لهم المسلمون واما الرجالة فالذي نجا نجا والذي قتل قتل وتم النصر للمسلمين بعد ان اصيب

منهم عدد غير قليل من سادات قريش وأقيال الصحابة كما اصيب بمثل هذا أشراف الروم الذين فضلوا الموت دفاعاً عن الحوزة على الفرار فقتلوا جميعاً

ولو أنصف الروم انفسهم والمسلمين لقبلوا احدى الخصلتين (الاسلام او الجزية) وكفوا جنودهم عناء الحرب مع قوم قد مهد الله لهم سبيل النصر على الامم بما يحملون من معجزات القرآن وآيات البيان المؤذنة بهدم اركان الظلم ومحو آثار السيطرة الجائرة التي امتد يومئذ على الناس رواقها واخذت من الامم الخاضعة لسلطان الفرس والروم بخناقها ولكن انّي ينصف قادة الشعوب و زعماء السيطرة اذا احسوا بيد تمس جانب كبريائهم ، وتقلل من غلوائهم ، وتعين حدود سيطرتهم ، وتأخذ عن الاسترسال في الشهوات بأعنتهم ، وما قتل الامم ، وساق النفوس الى مصارع الهلكة ، وزعزع دعائم العمران في كل زمان ، الا هذه الفئة الجائرة التي انتحلت لأنفسها حق السيادة المطلقة على الاشخاص والنفوس وأذاقت الانسان انواع الشقاء والبؤس

﴿ عزله عن الامارة ﴾

بينما كان المسلمون في ذلك اليوم المشهود اي يوم اليرموك في اشد حالات الحرب واشتداد الطعن والضرب جاء البريد من المدينة ينعي وفاة ابي بكر ويخبر باستخلاف عمر بن الخطاب ومعه امر بعزل خالد بن الوليد وتوسيد امارة الجيش العامة الى ابي عبيدة بن الجراح فكتم ذلك ابو عبيدة ريثما تم النصر للمسلمين هذا على رواية بعض المؤرخين وعلى رواية بعضهم ان البريد جاءهم وهم على حصار دمشق ومن جعل واقعة اجنادين قبل اليرموك روى مجيء البريد وهم في اجنادين والصحيح ان عزل خالد وتأمير ابي عبيدة انما جاءهم وهم على دمشق كما يظهر ذلك من كتاب عمر بن الخطاب لأبي

عبيدة كما ستراه مبسوطاً في خلافة عمر رضي الله عنـه وروي الطبري ان ابا عبيدة كتم عن خالد خبر عزله ريثما فتح دمشق وكتب لاهلها عهـداً فامضاه له وعلى اي حال كان فان خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه حضر بعد امارته هذه معظم فتوح الشام متطوعاً وقال بعضهـم انه حضر بعض فتوح ارمينيا ايضاً وكان المسلمون يستمدون رأيه في الحروب ويقدمونه على امرائهـم ساعة الحاجة وكان ابو عبيدة يوليه الجيوش للفتح ولما فتح في امارة ابي عبيدة قنّسرين التابعة لولاية حلب وانتهى الخبر بذلك الى عمر قال (امّر خالد نفسه يرحم الله ابا بكر هو كان اعلم بالرجال مني)

واما سبب عزله فأمران الامر الاول ماكان في نفس عمر بن الخطاب عليه منذ قتل مالك بن نويرة والامر الثاني وهو الأهم اقبال جند المسلين على خالد بن الوليد وحبهم له واستماتتهم بين يديه في كل مشاهده في العراق والشام وذلك ليمن نقيبته في الحروب . وشجاعتـه التي ارهبت القلوب . وقد علم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذلك فخالج فؤاده شيء منه وخشي من اقبال الناس عليه لا سيما وان في نفس خالد من جهتـه ما في نفسه من جهـة خالد منذ قرعه ذلك التقريع الشديد عقب حادث مالك بن نويرة لهذا بادر عمر رضي الله عنـه الى عزله قبل ان يصل خبر توليه منصب الخلافة الى المسلمين وخالد امير على جيش عظيم منهـم وهذا الذي خالج نفسه عمر بن الخطاب رضي الله عنه من جهة خالد بن الوليد لم يكتمه عنه بل اظهره اليه فقد روى انه استدعاه بعد عزله الى المدينة فعاتبه خالد فقال له عمر (ما عزلتـك لريبة فيك ولكن افتتن بك الناس فخفت ان تفتتن بالناس) وهذا صريح في ان عمر رضى الله عنـه خشي من ان تحدث خالداً نفسه بشيء فيشق عصا المسلمين

وهو نظر سديد ومرمى بعيد من عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الاّ ان خالد بن الوليد وغيره من سادات قريش وأمراء المسلمين كانوا في زمن ابي بكر وزمن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أبعد الناس عن الفتنة وألزمهم للطاعة لقرب العهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وشدة حزم هذين الخليفتين في السياسة ورهبتهما التي حلت في القلوب وعدا هذا فان خالد بن الوليد لما مات ابو بكر زال من نفسه ما كان يجده على عمر فقد روى الطبري ان خالداً لما بلغه موت ابي بكر قال (الحمد لله الذي قضى على أبي بكر الموت وكان أحبّ اليّ من عمر والحمد لله الذي ولى عمر وكان أبغض الي من أبي بكر ثم ألزمني حبه) والظاهر ان ما خالج فؤاد خالد من حب عمر لما ولى الخلافة عليه فيما بعد عمر بن الخطاب لهذا لما عزله وقال له ما عزلتك لريبة فيك كتب بذلك الى الامصار دفعاً للتهمة عنه

وهي احسن شهادة تحفظ كرامة خالد بن الوليد وتقدر قدر خدمته للاسلام والمسلمين وهو والله اجدر برفع الذكر وتشريف القدر فرضي الله عنه وعن الصحابة اجمعين

وروى الطبري ان عمر بن الخطاب لما عزل خالدا صادره على نصف ماله وذلك شأنه مع أكثر العمال كما سترى في سيرته لانه كان يرى ان ما يجمعونه من المال انما هو حق المسلمين فينبغي ان يؤخذ منهم ويرد لبيت مال المسلمين

باب

حزم خالد وتوفيقه في الحرب

قلّ ان يوجد قائد في العالم يوفق الى النصر في كل وقائعه كما وفق خالد

ابن الوليد رضي الله عنه فان التاريخ لم ينبئنا عن انخذاله ولا في وقعة واحدة من وقائعه مع اهل الردة اوفي العراق والشام وهذا انما هو من نتائج الحزم والشجاعة والبصيرة بأمور الحرب فقد كان دائم اليقظة مراقباً لحركات العدو يترقب الفرص ويسدد سهم الفكر الى الغرض البعيد فلا يخطىء مرماه وقد رأيت كيف فلّ جموع الروم في اليرموك وكشف عن المسلمين سحب الضيق والحيرة مذ سلموا قيادهم اليه ، وجعلوا اعتمادهم في تدبير الحرب عليه ، مع ان فيهم من الصيد الصناديد واهل البصيرة والرأي يومئذ نفر اولو شهرة في الحرب في الجاهلية والاسلام كعمرو بن العاص وأبي عبيدة بن الجراح ويزيد بن سفيان وأضرابهم من كماة الاسلام وقادة الجيوش العظام

وروى الطبري ان خالداً لما كان مع ابي عبيدة على حصار دمشق ترك الاعداء ليلة مواقفهم على الاسوار لوليمة اعدها لهم البطريق فلم يعلم بذلك احد من المسلمين الا خالد بن الوليد فانه كان لا ينام ولا ينيم ولما وقف على جلية الامر تقدم بنفسه مع نفر من ثقات اصحابه الى السور وصعد الى اعلاه بالسلاليم وكبر فكبر أصحابه واقتحموا الباب ففتحه لهم وكان النصر

ومن هذا التيقظ تعلم سر توفيقه في الحروب وانتصاره على الاعداء ونفاذ الرهبة من سطوته في القلوب وحق والله لقائد مثله ان يخلد ذكره على صفحات الزمان ويشاد له من جميل الاثر أعظم بنيان

﴿ باب ﴾

(كتبه)

١

كتب الى ملوك الفرس بعد تدويخ ملكهم في العراق يدعوهم الى الاسلام كتاباً هذه صورته

(اما بعد) فالحمد لله الذي حلّ نظامكم . ووهن كيدكم ، وفرق كلمتكم ، ولو لم نفعل ذلك كان شراً لكم ، فادخلوا في امرنا ندعكم وارضكم ونجيزكم الى غيركم ، والا كان ذلك وانتم كارهون على ايدي قوم يحبون الموت كما تحبون الحياة اه

٢

وكتب الى المرازبة والقواد كتاباً هذه صورته

(اما بعد) فالحمد لله الذي فض حدتكم ، وفرّق كلمتكم ، وكسر شوكتكم ، فاسلموا تسلموا والا فاعتقدوا فيّ الذمة وأدوا الجزية والا فقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون شرب الخمر اه

٣

ولما كان مع ابي عبيدة على حصار دمشق كان الاسقف الذي اقام له النزل يوم مروره على دمشق في اثناء ذهابه لمعونة المسلمين في اليرموك ربما وقف على السور فدعي له خالداً فاذا اتى سلم عليه وحادثه فقال له ذات يوم يا أبا سليمان ان امركم مقبل ولي عليك عِدَةٌ فصالحني عن هذه المدينة فدعا

خالد بدواة وقرطاس فكتب

(بسم الله الرحمن الرحيم) هذا ما اعطى خالد بن الوليد اهل دمشق اذا دخلها اعطاهم اماناً على انفسهم واموالهم وكنائسهم وسور مدينتهم لايهدم، ولا يسكن شيء من دورهم ، لهم عهد الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم والخلفاء والمؤمنين لا يعرض لهم الا بخير اذا اعطوا الجزية اه

هذا ما رواه البلاذري بشأن هذا الكتاب وهو يؤيد انه كان يومئذ اميراً على جنده وانّ خبرعزله انما اتاهم وهم على دمشق وانما كتمه عنه ابو عبيدة بن الجراح ريثما تم الفتح وقد روي بعض المؤرخين ان أبا عبيدة اجاز كتاب خالد هذا بعد ان فتحت دمشق واخبر خالد بالعزل

٤

وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعثه الى بني الحارث بن كعب

(بسم الله الرحمن الرحيم) لمحمد النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم من خالد بن الوليد السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته فاني احمد اليك الله الذي لا اله الاّ هو (اما بعد) يا رسول الله صلى الله عليك فانك بعثتني الى بني الحارث بن كعب وامرتني اذا أتيتهم الاّ اقاتلهم ثلثة ايام وان ادعوهم الى الاسلام فان اسلموا قبلت منهم وعلّمتهم معالم الاسلام وكتاب الله وسنة نبيه وان لم يسلموا قاتلتهم واني قدمتُ عليهم فدعوتهم الى الاسلام ثلثة ايام كما امرني رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثت فيهم ركباناً يابني الحارث اسلموا تسلموا فاسلموا ولم يقاتلوا وانا مقيم بين اظهرهم وآمرهم بما امرهم الله به وانهاهم عما نهاهم عنه واعلمهم معالم الاسلام وسنة النبي صلى الله عليه وسلم حتى يكتب اليّ رسول الله والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته

٥

وكتب في صلح الحيرة كتاباً هذه صورته

(بسم الله الرحمن الرحيم) هذا ما عاهد عليه خالد بن الوليد عديا وعمراً ابني عديّ وعمرو بن عبد المسيح واياس بن قبيصة وحيريّ بن اكّال[1] نقباء اهل الحيرة ورضي بذلك اهل الحيرة وامروهم به ، عاهدهم على تسعين ومائة الف درهم كل سنة جزاءً عن ايديهم في الدنيا رهبانهم وقسيسهم الا من كان منهم على غير ذي يد حبيساً عن الدنيا تاركاً لها[2] وعلى المنعة فان لم يمنعهم فلا شيء عليهم حتى يمنعهم وان غدروا بفعل او بقول فالذمة منهم بريئة وكتب في شهر ربيع الاول من سنة اثنتي عشرة وشهد فلان وفلان

٦

وكتب الى دهاقين السواد كتاباً هذه صورته

(بسم الله الرحمن الرحيم) هذا كتاب من خالد بن الوليد لزاذ بن بهيش وصلوبا بن نسطونا انّ لكم الذمة وعليكم الجزية وانتم ضامنون لمن نقبتم عليه من اهل البهقباذ الاسفل والاوسط على الفي الف تقبل في كل سنة ثم كل ذي يد سوى ما على بانقيا وباروسما (وفي رواية بسما) وانكم قد ارضيتموني والمسلمين وإنا قد ارضينا كم واهل البهقباذ الاسفل ومن دخل معكم من اهل البهقباذ الاوسط على اموال ليس فيها ما كان لآل كسرى ومن مال ميلهم شهد فلان وفلان وكتب سنة اثنتى عشرة في صفر اه

---

(١) وفي رواية جبريّ

(٢) وفي رواية وسائحاً تاركا للدنيا

﴿ [١] كلمة على الذمة أو أصل الامتيازات ﴾

اعلم ان هذه الكتب وكل ما اعطي من الصحابة من كتب العهد لاهل الذمة سواء كانوا في العراق او في الشام أو غيرها كانت اصولا ثابتة في معاملة أهل الذمة والعهد من الرعية غير المسلمين وعهوداً مكينة في جباية الخراج استمر العمل بها مدة الخلفاء من بني أمية وصدراً من خلافة بنى العباس حيث صار الناس غير الناس واختلط السكان واتسعت اصول الجباية باتساع العمران في الخلافة العباسية وعلى تلك الكتب بني الفقهاء كثيراً من القواعد في معاملة أهل الذمة وعلة ذلك كله الحديث الشريف الذي مر معنا ذكره في هذا الكتاب وقد جاء فيه (ان المسلمين يسعى بذمتهم ادناهم) بمعنى ان كل ما اعطاه احدهم من عهد لا سبيل لنقضه بل يؤكده الآخر وهذه قاعدة من اسمى القواعد التي جاء بها الاسلام لحماية الأمم التي تخضع لسيادة المسلمين من اذى أرباب السيطرة ومنعهم من كل من يريدهم بسوء ما داموا في عهد المسلمين وذمتهم لا يمالئون عليهم عدواً ولا يخونون لهم جواراً ويعطونهم ما فرضوه على انفسهم ورضوا به من الجزية أو أي نوع تراضوا عليه من المال في نظير هذه الحماية وهو تناه في العدل في حكم الأمم المغلوبة لم يسمع بمثله في تاريخ الدول الفاتحة لا في ذلك الزمن وما قبله ولا الآن بل جرت سنة كثير من الدول الفاتحة وأخصها

---

(١) نريد بهذه الامتيازات ما يسمونه امتيازات الكنائس او امتيازات المسيحيين الخاضعين للحكومة الاسلامية (وهي الذمه) لا امتيازات الاجانب فان هذه تسمى عهوداً واهلها يعبر عنهم بالمعاهدين وهذه ايضاً قد استفحل مع الزمان امرها واستشرى شرها سيما في المملكة العثمانية التي عاث فيها الاجنبي بتلك الامتيازات وتوسعت الدول لمعاهدة بها حتى جعلتها حقاً ثابتاً لها قبل الدول العلية بعد ان كانت منحاً وعهوداً حبية وسيأتي الكلام عليها في الاجزاء التاليه ان شاء الله

الدول المتمدنة الغربية في هذا العصر ان تحكم الامم المغلوبة لها الخاضعة لسلطانها بغير ما تحكم به في بلادها وابناء جنسها وملتها وتعاملهم معاملة الرفيع الوضيع والغالب القاهر للمغلوب الضعيف لا ان تشترط على نفسها حمايتهم وتكتب لهم العهود والمواثيق

ولقد كان المسلمون يومئذ في إبان عزهم وجدة دولتهم وبسطة جاههم وقوتهم ولم يعملوا بتلك القاعدة لوهن في نفوسهم أو هيبة من عدوهم بل عملا بشرعهم واتباعاً لامر نبيهم ، واي عصر من عصور الفتح كان انفذ هيبة وأبسط قوةً واعظم سلطانا واكثر فتحاً من عصر امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومع هذا فقد كانت كل البلاد التي خضعت لسلطان المسلمين بالرضا والاختيار يومئذ يأخذ اهلها من قواد الجيوش العهود التي تتكفل بحماية نفوسهم واملاكهم واعراضهم وحرية دينهم ولا يستطيع أحد من القواد او العمال ان ينقض عهداً من تلك العهود الا ان خان اصحابه المسلمين

روى البلاذري في تاريخه فتوح البلدان ان عمير بن سعد (الانصاري احد كبار الفاتحين) قدم على عمر بن الخطاب وقال له ان بيننا وبين الروم مدينة يقال لها عربسوس وان اهلها يخبرون عدونا بعوراتنا ولا يظهرونا على عورات عدونا ولهم علينا عهد ، واستشاره في امرهم فقال عمر فاذا قدمت فخيرهم ان تعطيهم مكان كل شاة شاتين ومكان كل بقرة بقرتين و مكان كل شيء شيئين فاذا رضوا بذلك فاعطهم اياه واجلهم واخربها فان أبوا فانبذ اليهم وأجلهم سنة ثم اخربها

فانظر كيف ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أبى ان ينقض عهد هؤلاء القوم الذي اعطاهم مع انهم نقضوا عهدهم وخانوا دولة المسلمين الحاكمة

عليهم وقد كان في وسع هذا الخليفة العظيم ان يبدّد نظامهم ويريهم جزاء عملهم باجلائهم عن بلدهم سواء كان معهم منه عهد اولم يكن لانهم خانوا المسلمين والخائن لا عهد له ومع هذا فقد أبى عدله ودينه ان يجليهم عن بلدهم الا بعد تعويض ما يفقدونه من المال والمتاع ضعفين

وما زال الخلفاء في كل عصر قائمين بالوفاء بعهود اهل الذمة فيما يتعلق بنوع الجزية ومقدارها كما جاء في كتب العهود التي بأيديهم من الصحابة حتى تغير السكان ودان معظمهم بالاسلام وتنوسيت تلك الكتب وفقدت واماً ما يتعلق بحماية اهل الذمة حيث كانوا وحماية اموالهم واملاكهم وحرية معتقدهم فهذه لما كانت لا تفتقر الى المحافظة على امثال تلك الكتب اذ هي قاعدة اساسية في الاسلام فقد استمر العمل بها الى الآن الاّ ما كان أيام ملوك الطوائف ربما اصاب اهل الذمة من جورهم ما أصاب أهل الاسلام ولما آلت الدولة الى آل عثمان توسع بعضهم بتلك المنح الاسلامية وأخصهم المرحوم السلطان محمد الفاتح بما أعطاه لبطريرك القسطنطينية من المنح التي تشبه ترتيب حكومة مسيحية داخل الحكومة الاسلامية ولا يحمل ذلك منه على غير التلطف والمجاملة وحسن الصنيع ولكن عمله ذلك كان أشبه بحلقة صارت بعد ذلك سلسلة كثيرة الحلقات اذ جعلت الدول الاوربية من ذلك الحين تستزيد لمسيحي الشرق من أمثال تلك المنح حتى توسع الدول بعدُ باسمها فسموها امتيازات وما زالت تتشعب هذه الامتيازات وتعظم حتى تناولت الذمي والمُعَاهَد وحتى زال من نفوس الحائزين لها اعتبار كونها منحاً نالوها من دول الاسلام عملاً بالشرع الاسلامي لا تميبزاً لاهل الذمة عن المسلمين ولا رهبة من دولة من الدول وكان من ذلك ان وقع الجفاء بين المسلمين وبين الطوائف

المسيحية المحكومة بالدولة العثمانيــة وزالت من النفوس الثقة المتبادلة بين الفريقين من قديم الزمان بسبب تحرش الدول الاوربية بالدولة العثمانية بحجة المحافظة على حقوق المسيحيين التي تكفل بالمحافظة عليها الشرع الاسلامي نفسه وجعل لغير المسلم من الحقوق مثل ما للمسلم فما أخلق تلك الدول المتمدنة ان تعطي للمحكومين منها من المسلمين ولو جزأً مما يعطي الاسلام للمحكومين من دولة من المسيحيين ثم تطالب بعد ذلك الدول الاسلاميــة بحقوق رعاياها المسيحيين وهيهات هيهات ان تغلب الفضيلة على الشهوات ويبلغ العدل عند الدول الاوربية مبلغه في الاسلام

باب
وفاته وولده

اختار خالد بن الوليد بعد ان أتم فتوحه في العراق والشام ان يسكن الشام فاتخذ مقراً له حمص وفيها توفى سنة احدى وعشرين في خلافة عمر وقال بعضهم انه توفى في المدينة وليس يثبت ومدفنه لم يزل معروفاً يزار الى الآن في حمص وهو ضمن مسجد واقع خارج السور الى الجهة الشمالية من حمص وقد اتصل به العمران وصار حوله لهذا العهد حيّ يسمى (حي سيدي خالد) كما يسمى المسجد ايضاً مسجد سيدي خالد وقد زرته مرة فوجدت عليه من المهابة والوقار ما يأخذ بمجامع القلوب التي يعرف أصحابها اقدار الرجال ، ويتأثرون بذكرى عصر أولئك الابطال

لما حضرت خالداً الوفاة قال (لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها وما في بدني موضع شبر الاّ وفيه ضربة او طعنة وها أنا أموت على فراشي كما يموت

العير فلا نامت أعين الجبناء ، وما من عمل ارجى من لا اله الا الله وأنا مترس بها)

فلله ما أعظم هذه النفس التي استهانت في سبيل المجد بالحياة حتى ماتطيق الموت على فراش السكون ، وتأنف ان تذوق في غير مواقف الحرب كأس المنون ، ولا جرم ان جسما ليس فيه موضع شبر الا وفيه طعنة برمح أو ضربة بسيف لجسم فيه نفس عالية تحار في مرادها الاجسام ، وتتمنى لقاء الموت فيحجم عنها في ساحات الصدام ، وهذا هو السر في أن حياة الابطال العظام عزيزة طويلة ، وحياة الانذال الجبناء ذليلة قصيرة . (١)

وأوصى خالد قبل وفاته الى عمر وحبس فرسه وسلاحه في سبيل الله ولما مات اجتمع نساء بني المغيرة يبكين عليه فلما بلغ ذلك عمر قال (ما عليهن ان يبكين أبا سليمان مالم يكن نقع أو لقلقة) وقيل انه لم يبق امرأة من بني المغيرة الا جزّت لمتها وحلقت رأسها حزنا على ذلك البطل العظيم الذي يحق ان تبكيه الرجال والنساء ، ويذكره المسلمون بأشرف أعماله صباح مساء .

﴿ ولده ﴾

روي ابن قتيبة انه كان لخالد ولد كثير فقتل الطاعون منهم أربعين رجلا فبادوا وقال في أسد الغابة أخرج الثلاثة عن الزبير بن بكار ان ولد خالد بن الوليد انقرضوا فلم يبق منهم أحد وورث أيوب بن سلمة دورهم بالمدينة

ويوجد لهذا العهد قبيلة رحالة في جهات حمص تسمى بني خالد ادعى بعض مشائخها من بضع سنين انها تنتسب الى خالد بن الوليد لاغراض لا محل لذكرها هنا وهي دعوى كاذبة ليس عليها دليل اذ ولد خالد انقرضوا جميعهم في الصدر الاول كما علمت والله أعلم

---

(١) نريد بهذه الحياة حياة الذكر

انتهى الجزء الاول وفيه سيرة أبي بكر ومن اشتهر في دولته ويليه الجزء الثاني وفيه سيرة عمر ومن اشتهر في دولته رضي الله عنهم أجمعين اه

﴿ تنبيه ورجاء ﴾

قد اخترت ان أنشر هذا التاريخ أجزاء متوالية لفائدتين (الفائدة الأولى) سهولة نشر الكتاب وتعميمه (والفائدة الثانية) اطلاع القراء على الكتاب جزأً بعد جزء حتى اذا رأى أحد منهم خطأً في الجزء الواحد ينبهني الى اصلاحه في الجزء الذي يليه لهذا فاني أرجو ممن يطلع على هذا الجزء من السادة العلماء والكتاب والادباء ويرى فيه خطأً في النقل ، أو سهواً عن حقيقة ، أو غموضاً في قول ، أو ضعفاً في رأى ، أو ما أشبه ذلك من أغلاط قد لا يسلم منها كتاب ، ولا يعصم عنها مؤرخ ، أن ينبهني اليه ، ويتفضل عليّ ببيان وجه الخطأ فيه لابادر الى اصلاحه في الجزء الذي يليه ، اذ العصمة لله وحده والمرء ضعيف بنفسه قويّ بأخيه

﴿ أيضا ﴾

نفدت الطبعة الثانية من هذا الجزء فاعدت طبعه مصححاً على قدر الامكان وكان بودي التبسط في بعض المباحث واضافة أشياء خطرت لي من سيرة أبي بكر لكن منعني من ذلك اتصال اعداد صحف هذا الجزء بالاجزاء التي تليه الى تمام المجلد الاول فلو زدت فيه شيئاً لاختل ترتيب الفهرس كما لا يخفى وما اشد هذا التقيد على النفس

فهرست

الجزء الاول من اشهر مشاهير الاسلام

صحيفة